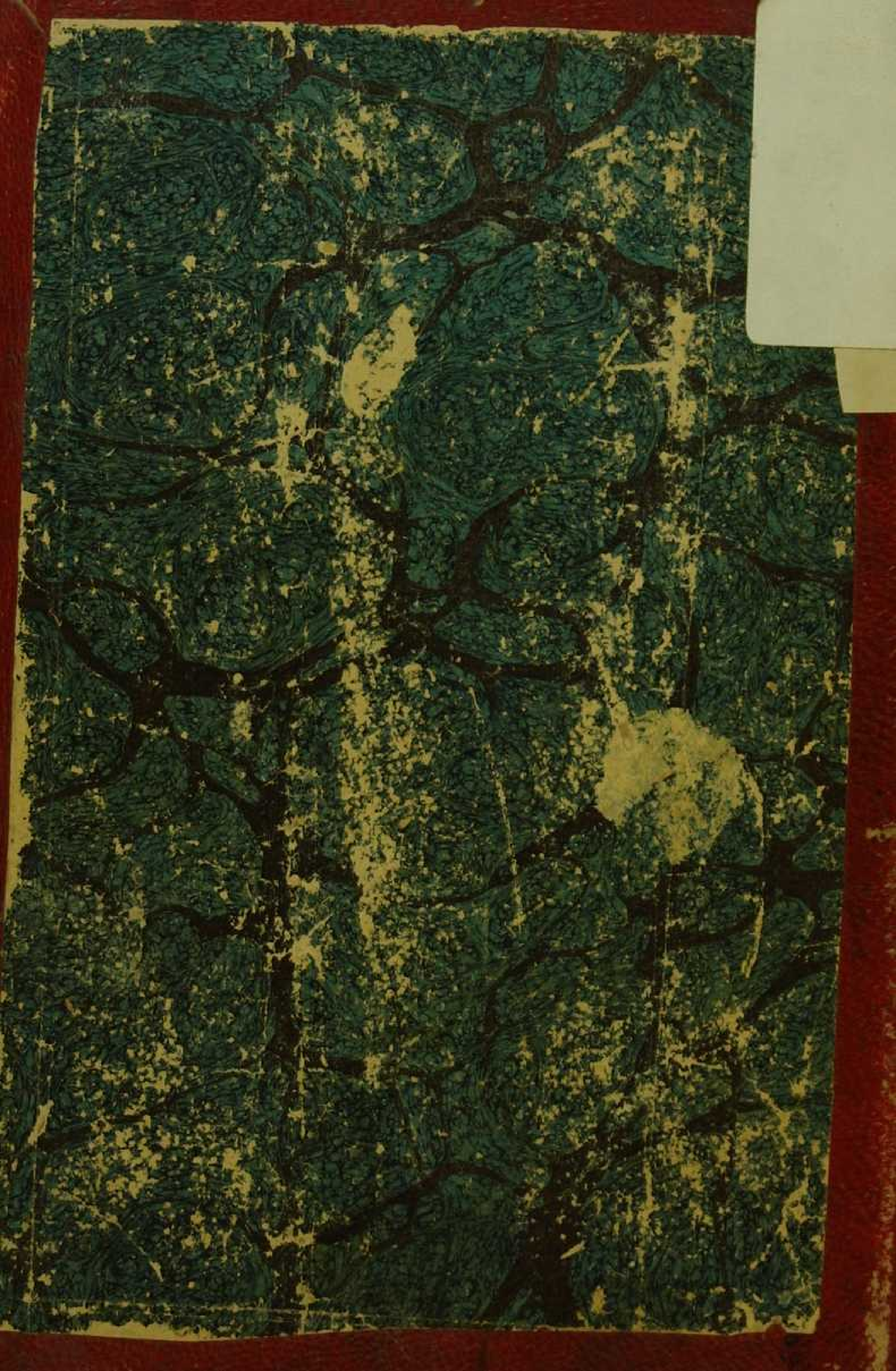




اعلام النبوة ، تأليف الماوردى، علي بن محمد
ـ ٤٥٠هـ. بخط محمد محسن بن عبد الرحمن افندى
محى الدين سنة ١٣٠٩هـ.

١٣٢ ق ١٧ س ٢٠x١٤ سم

نسخة جيدة ، خطها تعليق حسن، طبع .
الاعلام ٥ : ١٤٦، جامعة الدول العربية ١ :١١٧
١ـ النبوات، أصول الدين أ ـ المؤلف
ب ـ الناسخ ج ـ تاريخ النسخ .

تم الفهرس

اعلام النبوة للعالم العلامة
والكامل الفهامة الامام
الماوردي عليه
الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احكم ما خلق وقدر، وعدل فيما قسم ودبر، وانذر
بما انشأ واظهر، واستأثر بما اخفى واستر، وانعم بما امر وحظر،
وارشد الى انذاره بنوعي تفضيل تميز بهما جنس البشر عن كل حيوان
بهيم وهما نطق يفضي الى الفهم، وعقل يؤدي الى العلم، ليعان
بهما على ما كلف من اداء التعبد فيصل بالعقل الى علمه
وبالنطق الى فهمه واستفهامه، فيصير بهما لقبول ما كلف من
المعارف، وسعانا على ما تعبد به من الشرائع، نعمة بها قطع الاعذار
ودعم بها المصالح، ليكون الخلق على رغب يدعوهم الى الطاعة، ورهب
يكفهم عن المعصية فيعم الخير بالرغبة، وينحسم الشر بالرهبة، وذا لا يستقر
في النفوس الا برسل مبلغين عن الله ثوابه فيما امر، وعقابه فيما حظر،
فوجب ان يوضح في اثبات النبوات ما ينتفي عنه ارتياب مغرور،
وشبهة معاند، وقد جعلت كتابي هذا مقصورا على ما اقتضى ودل عليه،
ليكون عن الحق موضحا، وللسرائر مصلحا، وعلى صحة النبوة دليلا،
ولشبه المستريب مزيلا، وجعلت ما تضمنه مشتملا على امرين ؛
احدهما ما اختص باثبات النبوة من اعلامها، والثاني فيما يختلف
من اقسامها واحكامها، ليكون الجمع بينهما انفى للشبهة وابلغ في الابانة

وجعلت ما تضمنه هذا كتابا مشتملا على احد وعشرين بابا ؛ الباب الاول
في مقدمة الادلة الباب الثاني في معرفة الآلة المعبود الباب الثالث
في صحة التكليف الباب الرابع في اثبات النبوات الباب الخامس
في مدة العالم وعدة الرسل عليهم الصلوة والسلام الباب السادس
في اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الباب السابع فيما تضمنه
القرآن من انواع اعجازه الباب الثامن في معجزات عصمته صلى الله تعالى
عليه وسلم الباب التاسع فيما شوهد من معجزات افعاله صلى الله تعالى
عليه وسلم الباب العاشر فيما سمع من معجزات اقواله صلى الله تعالى
عليه وسلم الباب الحادي عشر فيما اكرمه الله تعالى به من اجابة دعوته
صلى الله تعالى عليه وسلم الباب الثاني عشر في انذاره بما يستحدث
بعده صلى الله تعالى عليه وسلم الباب الثالث عشر في معجزه صلى الله
تعالى عليه وسلم بما ظهر من البهائم الباب الرابع عشر في ظهور المعجز من
الشجر والجماد الباب الخامس عشر في هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى
عليه وسلم الباب السابع عشر فيما الهمت النفوس من الهام العقول
بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم الباب الثامن عشر في مبادي نسبه
وطهارة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم الباب التاسع عشر في آيات
مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم الباب العشرون

الباب السادس عشر في انذار الانبياء عليهم الصلوة والسلام بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

في شرف اخلاقه وكمال فضائله الباب الحادي والعشرون في مبتدا بعثته واستقرار نبوته، وانا اسال الله تعالى حسن معونته وارغب اليه في توفيقه وهدايته، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحابته وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول في مقدمة الادلة

والادلة ما اوصلت الى العلم بالمدلول عليه والدليل معلوم بالعقل والمدلول عليه معلوم بالدليل فيكون العقل موصلا الى الدليل وليس بدليل لان العقل اصل كل معلوم من دليل ومدلول عليه، ولذلك سمي ام العلم، فصار العقل مستدلا وان لم يكن دليلا، والعلم الحادث عنه ما يميز به الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والممكن من الممتنع وهو على ضربين علم اضطرار وعلم اكتساب، فاما علم الاضطرار فهو ما ادرك ببداهة العقول وهو نوعان حس ظاهر وخبر متواتر، وعلم الحس متاخر عن العقل وعلم الخبر متقدم عليه ولا يفتقر علم الاضطرار الى نظر واستدلال لادراكه ببديهة العقل ويشترك فيه الخاصة والعامة ولا يتوجه اليه جحد ولا تحسن المطالبة فيه بدليل لانه غاية تناهي النظر،

فصل

واما علم الاكتساب فطريقه النظر والاستدلال لانه غير مدرك ببديهة العقل فصح ان يتوجه اليه الاعتراض فيه بطلب الدليل عليه، فلذلك

لم يوصل اليه الا بالنظر والاستدلال، وهو على ضربين احدهما ما كان من قضايا العقول، والثاني ما كان من احكام السمع فاما قضايا العقول فضربان احدهما ما علم استدلالا لا بضرورة العقل، والثاني ما علم استدلالا بدليل العقل، فاما المعلوم بضرورة العقل فهو ما لا يجوز ان يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب العلم الضروري وان كان عن استدلال للوصول اليه بضرورة العقل، واما المعلوم بدليل العقل فهو ما يجوز ان يكون على خلاف ما هو به كآحاد الانبياء اذا ادعى النبوة فيوجب علم الاستدلال ولا يوجب علم الاضطرار لحدوثه عن دليل العقل لا عن ضرورة واختلف في اصل النبوات على العموم هل يعلم بضرورة العقل او بدليله على اختلافهم في التعبد بالشرائع هل اقترن بالعقل او بعقبه، فذهب من جعله مقترنا بالعقل الى اثبات عموم النبوات بضرورة العقل، وذهب من جعله متاخرا عن العقل الى اثباتها بدليل العقل، وذهب اصحاب الالهام الى اسقاط الاستدلال بقضايا العقول وجعلوا اثبات المعارف بالالهام اصلا يغني عن اصل، وهذا فاسد يقول الله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار فجعله بالاعتبار مدركا دون الالهام، ويقال لمن اثبت المعارف بالالهام لم قلت بالالهام، فان استدل ناقض، فان قال قلته بالالهام قيل له انفصل

عمن اسقط الالهام بالالهام وعمن قال في الالهام بغير الهامك في جميع
اقوالك فلا تجد فصلا وكفى بذلك فسادا

فصل

فاذا ثبت ان كلا الضربين مدرك بقضية العقل فيما علم بضرورته من
التوحيد او بدليله من النبوة صار بعد العلم به واجبا واختلف في وجوبه
هل وجب بما صار معلوما به من قضية العقل او بالسمع فذهب قوم الى
وجوب التوحيد والنبوة بالعقل كما علم بالعقل ويكون التوحيد وعموم النبوات
قبل السمع فرضا وذهب آخرون الى وجوبهما بالسمع وان علما بالعقل
لان الوجوب تعبد لا يثبت الا بالسمع واختلف من قال بهذا في وجوب
ورود السمع به فاوجبه بعضهم ولم يوجبه آخرون منهم واسقطوا فرض
التوحيد عن العقلاء اذا لم يرد سمع بايجابه وذهب آخرون الى ان ما علم
بضرورة العقل من التوحيد واجب بالعقل وما علم بدليل العقل من النبوة
واجب بالسمع لان التوحيد اصل والنبوة فرع والاجتهاد فيهما فرض
على اعيان ذوي العقول اذا اقترن بكمال عقله قوة الفطنة وصحة الروية
فيستغني بكمال عقله وصحة رويته عن تنبيه ذوي العقول ولو افرد
ليصل باجتهاد عقله من اضطرار او استدلال الى قضايا العقول ليصير
كاملا بها ومستغنيا عن عقل غيره فيها وان ضعفت فطنته وقلت

رويه

رويته لزمه ان يتنبه بذوي العقول على الوصول اليها بعقله لا بعقولهم
فيعلمها بالتنبيه كما علمها غيره بالنظر وان لم يصل اليها بالتنبيه فليس بكامل
العقل ويصير تبعا لذوي العقول لان عدم الموجب دال على سقوط
الوجب

فصل

والعقل هو ما افاد العلم بموجباته وقيل بل هو قوة التمييز بين الحق والباطل
وقيل هو العلم بخفيات الامور التي لا يوصل اليها الا بالاستدلال والنظر
وهو ضربان غريزي هو اصل ومكتسب هو فرع فاما الغريزي فهو الذي
يتعلق به التكليف ويلزم به التعبد واما المكتسب فهو الذي يؤدي الى
صحة الاجتهاد وقوة النظر ويمتنع ان يتجرد المكتسب عن الغريزي ولا
يمتنع ان يتجرد الغريزي عن المكتسب لان الغريزي اصل يصح قيامه بذاته
والمكتسب فرع لا يصح قيامه الا باصله ومن الناس من امتنع من تسمية
المكتسب عقلا لانه من نتائجه ولا اعتبار بالنزاع في التسمية اذا كان المعنى
مسلما

فصل

واما احكام السمع فماخوذة عمن يلزم طاعته من الرسل والعقل مشروط
في التزامها وان لم يكن السمع مشروطا في قضايا العقول وما يتضمنه
السمع نوعان تعبد وانذار فالتعبد الاوامر والنواهي والانذار
الوعد والوعيد فان جمع الرسول بين التعبد والانذار فهو الشرع

كذا فى الاصل والظاهر بغيره

الكامل المعنى عند غيره، وان انفرد بالتعبد دون الانذار، فان تقدمه انذار غيره كمل الشرع بتعبده وانذار من تقدمه، وان لم يتقدمه انذار من غيره اما فى مبادى النبوات او فى من لم تبلغهم دعوة الانبياء، فقد اختلف فى قضايا العقول هل تقتضى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، فذهب فريق الى اقتضائها لذلك فعلى هذا يكون شرعا كمل بتعبد الرسول وانذار العقول، وذهب فريق الى ان قضايا العقول لا تقتضى ثوابا ولا عقابا، فعلى هذا اختلف فى التعبد هل يكون مستحقا على ما تقدم من نعم الله تعالى على خلقه او لجزاء مستقبل، فذهب فريق الى استحقاقه بسابق النعمة فان وعد الله تعالى ثوابا عليه كان تفضلا منه يستحق بالوعد دون التعبد فعلى هذا يكون التعبد فرضا مستحقا يقتضى تركه عقابا، وان لم يقتض فعله ثوابا، وذهب آخرون الى استحقاقه بما يقابله من الجزاء بالثواب عليه، وما تقدم من النعمة تفضل منه فعلى هذا يكون التزام التعبد مستحبا وليس بمستحق فلا يلزم على تركه عقاب، كما لم يستحق على فعله ثواب، لانه لم يقترن به وعد بثواب يوجب التزام التعبد، وان انفرد الرسول بالانذار دون التعبد فالانذار لا يكون الا على فعل والا كان عبثا لا يصدر عن حكيم، فان كان انذاره على شرع تقدمه تضمن انذاره اثبات ذلك الشرع وكان هذا المنذر من امة ذلك المتعبد

وان

وان كان المتعبد قد انذر كان الانذار تأكيدا ولم يحتج هذا المنذر الى اظهار معجز، وان لم يكن المتعبد قد انذر تكامل شرع المتعبد بانذار المتأخر و تكامل انذار المتأخر بتعبد المتقدم واحتاج هذا المنذر الى اظهار معجز الى انذاره موجب لكمال الشرع وان انذر المتأخر على فعل الخير الشر خرج عن حكم الشرع الى الوعظ والزجر بامر الذى يستحق له بسط اليد فى الانكار واستيفاء ما تضمنه الانذار

الباب الثانى فى معرفة الاله المعبود

لا يصح التعبد ببعثة الرسل الا بعد معرفة المعبود المرسل ليعلم انهم رسل مطاع معبود فيطاعوا طاعة المعبود، والمعبود هو الله عز وجل المنعم على عباده بما كلفهم من عبادته وافترض عليهم من طاعته بعد النعمة عليهم بخلق ذواتهم والارشاد الى مصالحهم واستودعهم علم اضطرار يدرك ببداية العقول وعلم اكتساب يدرك بالفكر والنظر ولما كانوا محجوبين عن ذاته لم يدركوه ببداية الحواس اضطرارا وقد ظهر من اظهار آثار صنعته واتقان حكمته ما يوصل الى معرفة ذاته وصفاته اكتسابا لا داركها بالاعتبار والنظر، ولو شاء لخلق ما يدرك ببداية الحواس لكن معرفته بالاستدلال ابلغ فى الحكمة لظهور التباين فى الرتبة فلذلك ما امتنع الوصول الى معرفته اضطرارا ووصل اليها استدلالا واكتسابا يخرج عن بداية

العقول الى اسئلة لا الى معقول • والذي يؤدي الى معرفته جل جلاله ثلاثة
فصول • احدها ان العالم محدث وليس بقديم • والثاني ان للعالم محدثا
قديما • والثالث انه واحد لا شريك له فاما الفصل الاول في حدث
العالم فالمحدث ما كان له اول والقديم ما لا اول له والدليل على حدث
العالم شيئان احدهما ان العالم جواهر واجسام لا تنفك من اعراض
محدثة من اجتماع وافتراق وحركة وسكون • وانما كانت الاعراض محدثة
لامرين • احدهما انه لا يصح قيامها بذواتها • والثاني لوجودها بعد عدمها
وزوالها بعد وجودها وما لم ينفك عن الاعراض المحدثة لم يسبقها لانه لو سبقها
لكان لا مجتمعا ولا مفترقا ولا متحركا ولا ساكنا وهذا مستحيل فاستحال
سبقه وما لم يسبق الحدث فهو محدث • فان قيل فليس بمنكر ان تكون الحوادث
الماضية لا اول لها فلم يلزم حدث العالم • قيل اذا كان لكل واحد من
الحوادث اول استحال ان لا يكون لجميعها اول لانها ليست غير احادها فصار
جميعها محدثة لانها ذوات اوائل محدثة • والدليل الثاني على حدث العالم
وجوده محدودا متناهي الاجزاء والابعاض وما تناهت اجزاؤه وامكن
توهم الزيادة عليه والنقصان منه كان تقديره على ما هو به دليلا على ان غيره
قدره اذ ليس كون ذاته على صفة باولى من كونه على غيرها لولا تدبير غيره لها •
فان قيل فلم لا كانت طينته قديمة واعراض تركيبه وتصويره حادثة كافعال

ولا متفرقا

تقدير

الله تعالى حادثة عن ذاته القديمة • قيل لان حدوث اعراضه فيه وهو
لا ينفك منها فصار محدثا بها وافعال الله تعالى حادثة في غيره فلم يمنع
حدوثها من قدمه ولو حدثت فيه لمنعت من قدمه واما الفصل الثاني
ان للعالم محدثا قديما فالدليل على ان له محدثا قديما شيئان احدهما انه
لما استحال ان يكون العالم محدثا لذاته لافتقاره الى وجوده قبل حدثه
دل على ان محدثه غيره • والثاني ان وجود ما لم يكن يوجب ان يقتضي
موجدا كما اقتضى المبني بانيا والمصنوع صانعا والدليل على قدم محدثه
شيئان احدهما انه لا اول له وما لا اول له قديم • والثاني انه لو لم يكن
قديما لاحتاج الى محدث ولاحتاج محدثه الى محدث ولا تنتهي الى ما لا غاية
له فامتنع وثبت قدمه انه لم يزل ولا يزال فلم يكن له اول ولا يكون له
آخر • واذا كان محدثه قديما وجب ان يكون قادرا مريدا • والدليل على قدرته
انه يصح منه ان يفعل ولا يفعل مع انتفاء الموانع وقد فعل فدل وجود
الفعل منه على قدرته عليه • والدليل على انه مريد انه لما وجد منه الفعل وهو
غير ساه ولا مكره ولا عابث لانتفاء السهو عنه بعلمه وانتفاء الاكراه عنه
بقدرته • وانتفاء العبث عنه بحكمته • دل على ارادته كما كانت كتابة الكاتب
مع انتفاء هذه العوارض دليلا على ارادة كتابته فصار احداثه للعالم
دليلا على قدمه وحدوث افعاله • وقدمه يوجب ان تكون صفات ذاته قديمة

لقدمه وحدوث افعاله يوجب ان تكون صفات افعاله محدثة **واما الفصل**
الثالث انه واحد لا شريك له ولا مثل فالدليل عليه شيئان احدهما ان
عموم قدرته شامل لجميع المحدثات فوجب ان يكون محدث بعضها محدثا لجميعها
اذ ليس بعضها باخص بقدرته من بعض فاوجب تماثل الامرين عموم الجميع
والثاني انه لو كان معه غيره لم يخل ان يكون مماثلا او مخالفا فان خالفه
بطل ان يكون قادرا وان ماثله استحال وجود احداث واحد من محدثين
كما استحال وجود حركة واحدة من متحركين، وذهب الثنوية من المنانية
الى اثبات قديمين هما عندهم نور وظلمة يحدث الخير عن النور والشر
عن الظلمة وهذا فاسد من وجهين احدهما ان النور والظلمة لا ينفكان
ان يكونا جسما او جوهرا او عرضا وجميعها محدثة فدل على حدثهما، والثاني
ان الظلمة ليست بذات وانما هي فقد النور عما يقبل النور ولهذا اذا فقدنا
النور في الهواء تصورناه مظلما فلم يجز ان يوصف بقدم ولا يضاف اليها
فعل، وذهب المجوس الى ان الله تعالى والشيطان فاعلان فانه تعالى
فاعل الخير وخالق الحيوان النافع، والشيطان فاعل الشر وخالق الحيوان
الضار، قالوا لان فاعل الشر شرير، وتعالى الله عن هذه الصفة وجعلوا
لله تعالى جسما وان كان قديما، واختلفوا في قدم الشيطان فقال به
بعضهم وامتنع من قدمه زرادشت واكثرهم، واختلفوا في علة حدوثه

فزعم زرادشت ان الله تعالى استوحش ففكر فكرة ردية فتولد منها اهرمن
وهو ابليس وقال غيره بل شك فتولد الشيطان من شكه، وقال آخرون
بل حدث عفن فتولد الشيطان من عفنه، وهذه اقاويل تدفعها العقول
اما جعلهم الله تعالى جسما فدليلنا على حدوث الاجسام يمنع ان يكون الله
تعالى مع قدمه جسما، ودليلنا على الثنوية يمنع ان يكون الشيطان معه
ثابت واثبات قدرته يمنع ان يكون مغلوبا، وعلمه يمنع ان يكون شاكا
او منكرا وانتفاء الحزن عنه يمنع ان يكون مستوحشا وامتناع الفساد
عليه يمنع ان يكون عفنا، وقولهم ان فاعل الشر شرير قبل خروجه عن قدرته
لعجزه فوجب ان يدخل في عموم قدرته

فصل

فاما النصارى فقد كانوا قبل ان تنصر قسطنطين الملك على دين صحيح
في توحيد الله تعالى ونبوة عيسى عليه السلام، ثم اختلفوا في عيسى بعد تنصر
قسطنطين وهو اول من تنصر من ملوك الروم فقال اوائل النسطورية ان
عيسى هو الله، وقال اوائل اليعاقبة انه ابن الله، وقال اوائل الملكانية
ان الآلهة ثلاثة احدهم عيسى، ثم عدل اواخرهم عن التصريح بهذا القول
المستنكر حين استنكرته النفوس ودفعته العقول فقالوا ان الله تعالى
جوهر واحد هو ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس

وانها واحدة في الجوهرية وان اقنوم الاب هو الذات واقنوم الابن هو
الكلمة واقنوم روح القدس هو الحياة، واختلفوا في الاقانيم فقال بعضهم
هي خواص وقال بعضهم هي اشخاص، وقال بعضهم هي صفات، وقالوا ان
الكلمة اتحدت بعيسى واختلفوا في الاتحاد فقال النسطورية معنى الاتحاد
ان الكلمة ظهرت حتى جعلته هيكلا وان المسيح جوهران اقنومان احدهما
الهي والآخر انساني فلذلك صح منه الافعال الالهية من اختراع الاجسام
واحياء الموتى والافعال الانسانية من الاكل والشرب، وقال اليعاقبة
الاتحاد هو الممازجة حتى صار منهما شئ ثالث نزل من السماء وتجسد
من روح القدس وصار انسانا هو المسيح وهو جوهر من جوهرين واقنوم
من اقنومين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي، وقال الملكانية المسيح جوهران
اقنوم واحد وليس لهذه المذاهب شبهة تقبلها العقول، وفسادها ظاهر
في المعقول، اما قولهم ان الله تعالى جوهر فقد دللنا على حدوث الجواهر
فاستحال ان يكون القديم جوهرا واما قولهم انه ثلاثة اقانيم فان جعلوها
اشخاصا قالوا بالتثليث وامتنعوا من التوحيد وقد دللنا على ان القديم
واحد، وان جعلوا الاقانيم خواصا وصفات لذات واحدة فقد جعلوه
ابا وابنا من جوهر ابيه فشركوا بينهما في الجوهر الالهي وفضلوه على
الاب بالجوهر الانساني فلم يكن مع اشتراكهما في الجوهر الالهي ان يتولد

من الاب باولى ان يتولد منه الاب مع تفضيله بالجوهر الانساني وكيف
يكون قديما ما تولد عن قديم وانما ظهرت منه الافعال الالهية لانها من قبل
الله تعالى اظهارا للمعجزة وليست من فعله كفلق البحر لموسى عليه السلام،
وليس ذلك من الهية موسى، وقولهم جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي فناسوت
المسيح كناسوت غيره من الانبياء، وقد زال ناسوته فبطل لاهوته

فصل

فاذا ثبت ان الله تعالى واحد قديم فقد اختلف في معنى وحدانيته فقالت
طائفة المراد بانه واحد ان جميع المحدثات منسوبة الى قدرة واحدة احدثت
القادر بها جميع المحدثات، وقالت طائفة اخرى المراد به نفي القسمة
عن ذاته واستحال التبعض والتجزية في صفته، وقال الجمهور وهو مذهب
المشهور انه واحد لذات قديم الصفات، تفرد بالقدم عن شريك مماثل
واختص بالقدرة عن فاعل معادل، لا شبه لذاته تنتفي عنه الحوادث
والاعراض ولا تنالها المنافع والمضار ولا ينعت بكل ولا بعض ولا
يوصف بمكان يحل فيه او يخلو منه لحدوث الامكنة واستحالة التجزية
ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، كما وصف نفسه في كتابه ودلت عليه
آثار صنعته واتقان حكمته، وقد سئل علي بن ابي طالب كرم الله تعالى و
جهه عن العدل والتوحيد، فقال التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه

فتفصح بما بهر ايجازه، وقهر اعجازه، وقد لحظ دلائل التوحيد من السعداء من قال

ايا عجبا كيف يعصى الاله ... ام كيف يجحده جاحد

وفي كل شيء له شاهد ... دليل على انه واحد

الباب الثالث في صحة التكليف

التكليف هو الزام ما ورد به الشرع تعبدا وهو نوعان، احدهما ما تعلق بحقه من امر بطاعة ونهي عن معصية، والثاني ما تعلق بحقوق عباده من تقدير الحقوق وتقرير العقود ليكونوا مدبرين بشرع مسموع، ومنقادين لدين متبوع، فلا تختلف فيه الآراء، ولا تتبع فيه الاهواء، وليعلموا به ابتداء النشاة وانتهاء الرجعة فتصلح به سرائرهم الباطنة، وتخشع له قلوبهم القاسية، وتجتمع به كلمتهم المتفرقة، وتتفق عليه احوالهم المختلفة، ويسقط به تنازعهم في الحقوق المتجاذبة، ويكونوا على رغب في الثواب يبعثهم على الخير، ورهب من العقاب يكفهم عن الشر، وهذه امور لا يصلح الخلق الا عليها ولا يوصل بغير الدين المشروع اليها، اذ ليس في طباع البشر ان يتفقوا على مصالحهم من غير وازع ولا يتناصفوا في الحقوق من غير دافع لحرصهم على اختلاف المنافع وهذا يفسد ما ذهبت اليه البراهمة من الاقتصار على قضايا العقول وابطال التعبد بشرائع الرسل، فالتكليف حسن في العقول اذا توجه الى من علمت طاعته، واختلف في حسنه اذا توجه الى من علمت معصيته

واستحسنه

واستحسنه المعتزلة لان فيه تعريضا للثواب ولم يستحسنه الاشعرية لانه بالمعصية معرض للعقاب، والاول اشبه بمذهب الفقهاء، وان لم يعرف لهم فيه قول يحكى، واختلف في التكليف هل يكون معتبرا بالاصلح فالذي عليه اكثر الفقهاء انه معتبر بالاصلح لان المقصود به منفعة العباد، وذهب فريق من الفقهاء والمتكلمين الى انه موقوف على مشيئة الله تعالى من مصلحة وغيرها لانه مالك لجميعها فمن اعتبر الاصلح منع من تكليف ما لا يطاق، ومن اعتبره بالمشيئة جوز تكليف ما لا يطاق، ويصح تكليف ما لحقت فيه المشقة المحتملة واختلف في صحة التكليف فيما لا مشقة فيه فجوزها الفقهاء ومنع منها بعض المتكلمين وقد ورد التعبد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وليس فيه مشقة واذا اعتبر التكليف بالاستطاعة لم يتوجه الى ما خرج عن الاستطاعة، واختلف في المانع منه فقال فريق منع منه العقل لامتناعه فيه، وقال فريق منع منه الشرع وان لم يمنع منه العقل بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها

فصل

فاذا تقرر شروط التكليف مع كونه حسنا فقد اختلف في وجوبه فاوجبه من اعتبر الاصلح وجعله مقترنا بالعقل لانه من حقوق حكمته، ولم يوجبه من حمله على الارادة لان الواجب يقتضي علو الموجب، وهذا منتف عن الله

تعالى واختلف من قال بهذا في تقدم العقل على الشرع فقال فريق يجوز
ان يقترن بالعقل ويجوز ان يتأخر عنه بحسب الارادة ولا يجوز ان يتقدم
على العقل لان العقل شرط في لزوم التكليف وقال فريق بل يجب
ان يكون التكليف واردا بعد كمال العقل ولا يقترن به كما يتقدم عليه
لقول الله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدا وهذه صفة متوجهة
اليه بعد كمال عقله

فصل

وقد استقر بما قدمناه ان التكليف الشرعي ما تضمنه الاوامر والنواهي
في حقوق الله تعالى وحقوق عباده والمأمور به ضربان واجب وندب
فالواجب ما وجب ان يفعل والندب ما الاولى ان يفعل والمنهي عنه
ضربان مكروه ومحظور فالمحظور ما وجب تركه والمكروه ما الاولى تركه
فاما المباح فما استوى فعله وتركه فلا يجب ان يفعل ولا الاولى ان يفعل
ولا يجب ان يترك ولا الاولى ان يترك واختلف في دخول المباح في
التكليف فذهب بعض اصحاب الشافعي رحمه الله الى دخوله في التكليف
واختلف قائل هذا هل دخل فيه باذن او بامر على وجهين احدهما باذن
ليخرج حكم الندب والثاني بامر دون امر الندب كما ان امر الندب دون
امر الواجب وذهب آخرون من اصحاب الشافعي رحمه الله الى خروجه

من التكليف باذن او امر لاختصاص التكليف بما تضمنه ثواب او عقاب
واتفقوا في المباح انه لا يستحق عليه حمد ولا ذم ويخرج عن القبيح
واختلفوا في دخوله في الحسن فادخله بعضهم فيه واخرجه بعضهم منه

فصل

والامر بالتكليف هو استدعاء الطاعة بالانقياد للفعل واختلفوا في
اقتران الارادة به هل يكون شرطا في صحته فذهب الاشعري الى ان الارادة
غير معتبرة فيه ويجوز ان يأمر بما لا يريده ويكون امرا كالذي يريده وذهب
المعتزلة الى انه لا يكون امرا الا بارادة فان لم تعلم ارادته لم يكن امرا
واختلفوا هل تعتبر ارادة الافراد ارادة المأمور به فاعتبر بعضهم ارادة
الامر المنطوق به واعتبر آخرون منهم ارادة الفعل المأمور به والذي عليه
جمهور الفقهاء ان الامر دليل على الارادة وليست الارادة شرطا في صحة
الامر وان كانت موجودة مع الامر فيستدل بالامر على الارادة ولا يستدل
بالارادة على الامر

فصل

ومن صحة الامر ان يكون بما لا يمنع منه العقل فان منع منه العقل لم يصح
الامر به لخروج التكليف عن محظورات العقول واختلف هل يعتبر صحة
تحسنه في العقل فاعتبره فريق واسقطه فريق واذا لم يكن يستوعب

نصوص الشرع قضايا العقول كلها جاز العمل بمقتضى العقل فيها واختلف
في الحاقها باحكام الشرع فالحقها فريق بها وجعلها داخلة فيها لان الشرع
لايخرج عن مقتضاها واخرجها فريق منها وان جاز العمل بها كالمشروع
لان الشرع متبوع والعقل متبوع

فصل

والامر يكون بالقول او ما قام مقام القول اذا عقل منه معنى الامر واختلف
فيه متى يكون امرا فذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون امرا وقت
القول ويتقدم على الفعل وذهب شاذ من الفقهاء والمتكلمين الى انه
يكون امرا وقت الفعل وما تقدمه من القول اعلام بالامر وليس بامر
وهذا فاسد لان الفعل يجب بالامر فلو لم يكن ما تقدمه امرا لاحتاج مع
الفعل الى تجديد امر

فصل

والامر ضربان امر اعلام وامر الزام فاما امر الاعلام فمختص بالاعتقاد دون
الفعل ويجب ان يتقدم الامر على الاعتقاد بزمان واحد وهو وقت العلم
به واما امر الالزام فمتوجه الى الاعتقاد والفعل فيجمع بين اعتقاد الوجوب
وايجاد الفعل ولا يجزيه الاقتصار على احدهما فان فعله قبل اعتقاد
وجوبه لم يجزه وان اعتقد وجوبه ولم يفعله كان ماخوذا به ولا يلزم تجديد

الاعتقاد

الاعتقاد عند فعله اذا كان على ما تقدم من اعتقاده لان الاعتقاد تعبد
التزام والفعل تارة مستحق ويجب ان يتقدم الامر على الفعل بزمان الاعتقاد
واختلف في اعتبار تقديمه بزمان التاهب للفعل على مذهبين احدهما
وهو قول شاذ من الفقهاء يجب تقديمه على الفعل بزمانين احدهما زمان
الاعتقاد والثاني زمان التاهب للفعل وبه قال من المتكلمين من اعتبر
القدرة قبل الفعل والمذهب الثاني وهو قول جمهور الفقهاء يعتبر تقديم
الامر على الفعل بزمان الاعتقاد وحده والتاهب للفعل شروع فيه فلم
يعتبر تقدمه عليه وبه قال من المتكلمين من اعتبر القدرة مع الفعل

الباب الرابع في اثبات النبوات

والانبياء هم رسل الله تعالى الى عباده باوامره ونواهيه زيادة على ما اقتضته
العقول من واجباتها وازاحة لما جوزته من مباحاتها لما اراده الله تعالى
من كرامة العاقل وتشريف افعاله واستقامة احواله وانتظام مصالحه
حين هياه للحكمة وطبعه على المعرفة ليجعله حكيما وبالعواقب عليما لان الناس
بنظرهم لا يدركون مصالحهم بانفسهم ولا يشعرون لعواقب امورهم بغرايزهم
ولا ينزجرون مع اختلاف هممهم دون ان يرد عليهم اداب المرسلين واخبار
القرون الماضين فتكون اداب الله فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة واوامره
فيهم ممتثلة ووعده ووعيده فيهم زاجرا وقصص من غبر من الامم واعظا

فان الاخبار العجيبة اذا طرقت الاسماع والمعاني الغريبة اذا ايقظت الاذهان
استعدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها، واكثر الناس سماعا اكثرهم خواطر
واكثرهم خواطر اكثرهم تفكرا، واكثرهم تفكرا اكثرهم علما، واكثرهم علما اكثرهم
عملا، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل، ولا منهم في انتظام الحق بدل، وانكر
فريق من الامم نبوات الرسل وهم فيها ثلاثة اصناف، احدها ملحدة دهرية
يقولون بقدم العالم وتدبير الطبايع فهم بانكار الرسل اجدر ان يقولوا
بانكار الرسل، والصنف الثاني براهمة موحدة يقولون بحدث العالم
ويجحدون بعثة الرسل ويبطلون النبوات وهم المنسوبون الى بهرمن صاحب
مقالتهم وشذ فريق منهم فادعى انه آدم ابو البشر ومنهم من قال هو ابراهيم
ومن قال من هذه الفرقة الشاذة منهم انه احد هذين اقر بنبوتهما وانكر
نبوة من سواهما وجمهورهم على خلاف هذه المقالة في اعترافهم لصاحب
مقالتهم وانكار جميع النبوات عموما، والصنف الثالث فلاسفة لا يتظاهرون
بابطال النبوات في الظاهر وهم مبطلوها في تحقيق قولهم لانهم يقولون
ان العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة
ليضعها من كملت رياضته اذا كان عليها مطبوعا، واختلف من ابطل
النبوات في علة ابطالها، فذهب بعضهم الى ان العلة في ابطالها ان الله
تعالى قد اغنى عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما ياتي به الرسل وهذا

فاسد

الصانع

فاسد من وجهين احدهما انه لا يمنع ما دلت عليه العقول جواز ان ياتي به
الرسل وجوبا، ولو كان العقل موجبا لما امتنع ان ياتي به الرسل وجوبا
ولو كان العقل موجبا لما امتنع ان ياتي به الرسل تأكيدا كما تترادف دلائل
العقول على التوحيد ولا يمنع وجود بعضها من وجود غيرها، والثاني انه
لا تستغني قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين، احدهما ان قضايا
العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه ادلتها فانحسم ببعثة الرسل اختلافها
والثاني انه لا مدخل للعقول فيما ياتي به الرسل من الوعد والوعيد والجنة
والنار وما يشرعونه من اوصاف التعبد الباعث على التأله فلم يغن عن
بعثة الرسل، وذهب آخرون منهم الى ان العلة في ابطال النبوات ان بعثة
الرسل الى من يعلم من حالهم انهم لا يقبلون منهم ما يبلغوه اليهم عبث يمنع
منه حكمة الله تعالى، وهذا فاسد من وجهين احدهما انه ليس بعبث ان
يكون فيهم من لا يقبله كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على
توحيده كذلك بعثة الرسل والثاني ان وجود من يقبله منهم على هذا التعليل
يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون من ارسالهم الى من يقبل ومن لا يقبل
فبطل هذا التعليل، وقال آخرون منهم بل العلة فيه ان ما جاءت به الرسل
مختلف ينقض بعضه بعضا وينسخ المتأخر ما شرعه المتقدم وقضايا
العقول لا تتناقض فلم يرتفع بما يختلف ويتناقض، وهذا فاسد من وجهين

احدهما ان ما جاء به الرسل ضربان، احدهما ما لا يجوز ان يكون الا على وجه
واحد وهو التوحيد وصفات الرب والمربوب فلم يختلفوا فيه واقوالهم
متناصرة عليه، والضرب الثاني ما يجوز ان يكون من العبادات على وجه ويجوز
ان يكون على خلافه ويجوز ان يكون في وقت ولا يجوز ان يكون في غيره وهذا
النوع هو الذي اختلفت فيه الرسل لاختلاف اوقاتهم اما بحسب الاصلح
واما بحسب الارادة وهذا في قضايا العقول جائز، والوجه الثاني ان قضايا
العقول قد تختلف فيها العقلاء ولا يمنع ذلك ان يكون العقل دليلا كذلك
ما اختلف فيه الرسل لا يمتنع ان يكون حجة، وقال آخرون منهم بل العلة
في ابطال النبوات انه لا سبيل الى العلم بصحتها لخفيها وان ظهر ما ليس في
الطباع من معجزاتهم متمنع بالطباع الدافعة لها فهذا فاسد من وجهين
احدهما ان المعجزات من فعل الله تعالى فيهم فخرجت عن حكم طباعهم والثاني
انهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا بما يخرج عن عرف
الطباع من الاعجاز وقال آخرون منهم بل العلة في ابطال النبوات ان
ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة قد يوجد مثله في اهل الشعبذة
والمخرقة واهل النارنجيات وليس ذلك من دلائل صدقهم فكذلك
احكام المعجزات، وهذا فاسد من وجهين احدهما ان الشعبذة تظهر لذوي
العقول، وتندلس على الغر الجهول فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول

والمخرقة

والثاني ان الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها فيصير
مكافيا لمن احسنها ويعارضها بمثلها والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير
صاحبها ولا يعارضه احد بمثلها كما انقلبت عصى موسى حية تسعى تلقف
ما افكه السحرة فخروا سجدا، ولكن كان في ابطال هذه الشبهة دليل
على اثباتها فيستدل على اثبات النبوات من خمسة اوجه وان اشتملت
تلك الاجوبة على بعضها احدها ان الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم
اليه من المصالح ولما كان في بعثة الرسل ما لا تدركه العقول كان ارسالهم
من عموم المصالح التي تكمل بها والثاني ان فيما تأتي به الرسل من الجزاء
بالجنة ثوابا على الرغبة في فعل الخير وبالنار عقابا يبعث على الرهبة في
الكف عن الشر صار اسبابا لائتلاف الخلق وتعاطي الحق، والثالث
ان في غيوب المصالح ما لا يعلم الا من جهة الرسل فاستفيد بهم ما لم يستفد
بالعقل، والرابع ان الشارع لا يخلص الا بالدين والدين لا يصلح الا بالرسل
المبلغين عن الله تعالى ما كلف، والخامس ان العقول ربما استكبرت
من موافقة الاكفاء ومتابعة النظراء فلم يجمعهم عليه الا طاعة المعبود
فيما اداه رسله فصارت المصالح بهم اعم والاتفاق بهم اتم والشمل
بهم اجمع، والتنازع بهم امنع، ويجوز اثبات التوحيد والنبوات بدقيق
الاستدلال كما يجوز بجليه فان ما دق في العقول هو ابلغ في الحكمة وقد

امنع بدل صح

تلوح لابن الرومى هذا المعنى فنظمه فى شعره فقال

غموض الحق حين يذب عنه ؛ يقلل ناصر الخصم المحق

يجل عن الدقيق عقول قوم ؛ فيقضى للمجل على المدق

فصل

فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات فهم رسل الله تعالى الى الخلق اما بخطاب مسموع او بسفارة ملك منزل ، ومنع قوم من مثبتى النبوات ان تكون نبوتهم عن خطاب او نزول ملك لانتفاء المخاطبة الجسمانية عنه لانه ليس بجسم والملائكة من العالم العلوى بسيط لا يهبط كما ان العالم السفلى كثيف لا يعلو ، واختلف من قال بهذا فيما جعلهم به انبياء ، فقال بعضهم صاروا انبياء بالالهام لا بالوحى وهذا فاسد من وجهين احدهما ان ما بطل به الهام المعارف فى التوحيد كان ابطال المعارف به فى النبوة احق ، والثانى ان الالهام خفى غامض يدعيه المحق والمبطل فان ميزوا بينهما طلب امارة وان عدلوا عن الالهام فذلك دليل يبطل الالهام ، وقال آخرون منهم انما صاروا انبياء لان لله تعالى فى العالم خواصا واسرارا تخالف مجرى الطبائع فمن اطلعه الله تعالى بها من خلقه استحق بها النبوة ، وهذا فاسد من وجهين احدهما خفاؤها فيه عن غير دليل على صدقه ، والثانى انه يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه فصار كغيره

وقال آخرون بل صاروا انبياء لان الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون به الى حقائق الامور فلا يشتبه عليهم منها ما يشتبه على غيرهم فصاروا انبياء بعقولهم لا عن ربهم وهذا فاسد من وجهين احدهما ان هذا يقتضى فضل العلم فى حقه ولا يقتضيه فى حق غيره ، والثانى انه ان اخبر عن نفسه لم يكن رسولا وان اخبر عن ربه كان كاذبا ، وقال آخرون انما صاروا انبياء لان النور فيهم صفا ونما بالنور الاعظم الالهى الذى تخلص به الافهام وتصح به الاوهام ، حتى ينتقلوا الى الطباع الروحانية ، ويزول عنهم كدر الطباع البشرية فيخرجوا عن سنخ الكائنات بصفاء نورهم وخلاصهم وهذا قول الثنوية وهذا فاسد من وجهين احدهما انهم دفعوا اسهل الامرين من بعثة الرسل باغلظهما من اعطاء نوره واولى ان يدفعوا عن الاغلظ بما دفعوا به عن الاسهل ، والثانى انهم اثبتوا به ممازجة البارى سبحانه فى ما اختص بذاته ومخالفة الذات تمنع من ممازجته ، والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة الجسمانية عمن ليس بجسم من وجهين احدهما انه لا يمتنع ان يظهر منه كخطاب الاجسام وان لم يكن جسما كما يظهر منه كافعال الاجسام وان لم يكن جسما ، والثانى ان الله تعالى يجوز ان يودع خطابه فى الاجسام حتى تعيه الاذان وتفهمه القلوب بقدرته التى اخفاها عن خلقه ، والجواب عما ذكروه من ان جرم الملائكة

فى الاسماع [نسخة]

علوى لا ينهبط من وجهين احدهما انه ليس يمتنع ان ينتقل جرم سماوى
لطيف الى جرم ارضى كثيف اما بزيادة او انقلاب كما يقولون فى العقل
والنفس انهما جرمان علويان هبطا الى الجسم فحلا فيه والثانى انهم يقولون
بانقلاب الاجرام الطبيعيات فيقولون ان الهوى المركب من حرارة و
رطوبة اذا ارتفعت حرارة ببرودة صار ماء باردا وان الماء المركب
من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء وان الهواء
المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت رطوبته بيبوسة صار نارا
فاذا جاز ذلك عندهم فى انقلاب الطبايع كان فى فعل الله تعالى اجوز
وهو عليها اقدر ولا يمكن ان يدفع اقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع
الا بمثلها وان خرج عن حجاج امثالنا لينقض قولهم بقولهم فلا يتدلس
به باطل ولا يضل به جهول فما يضل عن الدين الا قادح فى اصوله ومزر
على اهله

فصل

فاذا ثبت ان النبوة لا تصح الا ممن ارسله الله تعالى بوحيه اليه فصحتها
فيه معتبرة بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته احدها ان يكون
مدعى النبوة على صفات يجوز ان يكون مؤهلا لها لصدق لهجته وظهور
فضله وكمال حاله فان اعتوره نقص او ظهر منه كذب لم يجز ان يؤهل للنبوة
من عدم آلتها وفقد اماراتها بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

خالد

خالد بن الوليد الى بعض احياء العرب يدعوهم الى الاسلام فقالوا يا خالد
صف لنا محمدا قال بالمجاز ام بالاطناب قالوا بالمجاز قال هو رسول الله والرسول
على قدر المرسل والشرط الثانى اظهار معجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله
لكونه مضاهية للافعال الالهية ليعلم انها منه فيصح بها دعوى رسالته لانه
لا يظهرها من كاذب عليه ويكون المعجز دليلا على صدقه وصدقه دليلا على صحة
نبوته والشرط الثالث ان يقترن بالمعجز دعوى النبوة فان لم يقترن بالمعجزة
دعوى لم يصر بظهور المعجزة نبيا لان المعجز يدل على صدق الدعوى فكان
صفة لها فلم يجز ان تثبت الصفة قبل وجود الموصوف فان تقدم ظهور
المعجز على دعوى النبوة كان تأسيسا للنبوة ككلام عيسى عليه السلام فى المهد
تأسيس لنبوته فاحتاج مع دعوى النبوة احداث معجز يقترن بها ليدل على
صدقه فيها وان تقدمت دعوى النبوة على المعجز اكتفى بحدوث المعجز بعدها
عن اقترانه بها لان استصحاب الدعوى مقترن بالمعجز فان ظهر المعجز المقترن
بالدعوى لبعض الناس دون جميعهم نظر فان كانوا عددا يتواتر بهم الخبر
ويستفيض فيهم الاثر كان الغائب عنه محجوجا بالشاهد له فى لزوم الاجابة
والانقياد للطاعة كما يكون العصر الثانى محجوجا بالعصر الاول وان كانت
الشاهد للمعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر ولا يتواتر بهم الاثر لامكان تواطئهم
على الكذب ويتوجه الى مثلهم الخطأ والزلل كان المعجز حجة عليهم ولم يكن حجة

على غيرهم حتى يشاهدوا من المعجز ما يكونوا محجوجين، وسواء كان من جنس
الاول او من غير جنسه فان قصر من شاهد الاول عن عدد التواتر، وقصر
من شاهد الثاني عن عدد التواتر لم يثبت حكم التواتر فيهما ولا في واحد منهما
لجواز الكذب عن كل واحد من العددين

فصل

واذا كان حجج الانبياء على اممهم هو المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق
عادة البشر من خصال لا تستطاع الا بقدرة الهية تدل على ان الله تعالى
خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوة
اذا وصل ذلك منه في زمان التكليف، واما عند قيام الساعة اذا سقطت
فيه احوال التكليف فقد يظهر فيه من اشراطها ما يخرق العادة فلا يكون
معجز المدعي نبوة، وانما اعتبر في المعجز خرق العادة لان المعتاد يشمل
الصادق والكاذب فاختص غير المعتاد بالصادق دون الكاذب، واذا
تقرر ان المعجز محدود بما ذكرناه من خرق العادة فقد ينقسم ما خرج عن
العادة على عشرة اقسام احدها ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع
الاجسام وقلب الاعيان واحياء الموتى، فقليله وكثيره معجز لخروج
قليله عن القدرة كخروج كثيره، والقسم الثاني ما يدخل جنسه في قدرة البشر
لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطي الارض البعيدة في المدة القريبة

فيكون

فيكون معجزا لخرق العادة، واختلف المتكلمون في المعجز منه فعند بعضهم ان
ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه بالمعجز، وعند
اخرين منهم ان جميعه يكون معجزا لاتصاله بما لا يتميز منه، والقسم الثالث
ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالاخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزا
بشرطين احدهما ان يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق، والثاني ان يتجرد
عن سبب يستدل به عليه، والقسم الرابع ما خرج نوعه عن مقدور البشر
وان دخل جنسه في مقدور البشر كالقرآن في خروج اسلوبه عن اقسام الكلام
فيكون معجزا لخروج نوعه عن القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة ويكون
العجز مع القدرة على آلته من الكلام ابلغ في المعجز، والقسم الخامس ما يدخل في افعال
البشر ويفضي الى خروجه عن مقدار البشر كالبرء الحادث عن المرض والزرع
الحادث عن البذر فان برأ المرض المزمن لوقته واستحصد الزرع المتأكل قبل
اوانه كان لخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة، والقسم السادس عدم
القدرة عما كان داخلا في القدرة كانذار الناطق بعجزه عن الكلام واخبار
الكاتب بعجزه عن الكتابة فيكون ذلك معجزا يختص بالعاجز ولا يتعداه
لانه على يقين من عجز نفسه وليس غيره على يقين من عجزه، والقسم السابع
انطاق حيوان او حركة جماد فان كان باستدعائه او عن اشارته كان
معجزا له وان ظهر بغير استدعاء ولا اشارة لم يكن معجزا له وان خرق

العادة لانه ليس اختصاصه به باولى من اختصاصه بغيره وكان من نذر الوقت
وحوادثه والقسم الثامن اظهار الشئ فى غير زمانه كاظهار فاكهة الصيف
فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فان كان استبقاؤهما فى غير زمانهما
ممكنا لم يكن معجزا وان لم يكن استبقاؤهما كان معجزا سوآء ابدا باظهاره او طولب
به والقسم التاسع انفجار الماء وقطع الماء المنفجر اذا لم يظهر لحدوثه اسباب
من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة به والقسم العاشر اشباع العدد الكثير
من الطعام اليسير وارواؤهم من الماء القليل يكون معجزا فى حقهم وغير معجز
فى حق غيرهم لما قدمناه من التعليل وهذه الاقسام ونظائرها الداخلة فى حدود
الاعجاز متساوية الاحكام فى ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على ما ادعاه من
النبوة وان تفاوت الاعجاز فيها وتباين كما ان دلائل التوحيد قد تختلف
فى الخفآء والظهور وان كان فى كل منها دليل فاما فعل ما يقدر البشر على ما تقاربه
وان عجزوا عن مثله فليس بمعجز لان الجنس مقدور عليه وانما الزيادة فضل
خرق به كالصنايع التى يختلف فيها اهلها فلا يكون لاحذقهم بها معجز يجوز
ان يدعى به النبوة فان قيل فقد جآء زرادشت وبولص بآيات مبهرة
ولم تدل على صدقهما فى دعوى النبوة قيل لانهما قد اكذبا انفسهما ما ادعياه
فى الله تعالى مما يدل على جهلهما به لان بولص يقول ان عيسى اله وزعم
زرادشت ان الله تعالى كان وحده ولا شئ معه فحين طالت وحدته فكر فتولد

من فكرة اهرمن وهو ابليس فلما مثل بين عينيه اراد قتله وامتنع منه فلما
راى امتناعه وادعه الى مدة وسالمه الى غاية ومن قال بهذا فى الله تعالى
ولم يعرفه لم يجز ان يكون رسولا ثم دعوا الى القبائح والافعال السيئة
كما شرع زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الامهات وعبادة النيران
وكذلك بولص ومانى فخذلهم الله تعالى ولو دعوا الى محاسن الاخلاق كانت
الشبهة بهم اقوى والاغترار بهم اكثر ولكن الله تعالى عصم بالعقول من
استرشدها وقاد الى الحق من استيقظ بها

والاخلاق

فصل

ولا يجوز ان يظهر الله تعالى المعجز ممن يجعله دليلا على صدقه فى غير النبوة وان
كان فيه مطيعا لان النبوة لا يوصل الى صدقه فيها الا بالمعجز لانه مغيب
لا يعلم الا منه فاضطر الى الاعجاز فى صدقه وغير النبوة من اقواله وافعاله
قد يعلم صدقه فيها بالعيان والمشاهدة ويخرج عن صورة الاعجاز وان
تحدث لا تشتبه معجزات الانبيآء بغيرها واما مدعى الربوبية اذا
ظهر ايات باهرة فقد ذهب قوم الى انها قد تكون معجزة بطلت بكذبه فلم
يمتنع لظهور بطلانها ان توجد منه وان لم توجد منه اذا كان كاذبا فى ادعاء
النبوة لانه لم يقترن بدعواه ما يبطلها كمدعى الربوبية والذى عليه قول
الجمهور انه لا يجوز ان يظهر المعجز على مدعى الربوبية كما لا يجوز ان يظهر على

[illegible]

مدعي النبوة لان معصيته في ادعاء الربوبية اغلظ، والكفر فيها اعظم
فكان بان لا تظهر عليه اجدر، واذا استوضح ما اظهره مدعي الربوبية من
الايات ظهر فسادها وبان اختلالها فخرجت عن الاعجاز الى سحر او شعبذة

فصل

ولما علم الله تعالى ان اكثر عباده لا يشهدون حجج رسله، ولا يحضرون آيات
انبيائه، اما لبعد الدار، او لتعاقب الاعصار، طبع كل فريق على الاخبار،
بما عاين فيعلم الغائب من الحاضر، ويعرف المتأخر من المعاصر، وقد علم مع
اختلاف الهمم ان خبر التواتر اذا انتفت عنه الريب حتى لا يعترضه شك
وصدق لا يشتبه بافك، فصار وروده كالعيان في وقوع العلم به اضطرارا
فثبتت به الحجة ولزم به العلم، وقد قال الطفيل مع اعرابيته في وقوع
العلم باستفاضة الخبر ما دلته عليه الفطرة وقاده اليه الطبع، فقال

تأوبني هم من الليل منصب ∴ وجاء من الاخبار ما لا يكذب
تظاهرن حتى لم يكن لي ريبة ∴ ولم يك عما اخبروا متعقب

فصل

واما ما يجوز لمدعي النبوة فينقسم ثلاثة اقسام، احدها ان يكلمه الله تعالى
بغير واسطة والثاني ان يخاطبه بواسطة من ملائكته، والثالث ان يكون
عن رؤيا منام، فاما القسم الاول اذا كلمه الله تعالى بغير واسطة مثل كلامه

لموسى

لموسى عليه السلام حين نودي من الشجرة على ما قدمناه من الاختلاف في
صفته فيعلم اضطرارا انه من الله تعالى وفيما يقع به علم الاضطرار في كلامه
لاهل العلم قولان احدهما انه يضطره الى العلم به كما يضطر خلقه الى العلم
بسائر المعلومات، فعلى هذا يستدل بمعرفة كلامه على معرفته ويسقط عنه تكليف
معرفته ويجوز ان يكون كلامه من غير جنس كلام البشر للاضطرار الى معرفة
ما تضمنه، والقول الثاني انه يقترن بكلامه من الآيات ما يدل على انه منه
فعلى هذا لا يسقط منه تكليف معرفته ولا يصح ان يكلمه الا بكلام البشر لعدم
الاضطرار الى معرفته واما القسم الثاني ان يكون خطابه بواسطة من
ملائكته الذين هم رسله الى انبيائه فعلى الانبياء معرفة الله تعالى قبل
ملائكته في رسالته، وطريق علمهم به الاستدلال ثم يصير بعد نزول الملائكة
بمعجزاتهم الباهرة علم الاضطرار وعلى الملائكة اذا نزلوا بالوحي على الرسول
اظهار معجزتهم له كما يلزم الرسول اظهار معجزته لامته، روي ان جبريل عليه
السلام لما تصدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة في الوادي قال
له قل يا محمد للشجرة اقبلي فقال لها ذلك فاقبلت، وقال له قل لها ادبري
فقال لها ذلك فادبرت فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسبي
يعني في العلم بعدم شك فيما اتيتني به عن ربه فتستدل الرسل بالمعجزات على
تصديق الملائكة بالوحي وتستدل الامم بمعجزات الانبياء على تصديقهم

بالرسالة ويكون خطاب الملك لفظا ان كان قرانا او ما قام مقام اللفظ
ان كان وحيا ولا يجوز ان يؤدى الملك الى الرسول ما تحمله عن ربه الا بلسان
الرسول كما لا يؤدى الرسول الى قومه الا بلسانهم ويكون الملك واسطة
بين الرسول وبين ربه والرسول واسطة بين الملك وبين قومه وما يؤده
الملك الى الرسول ليؤديه الرسول الى قومه ضربان قرآن ووحى، فاما القرآن
فيلزم الملك ان يؤديه الى الرسول بصيغة لفظه وليس للملك ولا للرسول
ان يعدل بلفظه الى غيره ويكون ما تضمنه من الخطاب المنزل متوجها الى الرسول
والى الامة، واما الوحى اذا تضمن تكليفا بامر او نهى فضربان احدهما ان يكون
نصا غير محتمل وصريحا غير متأول، فهذا يعلمه الرسول من الملك بنفس الخطاب
وتعلمه الامة من الرسول بالبلاغ من غير نظر ولا استدلال وليس للملك ولا للرسول
ان يعدل بالنص الى اجمال او احتمال له، والضرب الثانى ان يكون من المجمل
او المحتمل لمعان مختلفة فهذا يعلم المراد به من دليل يقترن بالخطاب، ودليله
ضربان احدهما عقل المستمع والثانى توقيف المبلغ فاما ما عقل دليله ببديهة
العقل فمحمول على مقتضى العقل ويكفى فيه تبليغ الخطاب، واما ما دليله التوقيف
الذى لا مدخل فيه لبداية العقول كالعادات فمحمول على التوقيف من الله تعالى
الى ملائكته ومن الملائكة الى الرسول ومن الرسول الى امته فاما معرفة الملك
من ربه فهو غير مشاهد لذاته، واختلف اهل العلم فى معرفته به على مذهبين كالرسول

وسمع
كالعبادات

ان كلم



ان كلم احدهما بان يضطره الى العلم به، والثانى بسماع الخطاب المقترن
بالآيات واما معرفة الرسول من الملك ومعرفة الامة من الرسول فالرسول
مشاهد لذات الملك والامة مشاهدة لذات الرسول وللمشاهدة الذوات
تأثير فى العلم بمراد الخطاب فيتنوع بيان توقيفه فيما اريد بالخطاب انواعا
فيكون بعضه باللفظ الصريح، وبعضه بالرمز الخفى، وبعضه بالفعل الظاهر،
وبعضه بالاشارة الباطنة، وبعضه بالامارات التى تضطر المشاهد الى العلم
بما اريد بها وليس لها نعت موصوف ولا حد مقدر وانما يعلمه المشاهد
بمفهوم اسبابه فيصير البيان باختلاف انواعه توقيفا من الملك الى الرسول
ومن الرسول الى الامة ويجوز ان يختلف نوع بيانهما اذا عرف، فاما
القسم الثالث ان يكون عن رؤيا منام فان لم يكن ممن يصدق رؤياه لكثرة
احلامه لم يجز ان يدعى به النبوة وان كان ممن يصدق رؤياه، فقد روى
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا لم يجز
ان يدعى النبوة اول رؤيا لجواز ان يكون من حديث النفس وان الرؤيا قد
تصح تارة وتبطل اخرى فان تكررت رؤياه مرارا حتى قطع بصحتها ولم يخالجه
الشك فيها جاز ان يدعى بها النبوة فيما كان حفظا لما تقدمها من شرع
وبعثا على العمل بها من بعيد ولم يجز ان يعتقد بها فى نسخ شرع ولا استئناف
تعبد ويجوز ان يعمل على رؤيا نفسه فيما يلتزمه من استئناف شرع ولا يجوز

ان يعمل عليها فى نسخ ما لزمه من شرع ليكون بها ملتزما ولا يكون بها مسقطا

فصل

واما خطاب الرسول لامته فيما بلغهم من رسالة ربه بعد ظهور معجزته والاخبار بنبوته، ولزومه للامة معتبر بخمسة شروط احدها العلم بانتفاء الكذب عنه فيما ينقله عن الله تعالى من خبر ويؤديه من تكليف كما انتفى عنه الكذب فى ادعاء الرسالة ويكون المعجز دليلا على صدقه فى جميع ما تضمنته الرسالة، والثانى ان يعلم من حاله انه لا يجوز ان يكتم ما امر باداءه لان كتمانه يمنع من التزام رسالته لجواز ان يكتم اسقاط ما اوجب وان جاز ان يكتم بيانه قبل وقت الحاجة ولا يكون كتمانا والثالث ان ينتفى عنه ما يقتضى التنفير من قبول قوله لان الله تعالى حماه من الغلظة لئلا ينفر من متابعته وكان اولى ان لا ينفر عن قبول خطابه، والرابع ان يقترن بخطابه ما يدل على المراد به لينتفى عنه التلبيس والتعمية فى احكام الرسالة حتى يعلم حقوق التكليف وان جاز تعمية خطابه فيما لم يتضمنه التكليف قد اعترض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فى اطراف بدر وقال له من انت فقال من ماء فورى عن نسبه بما استبهم على سائله لخوف مما يؤديه شرعا الى امته والخامس العلم بوجوب طاعته ليعلم بها وجوب اوامره واختلف فى طاعته هل وجبت عقلا او سمعا بحسب اختلافهم فى بعثة الرسل هل هو من موجبات العقل ام لا

فصل

واذا

واذا تكاملت شروط الالتزام لم يخل خطابه من ان يكون مفهوما او مبهما فالمفهوم اربعة، النص، وفحوى الكلام، ولحن القول، ومفهوم اللفظ، وفحوى الكلام ما دل على ما هو اقوى من نطقه، ولحن القول ما دل على مثل نطقه، ومفهوم اللفظ ما اخوذ من معنى نطقه، فهذه الاربعة مفهومة المعانى بالفاظها مستقلة بذواتها معلومة المراد بظواهرها فلا احتياج بعد البلاغ الى بيان، واما المبهم فثلاثة المجمل والمحتمل والمشتبه، فاما المجمل فما اخذ بيانه من غيره ولا يدخل العقل فى تفسيره فلا يعلم الا بسمع وتوقيف واما المحتمل فهو ما تردد بين معان مختلفة فان امكن الجمع بين جميعها حمل على جميع ما تضمنه واستغنى عن بيان الا ان يرد بالاقتصار على بعضها بيان وان لم يمكن حملها على الجميع لتنافيها وكان المقصود احد معانيها فان امكن الاستدلال عليه بمخرج الخطاب او بشاهد الحال كان فيه بيان او تعذر بيانه من هذا الوجه حمل على عرف الشرع فان تعذر حمل على عرف الاستعمال فان تعذر حمل على عرف اللغة فان تعذر فبيانه موقوف على التوقيف، واما المشتبه فما اشكل لفظه واستبهم معناه روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله انك تاتينا بكلام لا نعرفه ونحن العرب حقا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ربى علمنى فتعلمت وادبنى فتادبت، فان تلوح فى المشتبه اشارة الى معناه جاز ان يكون استنباطه موقوفا على الاجتهاد، وان تجرد عن اشارة كان موقوفا على التوقيف

وعلى الرسول تبليغ بيانه كما كان عليه تبليغ اصله، وعلى من سمعه من الرسول
ان يبلغه من لم يسمعه حتى ينتقل الى عصر بعد عصر على الابد فيتعلمه القرن الثانى
من الاول والثالث من الثانى كذلك ابداً لتدوم الحجة بهم الى قيام الساعة
ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليبلغ الشاهد الغائب

فصل

فاما الفرق بين الانبيآء والرسل فقد جآء بهما القرآن جمعا ومفصلا لقول
الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ الّا اذا تمنى القى الشيطان
فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله اياته، واختلف اهل العلم
فى الانبيآء والرسل على قولين احدهما ان الانبيآء والرسل واحد فالنبى
رسول والرسول نبيّ والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي مأخوذ من
النبآء وهو الخبر ان همز لانه مخبر عن الله تعالى ومأخوذ من النبوة ان لم يهمز
وهو الموضع المرتفع وهذا اشبه لان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان
يخاطب بهما، والقول الثانى انهما يختلفان لان اختلاف الاسمآء يدل على
اختلاف المسمى والرسول اعلى منزلة من النبي ولذلك سميت الملائكة رسلا
ولم يسموا انبيآء، واختلف من قال بهذا فى الفرق بينهما على ثلاثة اقاويل
احدها ان الرسول هو الذى تنزل عليه الملائكة بالوحى والنبى هو المحدث الذى
لا يبعث الى امة قاله قطرب، والقول الثالث ان الرسول هو المبتدئ بوضع

الشرائع والاحكام والنبى هو الذى يحفظ شريعة غيره قاله الجاحظ

فصل

واذا نزل الوحى على الرسول وعين له على زمان الابلاغ لم يكن له تقديمه عليه
ولا تأخيره عنه وان لم يعين له على زمانه فعليه تبليغه فى اول اوقات امكانه فان
خاف من تبليغ ما امر به شدة الاذى وعظم الضرر لزمه البلاغ ولم يكن الاذى
عذرا له فى الترك والتأخير لان الانبيآء يكلفون من احتمال المشاق ما لا
يكلفه غيرهم لعظم منزلتهم وما اُشعاه من القوة على تحمل مشاقهم وان خاف
منه القتل، فقد اختلف المتكلمون فى وجوب البلاغ فذهب بعضهم الى اعتبار
امره بالبلاغ فان امر به مع تخوف القتل لزمه ان يبلّغ وان قتل، وان امر به
مع الامن لم يلزمه البلاغ اذا خاف القتل، وذهب اخرون منهم الى اعتبار
حاله فان لم يبق عليه من البلاغ سوى ما يخاف منه القتل لزمه البلاغ وان
قتل وان بقى عليه من البلاغ سوى ما يخاف منه القتل فان لم يكن الامر
بالبلاغ مرتبا لزمه ان يقدم بلاغ ما يأمن منه القتل ثم يبلغ ما يخاف منه
القتل فان قتل فان كان الامر بالبلاغ مرتبا بابتدآء ما يخاف منه القتل
فان الله تعالى يعصمه من القتل حتى يبلغ جميع ما امر به لما تكفل به من اكمال
دينه، والله تعالى اعلم

وسمه
وما امده وابه

الباب الخامس فى مدة العالم وعدة الرسل

مدة الدنيا من ابتداء خلق العالم الى انقضائه وفنائه سبعة آلاف سنة
على ما جاءت به التوراة المنزلة على موسى عليه السلام وذكره انبياء بنى اسرائيل
وقد وافق عليه من قال بتسيير الكواكب وانها مسير الكواكب السبعة مسير
كل كوكب منها الف سنة وقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال الدنيا سبعة آلاف سنة انا فى آخرها الفا وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم بعثت والساعة كهاتين وجمع بين اصبعيه الوسطى والسبابة يعنى
ان الباقى منها كزيادة الوسطى على السبابة وروى سلمة بن عبد الله الجهنى
عن ابى سجعة الجهنى عن ابى رجل الجهنى انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
رأيتك على منبر فيه سبع درج وانت على اعلاها فقال الدنيا سبعة الاف
سنة انا فى آخرها الفا وروى ابو نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلوة العصر يقول ايها الناس
ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون واخذ
فى خطبته الى ان قال لا اعرفن رجلا منعته مهابة الناس ان يتكلم بحق اذا
رآه وشهده ثم قال وقد ازف غروب الشمس ان مثل ما بقى من الدنيا فيما
مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه بدوائكم سبعون امة قد توفى تسع
وستون وانتم آخرها فصارت هذه المدة المقدرة فى عمر الدنيا سبعة
الآف سنة متفقا عليها فيما تضمنته الكتب الالهية ووردت به الانباء

البنوية

البنوية مع ما سلك به الموافق من تسيير الكواكب السبعة وان كان المعول
فى المغيب على الانباء الصادقة الصادرة عن علام الغيوب الذى لم يشرك
فى غيبه الا من اطلعه عليه من رسله فخلق العالم فى ستة ايام ابتداؤها يوم
الاحد وانقضاؤها يوم الجمعة واختلف اهل الكتب السالفة واهل العلم
فى شرعنا فيما ابتدئ بخلقه على ثلاثة اقاويل احدها وهو قول طائفة انه بدأ
بخلق الارض فى يوم الاحد والاثنين لقول الله تعالى ائنكم لتكفرون بالذى
خلق الارض فى يومين وخلق الجبال فى يوم الثلاثاء وخلق الماء والشجر
فى يوم الاربعاء وخلق السماء فى يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم
والملائكة وآدم فى يوم الجمعة قال الشعبى ولذلك سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه
خلق كل شىء والثانى وهو قول فريق انه بدأ بخلق السموات قبل الارض فى يوم
الاحد والاثنين لقول الله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى
فى كل سماء امرها فيه ثلاثة اوجه احدها اسكن فى كل سماء ملائكتها والثانى
خلق فى كل سماء ما اودعه فيها من شمس وقمر ونجوم والثالث اوحى الى اهل كل
سماء من الملائكة ما امرهم به من العبادة ثم خلق الارض والجبال فى يوم الثلاثاء
والاربعاء وخلق ما سواهما من العالم فى يوم الخميس والجمعة والثالث وهو
قول اخرين انه خلق السماء دخانا قبل الارض ثم فتقها سبع سموات بعد
الارض لقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض

ائتيا طوعا او كرها فيه ثلاثة تأويلات احدها اى اعطيا الطاعة فى السير
المقدر لكما باختيار او اجبار قاله سعيد بن جبير، والثانى اخرجا ما فيكما
طوعا او كرها، والثالث كونا كما اردت من شدة ولين وحزن وسهل وممتنع
وممكن قالتا اتينا طائعين اى كما اردت ان نكون وفى قولهما ذلك وجهان
احدهما ان ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما، والثانى انه خلق فيهما كلاما
نطق بذلك، قال ابو النضر السكسكى فنطق من الارض موضع الكعبة و
نطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيها حرمه

فصل

فاما آدم فهو آخر ما خلق الله تعالى فى يوم الجمعة خلقه من تراب الارض ونفخ
فى انفه من نسمة الحياة فهو انفس من كل ذى حياة، روى ابو زهير عن ابى
موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلق آدم من قبضة قبضها
من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود
وبين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب وبين ذلك وفى تسميته
بآدم قولان احدهما انه اسم عبرانى نقل الى العربية، والقول الثانى انه
اسم عربى وفيه قولان احدهما انه سمى بذلك لانه خلق من اديم الارض وادمها
وجهها، والثانى انه سمى بذلك لاشتقاقه من الادمة وهى السمرة فلما تكامل
خلق آدم استوحش فخلق له حوا، واختلف فيما خلقت منه على قولين احدهما

انه خلقها من مثل ما خلق منه آدم وهذا قول تفرد به ابن بحر، والقول الثانى
وهو ما عليه الجمهور انه خلقها من ضلع آدم الايسر بعد ان القى عليه النوم حتى
لم يجد لها مسا، قال ابن عباس فلذلك تواصلا ولذلك سميت امرأة لانها
خلقت من المرء، وفى تسميتها حوا قولان احدهما لانها خلقت من حى، والثانى
لانها ام كل حى، فقال آدم لما خلقت منه حوا هذا الشخص عظم من عظمى ولحم
من لحمى فلذلك صار الرجل والمرأة كجسد واحد من شدة الميل وفضل
الحنو قال الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
يعنى آدم وخلق منها زوجها يعنى حوا، فروى عن النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال خلق الرجل من التراب فهمه فى التراب وخلقت المرأة
من الرجل فهمها فى الرجل، واختلف فى الوقت الذى خلقت فيه حوا على
قولين احدهما انها خلقت منه فى الجنة بعد ان استوحش من وحدته وهذا
قول ابن عباس وابن مسعود، والقول الثانى انها خلقت من ضلعه قبل دخوله
الجنة ثم ادخلا معا اليها وهو اشبه بقول الله تعالى وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين، قال ابن عباس خلق آدم يوم الجمعة وادخل يوم الجمعة واخرج
منها يوم الجمعة وفيها تقوم الساعة واختلف فى الجنة التى اسكنها على [في الهامش: اسكنهما]
قولين احدهما انها جنة الخلد، والقول الثانى انها جنة اعدها الله تعالى

لها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء وفيها على هذا قولان
احدهما انها في السماء لانه اهبطهما منها والقول الثاني انها في الارض
لانه امتحنهما فيها بالامر والنهي واختلف في الشجرة التي نهيا عن اكلها
فقيل انها شجرة الخلد وقيل انها شجرة العلم وفي هذا العلم قولان احدهما علم
الخير والشر والثاني علم ما لم يعلم وقيل في الشجرة غير ذلك من الاقاويل فلما
اكلا منها بدت لهما سوآتهما بالمعصية وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
قال الله تعالى فازلهما الشيطان عنها حين بعثهما على اكل الشجرة فاخرجهما
مما كانا فيه وفيه تأويلان احدهما مما كان فيه من الطاعة الى ما صار اليه
من المعصية والثاني مما كانا فيه من النعيم في الجنة الى ما صار اليه من النكد
في الارض فحزن آدم حين اهبط الى الارض وبقي في حزنه مائة سنة لا يقرب
فيه حوا ثم غشيها فولدت له بعد المائة قابيل ثم غشيها فولدت له هابيل فقتل
قابيل هابيل فحزن آدم لذلك حزنا شديدا وقيل انه جعل حزنه جزاء على
معصيته في الاكل وقد يعاقب الآباء في اولادهم من اجل معاصيهم ثم خف
حزنه فغشي حوا فولدت له شيثا وعلم آدم الاسماء كلها كما ذكره الله تعالى
في كتابه وفيما علمه من الاسماء قولان احدهما علم النجوم قاله حميد والثاني
انها اسماء مسميات وفيها ثلاثة اقاويل احدها اسماء الملائكة قاله الربيع
بن انس والثاني اسماء جميع ذريته قاله عبد الرحمن ابن زيد والثالث

اسماء

اسماء جميع الاشياء وفيه على هذا قولان احدهما ان تعليمه كان مقصورا
على الاسماء دون معانيها والثاني انه علمه الاسماء ومعانيها لانه لا فائدة
في علم الاسماء بلا معان لان المعاني هي المقصودة والاسماء دلائل عليها

فصل

ولما هبط آدم الى الارض قيل انه اهبط الى شرق ارض الهند وحوا بجده
وابليس على ساحل نهر الابلة والحية في البرية وكانت نبوة آدم مقصورة عليه
وما نزل عليه من الوحي متوجها اليه فكان من المصطفين دون المرسلين
واختلف فيه اهل الكتاب هل خلق في ابتدائه قابلا للموت او جعل الموت عقوبة
له على معصيته فقال بعضهم خلق آدم في ابتداء نشأته على الطبيعة الباقية
والطبيعة المنية ليكون ان مال الى الشهوات الجسمانية وآثرها وقع في التغاير
الجسمانية وناله الموت وان آثر فضائل النفس الامارة بالخير نال البقاء
الذي سعدت به الملائكة فلم تمت فلما عصى باكل الشجرة عدل الى التغاير
فناله الموت واستشهدوا عليه من التوراة بما ذكر فيها انك ان كلت من
الشجرة يوم تأكل منها موتا تموت فلم يجز ان يتوعده بالموت عند معاقبته
وهو يموت لو لم يعاقب وقال آخرون منهم وهو اشبه بمقتضى العقول انه
خلق في ابتداء انشائه قابلا للموت في الدنيا وان لم يعص لانه احوج الى
الغذاء كذريته وليس شيء من الجواهر التي لا ينالها الموت محتاجة الى الغذاء

ولم يجعل الموت عقوبة على المعصية ولذلك لم يمت من عصى من الملائكة وان
في التوراة مكتوب ان مد يده في الجنة الى شجرة الحياة واكل منها حيي الدهر
كله فدل على انه مطبوع على قبول الموت ولما خلق الله تعالى آدم ابتداء ولم
يخلقه بتوسط طبيعة كما خلق نسله كان على افضل اعتدال واكمل عقل فصار
قلبه معدنا للحكمة الانسانية وجسده مهيئا للافعال البشرية فلم يمتنع عليه
شيء منها حتى احاط علما وقدرة بجميعها ولذلك علم الاسماء كلها والهم
الحكمة باسرها واطلع على اسرار النجوم وعللها وعرف منافع الحيوان والنبات
ومضارها ولولا ذلك لما فرق بين الغذاء والدواء ولا بين السموم القاتلة
والشفاء ولا اهتدى بالنجوم في بر ولا بحر وكان هو المدبر لاولاده مدة
حياته حتى مات بعد تسعمائة وثلاثين سنة من عمره ثم قام بالامر من بعده شيث
بن آدم وبرع في الحكمة وفاق في علم النجوم بما اخذه عن ابيه آدم وبما استفاده
بالتجربة ومرور الزمان واختلف اهل الكتاب في نبوة شيث فادعاها بعضهم
وانكرها آخرون منهم وولد بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر ابيه آدم ومات
وله تسعمائة واثنا عشر سنة فكان قيامه بالامر بعد موت آدم مائتان واثنا
عشر سنة واتفق اهل الكتاب انه لم يكن بين شيث وادريس نبي غير ادريس
ثم قام بالامر بعد شيث ولده انوش بن شيث وكان مولده بعد مائتين
وخمسين سنة من عمر شيث ومات انوش وله تسعمائة وخمسون سنة فكان

قيامه بالامر بعد شيث مائتين وثمانية وثمانين سنة ثم قام بالامر بعد انوش
ولده قينان وله تسعمائة وعشرين سنة فكان قيامه بالامر بعد انوش مائة
وتسعين سنة ثم قام بالامر بعد قينان ولده مهلاييل وولد بعد ثمان مائة
وخمس وسبعين سنة فكان قيامه بالامر بعد قينان مائة وعشر سنين ثم قام
بالامر بعد مهلاييل ولده يادر بن مهلاييل وولد بعد مائة وخمس وستين
سنة من عمر مهلاييل ومات يادر وله تسعمائة واثنان وستون سنة فكان
قيامه بالامر بعد مهلاييل مائتين واثنين وخمسين سنة ثم قام بالامر بعد
يادر ولده خنوخ بن يادر وهو ادريس وولد بعد مائة واثنين وستين
سنة من عمر يادر وهو نبي في قول جميع اهل الملل واختلف اهل الكتاب هل هو
اول الانبياء او ثانيهم فقال من زعم ان شيثا نبي هو ثاني الانبياء وقال
من زعم ان شيثا ليس بنبي ان ادريس اول الانبياء وهو اول من شرع
الاحكام واول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله تعالى وسبا وقتل بني
قابيل ولبس الثياب وكانوا يلبسون الجلود واول من كتب الخط في قول
الاكثرين واول من وضع الاوزان والكيول ثم رفعه الله تعالى اليه حيا بعد
سبع مائة وخمس وثمانين سنة من عمره اقام فيها داعيا وابوه حي على ما
يقتضيه تاريخ هذه المواليد والاعمار المأخوذة من التوراة المنزلة قال ابن
قتيبة وسمي ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسنن الاسلام

فصل

ثم كثر الناس فافترقوا بعد ادريس وزادوا الى زمن نوح بن لمك بن متوشلخ
ابن اخنوخ وهو ادريس وهو آخر نبي بعث قبل الطوفان على قول من زعم ان شيثا
نبي ونزل الطوفان بعد ستمائة سنة من عمره وانذر قومه فكذبوه وصنع
السفينة فسخروا منه وامره الله تعالى ان يصنعها في طول ثلاثمائة ذراع وعرض
خمسين ذراعا وعلو ثلاثين ذراعا وتكون ثلاث طبقات يركب فيها هو واهله
ويأخذ من كل جنس من الحيوان زوجا ذكرا وانثى ليكونوا اصولا لنسلهم
فيحيى بهم العالم ثم وعده ان يستمطره بعد سبعة ايام اربعين يوما واربعين
ليلة فلم يبق في الارض ذو روح الا من ركبها وغاض الطوفان بعد مائة
وخمسين يوما فاستوت على الجودي وهو جبل بارض الجزيرة شهرا وسمي الماء
طوفانا لانه طغا فوق كل شيء، واختلف فيما عاش نوح بعد الطوفان فقال
الاكثرون ثلاثمائة وخمسين سنة وهو ظاهر ما نزل به القرآن وقال آخرون
ستمائة وخمسون سنة لانه لبث تسعمائة وخمسين سنة داعيا لقوله وكان
رقبل دعاءه ثلاثمائة سنة، واختلف فيما بين هبوط آدم من الجنة الى مجئ
الطوفان فقال اثنان وسبعون حبرا من بني اسرائيل نقلوا التوراة الى
اليونانية بينهما الفان ومائتان واثنان واربعون سنة ثم تبلبلت
الالسن بعد الطوفان بستمائة وسبعين سنة فافترق اثنان وسبعون

لسانا في اثنين وسبعين امة قال وهب بن منبه منها في ولد سام بن نوح
تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة
وثلاثون لسانا ومن تبلبل الالسن الى مولد ابراهيم الخليل عليه السلام اربعمائة
واحد عشر سنة ومن مولد ابراهيم الى موسى بن عمران عليه السلام اربعمائة وعشرون
سنة واخرج بني اسرائيل من مصر بعد ثمانين سنة ودبر امرهم اربعين سنة
ومات وله مائة وعشرون سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى ثلاثة
الاف وثمانمائة وثمانية وستون سنة وقال آخرون من بني اسرائيل المقيمين
على التوراة العبرانية التي يتداولها جمهور اليهود في وقتنا ان من هبوط
آدم من الجنة الى مجئ الطوفان الف وستمائة وست وخمسون سنة ومن
انقضاء الطوفان الى تبلبل الالسن مائة واحدى وثلاثون سنة ومن
تبلبل الالسن الى مولد ابراهيم مائة واحدى وستون سنة ومن مولد ابراهيم
الى وفاة موسى خمسمائة وخمس واربعون سنة فصار من هبوط آدم الى
وفاة موسى الفين واربعمائة وثلاث وتسعون سنة وقالت السامرة من
اليهود عن تاريخ توراتهم ان من هبوط آدم من الجنة الى مجئ الطوفان الف
وثلثمائة وسبع وستون سنة ومن الطوفان الى تبلبل الالسن خمسمائة
وست وعشرون سنة ومن تبلبل الالسن الى مولد ابراهيم اربعمائة واحدى
عشرة سنة ومن مولد ابراهيم الى وفاة موسى خمسمائة وخمس واربعون سنة

ح ... الطوفان بعد ستمائة سنة من عمره ... [illegible]

فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى الفين وثمان مائة وتسع واربعون سنة واول
نبي بعده نوح وابراهيم وهو اول من قص شاربه واستحد واختتن وقلم اظفاره
واستاك وتمضمض واستنشق واستنجى بالماء واول من اضاف الضيف
واطعم المساكين وثرد الثريد وكان داعيا الى عبادة الله تعالى وتوحيده ثم ولده
اسحق بن ابراهيم ولد له عيصوا ويعقوب توأمين في بطن واحد فخرج عيصوا
ثم خرج بعده يعقوب ويده عالقة على عقبه فسمي يعقوب فعيصوا ابو الروم
وكان اصفر فلذلك سميت الروم بني الاصفر ويعقوب هو اسرائيل ابو الاسباط
وايوب ابن بولص كان ابوه ممن آمن بابراهيم يوم احرق وكان في زمن يعقوب
وكان صهره زوجه بعقوب بنته ليا وهي التي ضربها بالضغث واول نبي
من بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى وكانت نبوة يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
ومن بعده من ولده قبل موسى مقصورة على انفسهم حتى دعا موسى الى نبوة
بني اسرائيل ومن وفاة موسى الى ملك بخت نصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة
والى ملك الاسكندر الف واربعمائة وثلاثة عشرة سنة وولد عيسى ليلة الاثنين
الخامس والعشرين من كانون الاول لسبعمائة وتسع وثلاثين سنة من ملك
بخت نصر وثلثمائة واربع سنين من ملك الاسكندر ومن ملك بخت نصر
الى ابتداء الهجرة الف وثلثمائة وتسع وستون سنة ومن ملك اسكندر
الى ابتداء الهجرة الفان وثلثمائة وسبع واربعون سنة فكان بين موت موسى

وابتداء

وابتداء الهجرة الفان وثلثمائة وتسع واربعون سنة وتولد عيسى بعد الف
وسبعمائة وسبع عشرة سنة من موت موسى وقيل ستمائة وثلاثين سنة
من ابتداء الهجرة

فصل

فاذا تقرر ما ذكرناه من مدة الدنيا انها مقدرة في الكتب الالهية سبعة آلاف
سنة كان الماضي منها الى ابتداء الهجرة محمولا على ما قدمناه من اختلاف اهل
التوراة فيكون على القول الاول المأخوذ عن الاحبار الناقلين لها الى اليونانية
ستة آلاف ومائتين وست عشرة سنة والباقي من عمر الدنيا على قولهم بعد
الهجرة سبعمائة واربع وثمانون سنة وهو موافق لقول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها الفا ويكون الماضي منها
على القول الثاني المأخوذ عن التوراة العبرانية اربعة آلاف وثمانمائة واحدى
واربعون سنة والباقي من عمر الدنيا على هذا القول بعد الهجرة الفان ومائة
وتسع وخمسون سنة وقيل انهم قالوا ذلك ليكون رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في خامسها الفا فيدفعوه بنقصان التاريخ عن صفته في التوراة
انه مبعوث في آخر الزمان ويكون الماضي على القول الثالث في توراة السامرة
خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة والباقي من عمر الدنيا على هذا القول
بعد الهجرة الف وثمانمائة وثلاث وثلاثون سنة ليكون الرسول في سادسها

الفا لما قيل من سنيه والسامرة قوم ناقلة من بلاد المشرق سموا بذلك لان
تفسيره بالعربية الحفظة وهم لا يقبلون من كتب الانبياء الا التوراة وحدها
والاول لاجل قول الرسول بالاشبه وان كان قيام الساعة وانقراض مدة
الدنيا وقيام العالم على هذا التاريخ الذي اثبتوه والتقدير الذي حققوه
مدفوعا عندنا بقول الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وفيه تأويلان
احدهما ان قيامها مختص بعلمه فامتنع ان يشاركه في علمها احد من خلقه
والثاني ان قيامها موقوف على ارادته فامتنع ان يوقف على غير ارادته وقال
تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة يعني فجاءة والبغتة غير معلومة
فامتنع ان تكون عندهم معلومة ثم قال فقد جاء اشراطها فيه وجهان احدهما
نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا يدل على انه مبعوث في اخرها الفا
والثاني ان اشراطها الآيات المنذرة بها كما قال وما نرسل بالآيات الا تخويفا
فلا تقوم الساعة الا بعد ان ينذر الله تعالى بآياتها روى سفيان بن عيينة
عن فرات عن ابي الطفيل عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اشرف علينا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من علية ونحن نتذاكر امر الساعة قال
ما كنتم تذاكرون قلنا قيام الساعة قال ان الساعة لن تقوم حتى يكون
قبلها عشر آيات قال لا ادري بايهن بدأ طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان ودابة الارض ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج

وثلاث

وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
وآخر ذلك نار تخرج من قبل اليمن او من عدن تطرد الناس الى محشرهم
وروى برد عن مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يخرج الدجال في الثمانين فان لم يخرج ففي ثمانين ومائتين فان لم
يخرج ففي ثلاثمائة وثمانين فان لم يخرج ففي اربعمائة وثمانين وروى
معاذ بن جبل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر الدجال فقال يقيم
فيكم اربعين سنة اول سنة كالشهر ثم الثانية كالجمعة ثم الثالثة كاليوم
وسائر سنيه كالساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فيوجره الحربة فيذوب
كما يذوب الرصاص وفي هذا دليل على تقدم يأجوج ومأجوج الدجال وآخرها
الذي تقوم به الساعة ظهور النار والله اعلم بما استأثر بغيبه ثم من اطلعه
عليه من رسله

فصل

وبين موسى وعيسى عليهما السلام من الانبياء اشعيا وهو الذي بشر بني اسرائيل
بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه بعد ان بشر بعيسى فقتله بنو
اسرائيل ثم حزقيل وهو الذي اصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم
حذر الموت فاماتهم الله ثم احياهم ومنهم دانيال سباه بخت نصر مع
العزير انزل من بخت نصر افضل منزل لرؤيا عبرها له وقبره بناحية

السوس وجده ابو موسى الاشعرى فاخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه ومنهم
الياس بعث الى اهل بعلبك وكانوا يعبدون صنما يقال له بعل وكان
ملكهم اسمه اجب وامراته ازبيل وكان يستخلفها على ملكه وهى بنت ملك
سبا وعمرت عمرا طويلا وتزوجها سبعة من ملوك بنى اسرائيل وهى التى قتلت
يحيى بن زكريا عليهما السلام ثم رفع الله تعالى الياس ثم اليسع كان تلميذ
الياس فدعا له الياس فنباه الله بعده ثم يونس بن متى ثم زكريا قتله بنو
اسرائيل فى الشجرة ثم عيسى ويحيى فاما يحيى فان اجب الملك قتله بحيلة
امراته ازبيل واما عيسى فان امه هربت به من اجب الملك الى مصر ودعا
بن يوسف النجار مع امه الى قرية تدعى ناصره فلذلك قيل لاصحابه نصارى
لانهم سموه عيسى الناصرى واصحاب الكهف هم فتية من الروم دخلوا الكهف
قبل المسيح عيسى وضرب الله على اذانهم فيه فلما بعث المسيح اخبر بخبرهم
ثم بعثهم الله تعالى بعد المسيح فى الفترة بينه وبين النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وجرجيس من اهل فلسطين ادرك بعض الحواريين وبعث الى ملك
الموصل فاما لقمان فكان عبدا حبشيا لرجل من بنى اسرائيل وكان فى زمن
داود واسم ابيه تاران واختلف فى نبوته فزعم الاكثرون انه لم يكن نبيا
وقال سعيد بن المسيب كان نبيا وكان خياطا وذو الكفل من بنى اسرائيل
بعث الى ملك كان فيهم يقال له كنعان دعاه الى الايمان وكفل له بالجنة

ولن

وكتب له كتابا يسمى ذا الكفل بالكفالة وذكر وهب ابن منبه ان الانبياء كلهم
مائة الف نبى واربعة وعشرون الف نبى الرسل منهم ثلثمائة نبى وخمسة
عشر نبيا منهم خمسة عبرانيون آدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم وخمسة
من العرب هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم وروى
ابو صالح عن ابن عباس قال بعث الله الى اهل الرس والرس البئر نبيا
منهم يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فاوحى الله تعالى الى نبى
كان مع بخت نصر يقال له ارميا بن برخيا مر بخت نصر يغزو العرب
الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم وخالد بن سنان روى
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذاك نبى اضاعه قومه
وذلك انه قال لقومه ادفنونى فاذا جائت الظباء بعد ثلاث فاخرجونى
فسانبئكم بما امرت فجائت الظباء الى قبره بعد ثلاث فلم يخرجوه وقالوا
تتحدث العرب عنا انا نبشنا موتانا واتت بنته رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فسمعته يقرا قل هو الله احد فقالت قد كان ابى يقراها ولا
يضبط ذكر من سلف من الانبياء مع كثرتهم وقول الله تعالى لنبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص والله تعالى اعلم

الباب السادس فى اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

الكلام فى اثبات نبوته يتقرر مع المعترفين ببعثة الرسل لان منكريها

يعمون الجميع بها ويدفعون كل مدع لها والكلام معهم قد قدمناه في اثبات
النبوات على العموم. فاما نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اختلف
فيها مخالفوه من مثبتي النبوات على اقوال شتى فمنعت اليهود من نبوته
لامتناعهم من نسخ الشرع. واختلفوا في المانع من نسخه فمنع منه بعضهم
بالعقل لان نهي الله تعالى عما امر به وامره بما نهى عنه انما يكون لخفاء
المصلحة عليه في الابتداء وظهورها له في الانتهاء والله تعالى اعلم بها في الحالين
لتباين الضدين. ومنع منه بعضهم بالشرع وان جوزوه في العقل بما نقلوه
عن موسى عليه السلام وذكروه في التوراة انه قال تمسكوا بالسبت ابدا سنة
الدهر وكلا الوجهين فاسد من وجهين احدهما ان العقل لا يمنع من الامر
بالشيء في زمان والنهي عنه في غيره بحسب المصلحة في قول من اعتبرها
او بالارادة في قول من اعتمدها ولا يكون مستقبحا من فعل حكيم كما يغني
من افقر ويفقر من اغنى اما للمصلحة او بالارادة ولا يكون ذلك منه لاستبهام
المصلحة واشكال الارادة. والثاني ان موسى قد نسخ شرع من تقدمه
لان آدم زوج بنيه بناته وجوز يعقوب الجمع بين الاختين ونكح ابراهيم
بنت اخيه وكل هذا عند موسى منسوخ بشرعه فجاز ان ينسخ شرعه بشرع
غيره. وقال آخرون محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبي مبعوث الى قومه
من العرب وليس بنبي لغيرهم وهذا فاسد من وجهين احدهما انه تخصيص

بغير

بغير دليل والثاني ان ثبوت نبوته في قومه موجب لصدقه وقد قال انه بعث
الى كافة الخلق وانه خاتم الانبياء فلم يجز رد قوله مع ثبوت صدقه وقال
آخرون هو نبي مبعوث الى من لم يتمسك بشرع من عبدة الاوثان وليس
بمبعوث الى من تمسك بشرع من اليهود والنصارى وهذا فاسد من وجهين
مع الوجهين المتقدمين احدهما انه يدفع به عن نسخ الشرع وقد دللنا على
جوازه والثاني ان من اعترف بالنبوات كانت الزم له من جحدها وقال
آخرون ليس بنبي لانه لم يات بمعجزة قاهرة يضطر الى صدقه كمعجزة موسى
وعيسى وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من الشرائع وفي هذا يتعين اقامة
الدليل على اثبات نبوته وهو معتبر بثلاثة شروط احدها وصف المستدل
والثاني حكم المدلول عليه والثالث صفة الدليل فاما الشرط الاول في صفة
المستدل فقد اختلف فيه فذكر الجاحظ انه العقل لانه المميز للحق
وقال الاكثرون المستدل هو العاقل والعقل آلة استدلاله ليتوصل به
الى صحة مدلوله واما الشرط الثاني في حكم المدلول عليه فعند فريق انه
اثبات نبوته ليعلم بها صدق قوله وعند الاكثرين انه اثبات صدقه ليعلم
بقوله صحة نبوته واما الشرط الثالث وهو الدليل فمحتاج تنوع انواعها
لان المستدل واحد والمدلول عليه واحد والدليل يشتمل على اعداد متنوعة
وشواهد مختلفة فرق الله تعالى بينها لتكون الحجج متغايرة والبراهين

متناظرة بحسب ما علمه من المصلحة ورآه من اسباب الاجابة كما قال تعالى
وكذلك نصرف الايات اى نخالف بينها فى المعجزات فكان بعضها حجة
قاطعة وبعضها امارة لائحة تجرى عليها احكام ما قاربها فتقوى بعد الضعف
وتجلى بعد الكشف وان لم تكن الانذار بانفرادها من قواطع الحجج المغنية
عن دليل يحج فهذا القول فى نبوة غيره فلا يلزم تطابق حججهم كما لم يلزم
اتفاق شرايعهم وقد قدمنا اقسام المعجزات فاذا ظهرت احداهن حجت
ودلت على صحة النبوة وقد ظهر فى نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اكثرها
مع ما تقدمها من انذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من اخبار فصارت اعم
النبوات اعجازا واوضحها طريقة وامتيازا واكثرها تأييدا الهيا وتعبدا شرعيا
تقهر شواهدها من باين وعاند وتجلى دلائلها من ناكر وجاحد لان المهيا لامر
مطبوع على آلته ومنقاد الى غايته حتى يتدرج اليه بغير تكلف ويستقر
فيه بغير تصنع فلا يشتبه من تعاطاه بمن طبع له لعدم التطبع بنشية المطبوع
ولم تزل امارات النبوة لائحة فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين
تدرج اليها وهو غافل عنها وغير متصنع لها فنهض باعبائها حين انته
وقام بحقوقها حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها الى ان تكامل به
الشرع فتم على اصل مستقر وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا يأباه قلب
ولا تنفر منه نفس ونشأ دهرا اميا لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فاوضح

كل

كل ملتبس وبين كل مشتبه حتى رجع كثير من الملل الى شريعته فى علم
ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوعب اقسامها وبين احكامها
وما ذاك الا بعون الهى وتأييد لاهوتى وحسبك بهذا شاهدا لو اقتصرنا
عليه وحجاجا لو اكتفينا به ولكن سنذكر من معجزاته الفاخرة وبراهينه
الواضحة ما يرد كل جاحد ويصد كل معاند من انواع متغايرة واخبار
متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها بعضا ليكون تغايرها جامعا
لكل برهان وتظاهرها دافعا لكل بهتان فمنها ما تقدمه من نذير وبشير
ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما قارنه من اقوال وافعال صدرت
منه واليه فلم يبق من الآيات ما اخل به ولا من الاعلام ما قصر فيه
وسنذكرها ابوابا مفصلة وانواعا متميزة لتكون اصح بيانا واوضح
برهانا واحقها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن لانه اصل شريعته
ومستودع رسالته ثم نتلوه بما يقتضيه وان كان لو ذكرناه اول مباديه
على سياق منتهاه الى غايته لكان نظاما ولكن هذا باب حجاج لرسالته
وليس بشرح لسيرته فوجب ابتداؤه باخصها ثم ذكر سيرته على ترتيبها

الباب السابع فيما تضمنه القرآن من انواع اعجازه

والقرآن اول معجز دعا به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى نبوته فصدع
فيه برسالته وخص باعجازه من جميع رسله وان كان كلاما ملفوظا

وقولا محفوظا، لثلاثة اسباب صار بها من اخص اعجازه، واظهر
اياته احدها ان معجز كل رسول موافق للاغلب من احوال عصره،
وان تبع المنتشر فى ناس دهره لان موسى عليه السلام حين بعث
فى عصر السحرة خص من فلق البحر يبسا، وقلب العصا حية ما بهر
كل ساحر، واذل كل كافر، وبعث عيسى عليه السلام فى عصر الطب
خص من ابراء الزمنى، واحياء الموتى بما ادهش كل طبيب،
واذهل كل لبيب، ولما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى عصر
الفصاحة والبلاغة، خص بالقران فى ايجازه واعجازه بما عجز
عنه الفصحاء، واذعن له البلغاء، وتبلد فيه الشعراء، ليكون العجز
عنه اقهر، والتقصير فيه اظهر، فصارت معجزاتهم وان اختلف
متشاكلة المعانى متفقة العلل، والثانى ان المعجز فى كل قوم بحسب
افهامهم، وعلى قدر عقولهم واذهانهم، وكان فى بنى اسرائيل من قوم
موسى وعيسى بلادة وعبادة لانه لم ينقل عنهم ما تدون من كلام
مستحسن، او يستفاد من معنى مبتكر، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم
يعكفون على اصنام لهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة، فخصوا من الاعجاز
بما يعقلون اليه ببداية حواسهم، والعرب اصح الناس افهاما، واحدهم
اذهانا، قد ابتكروا من الفصاحة ابلغها، ومن المعانى اغربها، ومن

الاداب احسنها، فخصوا من معجز القران بما تجول فيه افهامهم، وتصل
اليه اذهانهم، فيدركوه بالفطنة دون البديهة، وبالروية دون
البادرة، ليكون كل امة مخصوصة بما يناسب طبعها ويوافق فهمها،
والثالث ان معجز القران ابقى على الاعصار، وانشر فى الاقطار،
من معجز يختص بحاضره، ويندرس بانقراض عصره، وما دام اعجازه
فهو احج، وما لاختصاص احق

فصل

واعجاز القران فى خروجه عن كلام البشر واضافته الى الله تعالى
يكون من عشرين وجها احدها فصاحته وبيانه، وذلك معتبر بثلاثة
شروط احدها بلاغة الفاظه والثانى استيفاء معانيه، والثالث
حسن نظمه، فاما بلاغة الفاظه فيكون من وجهين احدهما جزالتها
حتى لا تلين، والثانى انطباعها حتى لا تجفوا، واما استيفاء معانيه
فيكون من وجهين، احدهما ان يكون المعنى لائحا فى مبادى الفاظه
غير مفتقر الى مقاطعه، والثانى ان يكون المعنى مطابقا لالفاظه
فلا يزيد عليها ولا ينقص عنها فان زاد كان الاختلال فى اللفظ وان
نقص كان الاختلال فى المعنى، واما حسن نظمه فيكون من وجهين،
احدهما ان يكون الكلام متناسبا لا يتنافر، والثانى ان يكون

الوزن معتدلا لا يتباين، فان قيل قد يجتمع في كلام البشر ما يستكمل
هذه الشروط فبطل به الاعجاز، فالجواب عنه من وجهين احدهما
ان اسلوب نظمه على هذه الشروط معدوم في غيره فافترقا والثاني
ان لنظم الفاظه بهجة لا توجد في غيره فاختلفا، لانك اذا جمعت
بين قول الله تعالى ولكم في القصاص حيوة، وبين قولهم القتل انفى
للقتل وجدت بينهما فرقا في اللفظ والمعنى **فصل** والوجه الثاني
من اعجازه ايجازه عن هذر الاكثار واستيفاء معانيه في قليل الكلام
كقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء
وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين،
فان قيل ليس جميعه وجيزا مختصرا وفيه المبسوط والمكرر، وبعضه
افصح من بعض، ولو كان من عند الله لتماثل ولم يتفاضل لان التفاضل
في كلام من يكل خاطره، وتضعف قريحته، فعنه جوابان احدهما ان
اختلافه في البسط والايجاز ليس للعجز عن تماثله ولكن لاختلاف الناس
في تصوره وفهمه، وتفاضله في الفصاحة بحسب تفاضل معانيه لا للعجز
عن تساويه، والثاني انه خالف بين مبسوطه ومختصره، وبين افصحه
واسهله، ليكون العجز عن اسهله وابسطه ابلغ في الاعجاز من العجز
عن افصحه واخصره، ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق ما بين

الفاضل

الفاضل والمفضول، وقد حكى ابو عبيدة ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ
فاصدع بما تؤمر فسجد، وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام فاما تكرار
قصصه وتكرار وعده ووعيده، فلاسباب مستفادة منها انها
في التكرار اوكد، وفي المبالغة ازيد ومنها انها تتغاير الفاظها فتكون
الى القبول اسرع وفي الاعجاز ابلغ ومنها انها ان اخل بالوقوف
عليها في موضع ادركها في غيره فلم يخل من رغب ورهب **فصل**
والوجه الثالث من اعجازه ان نظم اسلوبه ووصف اعتداله يخرج
عن منظوم الكلام ومنثوره، ولا يدخل في شعر ولا رجز، ولا سجعة
ولا خطبة، حتى تجاوز محصور اقسامه وباين سائر انواعه باسلوب
لا يشاكل، ونظم لا يماثل، فصار وان كان من حروف الكلام خارجا
عن اقسام الكلام، فقال انيس الغفاري وهو اخو ابي ذر الغفاري
وكان من الموصوفين بالتقدم في البلاغة والفصاحة عرضت القران
على السجع والشعر والنظم والنثر فلم يوافق شيئا من طرق كلام
العرب، وحكي عن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان سيد عشيرته
وافصح قومه، انه جاء الى اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو على كفره فقال اقرؤا علي شيئا من القرآن فقرؤا عليه فقال
ليس هذا من كلام البشر وليس بشعر فمضى اليه ابو لهب وقال افسدت

وزنا بهذا القول فارجع عنه فقال اقول انه سحر وقد تعاطاه من
الشعراء ما خرج عن اسلوبه الى طريقة شعره فقال في قصة الفيل

الا من ملك الفيل ∴ ومن سار مع الفيل
بطير صبه الله ∴ عليهم من ابابيل
ومنهم بجنادل ∴ ترى من طين سجيل
فاضحى القوم في القاع ∴ كعصف غير مأكول

فلم يساعده الطبع عليه مع اخذ معانيه واستعمال الفاظه
حتى عاد الى مطبوع شعره وضمن آخر من الشعراء شيئا منه في شعره
فخرج عن اسلوبه حيث يقول

وقد جعلنا ليصدع قلبي ∴ والهوى يصدع الفؤاد السقيما
ارايت الذي يكذب بالدين ∴ فذاك الذي يدع اليتيما

فان قيل لو كان لنظم القرآن اسلوب معجز لما طلب عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه عند جمع القرآن من يأتيه بالآية والآيتين شهودا
انه سمعه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولاكتفى باسلوب
نظمه عن بينة تشهد به ولكان لا يشتبه على ابن مسعود في المعوذتين
حين اخرجهما من القرآن ولا على ابي بن كعب في القنوت حين ادخله
في القرآن ولا على امرأة ابن رواحة في شعره حتى توهمه من القرآن

ففيه جوابان احدهما ان عمر التمس الشهادة في الآية والآيتين مما لا يكون
بانفراده معجزا لان الاعجاز مختص بما وقع به التحدي واقل ما يقع به
التحدي كاقصر سورة في القرآن آيات وحروفا وهي سورة الكوثر وما
قصر عنه الاعجاز فيه فكان طلبه للشهادة متوجها اليه والثاني انه طلب
الشهادة على محلها من اي سورة هي وفي اي موضع منها توضع وان
كان معلوم الاسلوب بالمباينة لان الله تعالى كان يأمر بوضع ما انزله
فيما يراه من السور لقوله ان علينا جمعه وقرآنه فاما ابن مسعود فلم ينكر
عليه اسلوب المعوذتين انهما من القرآن وانما حكهما من مصحفه لانه
ظن ان تلاوتهما قد نسخت واما ابي بن كعب فظن ان تلاوة القنوت
باقية ولم يعلم انها قد نسخت واما امرأة ابن رواحة فلم تكن من ذوي
الفصاحة والبلاغة فتفرق بين الشعر واسلوب القرآن فلم يكن
لوهمها تأثير **فصل** والوجه الرابع من اعجازه كثرة معانيه التي لا يجمعها
كلام البشر وذلك من وجهين احدهما ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني
كقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية
واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين والثاني ان الفاظه
تحتمل معاني متغايرة تتحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر وتكل فيها

القرائح ثم لا تبلغ اقصاه ولا تدرك منتهاه حتى اختلفت فيه الوجوه
وتغايرت فيه النظائر فان قيل فهذا الغاز ورمز هو بالذم منه اولى
بالحمد فعنه جوابان احدهما ان الالغاز وان ذم فالرمز ليس بمذموم
وليس فيه لغز وان كان فيه رمز والثاني ان ما اختلفت معانيه يخرج
عن اللغز والرمز لان اللغز ما اريد به غير معناه والرمز ما خفي معناه
فصل والوجه الخامس من اعجازه ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط
بها بشر ولا تجتمع في مخلوق فلم يكن الا من عند الله المحيط بكل شيء علما
حتى علمه من لم يكن به عالما فان قيل فضل العلم لا يكون اعجازا في النبوة
لان العلماء قد يتفاضلون ولا يكون للافضل اعجاز على المفضول فعنه
جوابان احدهما ان التفاضل في العلم موجود والاحاطة بجميع العلوم
مفقود والثاني ان ظهور العلم فيمن يتعاطاه ليس بمعجز لظهوره من
جهة وظهور العلم فيمن لم يتعاطه معجز لظهوره من غير جهته وقد كان
اميا من امة امية لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما فصار ما اظهره معجزا
فصل والوجه السادس من اعجازه ما تضمنه من الحجج والبراهين
على التوحيد والرجعة وعلى الدهرية والثنوية حتى قطع بحجاجه كل
محتج وخصم بجدله كل خصم فان قيل فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول
فلم يكن فيها اعجاز من وجهين احدهما وجودها من ذاته والثاني مشاركة

فيها

فيها لغيره والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يكن من اهل الجدل
فيقطع كل مجادل والثاني انه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول
فخصم كل عاقل فصل والوجه السابع من اعجازه ما تضمنه من اخبار
القرون الخالية وقصص الامم السالفة وما تحداه به اهل الكتاب
من قصة اهل الكهف وشأن موسى والخضر وحديث ذي القرنين فكان
على ما ذكره انبياؤهم وتضمنته كتبهم فان قيل فالاخبار بما كان ليس
بمعجز لان علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان احدهما انه ممكن فيمن علمها
وممتنع فيمن لم يعلمها ولم يكن من اهلها فعلمها فصار معجزا ممتنعا والثاني
انهم اقترحوا تحديه بما لم يكن مبتديا ولا كان له متشابها من غوامض اسرار
وغرائب اخبار جعلوها حجاجا له وعليه ففصح بالجواب عن سرائرها وصدع
بنعت غوامضها فخرج عن العرف الى ما ليس يعرف فصار معجزا
فصل والوجه الثامن من اعجازه ما تضمنه من علم الغيب باخبار تكون
فكانت كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه
ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم وكقوله لقريش فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلون فلم يفعلوا وكقوله
سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك في يوم بدر وكقوله

فى هجرته عن مكة الى المدينة ان الذى فرض عليك القرآن لرادك
الى معاد، فاعاده الله الى مكة عام الفتح الى غير ذلك من نظائره،
فان قيل فقد يكون ذلك حدسا باشباه الافعال وفراسة بفضل
الالمعية وقوة الفطنة فعنه جوابان احدهما ان الحدس والفراسة
وان اصاب بهما تارة فقد يخطئ بهما اخرى وهذا اصابه فى الجميع فخرج
عن الحدس والفراسة الى علم من لا تخفى عليه الغيوب، والثانى ان
الحدس والفراسة توهم غير مقطوع بهما قبل الوجود وهذه اخبار
بانه مقطوع بها قبل الوجود فافترقا فصل والوجه التاسع
من اعجازه ما فيه من الاخبار بضمائر القلوب التى لا يصل اليها الا
علام الغيوب، كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا من غير ان يظهر
منهم قول او يوجد منهم فشل وكقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم فكان كقوله وان لم
يتكلموا به الى غير ذلك من نظائره فان قيل فالجمع الكثير تختلف ضمائرهم
فى العرف فان وجد ذلك فى بعضهم لم يوجد فى جميعهم فان لم يخل
ان يعتقده بعضهم خلافه بعضهم فتقابل القولان فيهم وبطل الاعجازه
معهم فعنه جوابان احدهما انهم وجهوا بهذا الخبر على العموم فلم ينكروه
فزال بهذا التفصيل فصار معجزا والثانى انه جعله ذنبا لهم فلم ينفصلوا

منه

منه فدل على وجوده من جميعهم فصل والوجه العاشر من اعجازه
ان الفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل المستغرب، والسهل المستقرب،
فلا يتوعر جزله، ولا يسترذل سهله، ويكونان اذا اجتمعا مطبوعين
غير متنافرين ولا نجد ذلك فى غيره من كلام البشر لان جزله يتوعر،
وسهله يسترذل، والجمع بينهما يتنافر، فصار من هذا الوجه مباينا، وفى
الاعجاز داخلا، فان قيل انما كان القرآن كذلك لانه قد توطا بكثرة
التلاوة فاستلذته الاسماع، واستحلته الالسن، ولولاه لتباين
واختلف فعنه جوابان احدهما ان صفته عند اول سماعه ولو كان
لما ذكر من العلة لاختلف فى مباديه وغاياته، والثانى ان غيره من الكلام
المختلف لا يتوطا بكثرة ذكره فبطلت العلة فصل والوجه الحادى
عشر من اعجازه ان تلاوته تختص بخمسة بواعث عليه لا توجد فى غيره،
احدها هشاشة مخرجه، والثانى بهجة رونقه، والثالث سلاسة
نظمه، والرابع حسن قبوله، والخامس ان قارئه لا يكل وسامعه لا يمل
وهذا فى غيره من الكلام معدوم، فان قيل انما وقع فى النفوس هذا
الموقع للتدين بالتزامه، والتخصيص باعظامه، فعنه جوابان احدهما
ان هذا موجود فى غيره من كتب الله تعالى كالتوراة، والانجيل والزبور
وليس يوجد ذلك فيها مع وجود هذا التعليل، ولذلك ما استعان

الهما على استحلاء تلاوتها بما وضعوه لها من الالحان واستعذبوه لها
من الاصوات * والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه فلذلك بارع
وابهج الطباع * والثاني انه لا يسلب العقول تمييزها ولا يفسد
عليها تصورها وهو بان يزيدها بصيرة اولى ان ينقصها * ولو كان لهذه
العلة لجحده من كفر كما اعترف به من آمن وقول الجميع فيه سواء

فصل والوجه الثاني عشر من اعجازه انه منقول بالفاظ منزلة و
معان مستودعة وبلغه الملك بلفظه وعلى نظمه * واداه الرسول
الى الامة بتلك فلم ينحرم فيه لفظ ولا اختل فيه معنى ولا تغير له ترتيب
حتى صار من الزلل مضبوطا ومن التبديل محفوظا * تستمر به الاعصار
على شاكلته وتتداوله الالسن مع اختلاف اللغات على نظمه وصيغته
ولا يختلف بتعاقب الازمنة * ولا يختل بتباعد الامكنة ولا يتغير باختلاف
الالسنة وغيره من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان غوير الت
الفاظها * فان التوراة القى الله تعالى معانيها الى موسى عليه السلام
فذكرها بلفظه وعبر عنها بكلامه * والانجيل فهو ما اخبر به عيسى عليه السلام
عن ربه وعن نفسه فجمعه تلامذته بالفاظهم وجعلوه كتابا متلوا * و
الزبور فادعية وتسابيح تنسب الى داود عن لفظه ولئن
كانت معاني هذه الكتب مضافة الى الله تعالى فلست بصيغة

لفظه

لفظه على نظم كلامه كما نزل القرآن جامعا لالفاظه ومعانيه وترتيبه
فصار مباينا لجميع كتبه * وما هذا الا لمعونة الهية حفظ الله تعالى بها
اعجازه * وايد بها رسوله كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون * فان قيل فحفظ الكلام على صيغة لفظه واشتمال معانيه
لا يكون معجزا كاشعار الجاهلية القدماء * وامثال من سلف من الحكماء
فعنه جوابان احدهما ان في هذا محولا ومتروكا لم يحفظ * والثاني
انه لا يعلم حاله فلم ينضبط والقرآن مخالف لهما في حفظ وضبط

فصل والوجه الثالث عشر من اعجازه اقتران معانيه المتغايرة
واقتران نظايرها في السور المختلفة فيخرج في السورة من وعد الى
وعيد * ومن ترغيب الى ترهيب * ومن ماض الى مستقبل ومن قصص
الى مثل * ومن حكم الى جدل * فلا ينبو ولا يتنافر وهما في غيره من الكلام
متنافرة فتتجانس معانيها * وكذلك هما في غيره من الكتب المنزلة
مفصلة لكل نوع سفر فان التوراة مقسومة على خمسة اسفار
وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من المعاني المستودعة فيها فالسفر
الاول لذكر بدء الخلق والسفر الثاني لخروج بني اسرائيل من مصر *
والسفر الثالث لامر القرابين * والسفر الرابع لاحصاء موسى بني
اسرائيل وما دبرهم به * والسفر الخامس لتكرير النواميس وجعل

اختلاف معانيها موجبا لتفاضلها فكان افضل ما في التوراة عند
اليهود العشر الكلمات المشتملة على الوصايا التي خاطب الله تعالى
بها موسى وبها يستحلفون دون غيرها. وافضل ما في الانجيل الصحف
الاربعة المنسوبة الى تلامذة المسيح الاربعة وهي المخصوصة بالقراءة
في الصلوة والاعياد وافضل ما في الزبور ما اتفق اهل الكتابين
على اختياره وما اشتمل عليه القرآن من تغايرها اولى من وجهين احدهما
ان لا يختص قاريه باحدها فيعدل عن غيره. والثاني ان يستوعب اذا
اراد جميعها قراءة جميعه فيستكمل فوائده ويستجزل ثوابه. فان قيل
فالتفصيل ابلغ في البيان من الامتزاج فالجواب عنه ما ذكرناه من
الوجهين **فصل** والوجه الرابع عشر من اعجازه ان اختلاف آياته
في الطول والقصر لا يخرج عن اسلوبه ولا يزول عن اعتداله وغيره
من نظم الكلام ونثره اذا تفاصلت اجزاؤه زال عن وزن منظومه
واعتدال منثوره فصار ذلك من اعجازه. فان قيل زيادة طوله هدر
ونقصان قصره حصر فكيف يكون معجزا اذا تردد بين هدر وحصر
ففيه جوابان احدهما ان الزيادة تكون هدرا اذا لم تفد والنقصان
يكون حصرا اذا لم يقنع والزيادة من طوله مفيدة والنقصان
من قصره مقنع فخرج عن الهدر والحصر. والثاني ان الطويل لو انفرد

لم يكن

لم يكن هدرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرا. فلم يكن اجتماعهما موجبا
لهدر وحصر كاختلاف السور في القصر والطول. فان اقصر
السور سورة الكوثر وتشتمل مع قصرها على اربعة معان اخبار
بنعمة وامر بعبادة وبشرى بنصرة واسلوب هو معجزة فلم تخرج
اذا قرنت بما هو اطول ان تكون معجزة

فصل

والوجه الخامس عشر من اعجازه ان مكثر تلاوته لا يزداد به
فصاحة وان ازداد بغيره من فصيح الكلام لخروجه عن طباع
البشر خارجا فصار اسلوبه معجزا في الحالين وعلى كلا الوجهين
فان قيل ما لا يؤثر في الطباع ناقص عن الكمال فكيف يوصف
بالكمال. ففيه جوابان احدهما ان كماله فيه فلم يلزم تعديه والثاني
ان كماله يوجب المنع من تماديه

فصل

والوجه السادس عشر من اعجازه تيسيره على جميع الالسنة
حتى حفظه الاعجمي الابكم ودار به لسان القبطي الالكن ولا
يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجري به السنة البكم كجريها.
وما ذاك الا بخصائص الهية فضله بها على سائر كتبه. فان

قيل فقد يحفظ الشعر كحفظه والعلة فيه اعتدال وزنه الذي
يحفظ بعضه بعضا فلم يكن ذلك معجزا فعنه جوابان احدهما ان
ما اندرس من الشعر اكثر مما حفظ وهذا محفوظ لم يندرس ما خلفا
والثاني ما لم تشعه الافواه متروك والقران مستعذب غير
متروك فافترقا

فصل

والوجه السابع عشر من اعجازه ان الكلام يترتب ثلاث مراتب
منثور يدخل في قدرة الخلق وشعر هو اعلى منه يقدر عليه فريق
ويعجز عنه فريق وقران هو اعلى من جميعها وافضل من سائرها
تجاوز رتبة النوعين فخرج عن قدرة الفريقين فان قيل
لو كان القران برهانا معجزا لخرج كثيره وقليله عن القدرة وقليله
مقدور عليه وهو ان يجمع بين ثلاث كلمات منه او اربع فكذلك
كثيره لان الشيء اذا دخلت اوائله في جنس الممكن خرجت اواخره
من جنس الممتنع فعنه جوابان احدهما ان قليله وكثيره خارج
عن القدرة اذا انتظم اعجازه وهو كاقصر سورة منه فبطل
هذا الاعتراض والثاني انه ليس القدرة على الكلمة والكلمتين
منه قدرة على استكمال ما يقع من التحدي كالكلم في الشعر

سبعة صححه الجمهور

لاتكون

لاتكون قدرته على الكلمة والكلمتين من بيت من الشعر قدرة على
نظم بيت كامل من الشعر

فصل

والوجه الثامن عشر من اعجازه ان الزيادة فيه ممتازة وتغيير
الفاظه منه مفتضحة ولو كان في القدرة لالتبس ولو امكن لا
لتشبه فان قيل فقد زيد فيه فالتبس واشتبه وهو ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه سورة النجم بمكة قراها في
المسجد الحرام حتى بلغ الى قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ثم تمم السورة وسجد فسجد معه المسلمون
وفرح المشركون فسجدوا معه ورضيت كفار قريش بمن سمع
به من هاجر الى ارض الحبشة فعادوا الى ان انكر عليه جبريل فشق
عليه ونزل فيه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله اياته قالوا ومعلوم ان هذه الزيادة هي
في مثل اسلوب السورة وليست من الله تعالى وقد اشتبهت
فلم لا كان ما سواها بمثابتها فعنه جوابان احدهما ان هذه زيادة

لاتبلغ قدر التحدي فخرجت عن حكمه الثاني انه انزل فيها التي عندهم
ايها الغرانيق العلى وان شفاعتهم لترتجى فاشتبه على قريش
وحدقوا انه قول التي عندهم فنسخ الله تعالى لهذا الاشتباه
تلاوة هذه الزيادة فصل الوجه التاسع عشر من اعجازه
عجز الامم عن معارضته وقد تحداهم ان ياتوا بسورة مثله فلم يخرجهم
انفة التحدي وصبروا على نقص العجز مع شدة حميتهم وقوة انفتهم
وقد سفه احلامهم وسب اصنامهم ولو وجدوا الى المعارضة
سبيلا وكان في مقدورهم داخلا وقد جعله حجة لهم في رد رسالته
لعارضوه ولما عدلوا عنه الى بذل نفوسهم في قتاله وسفك دمائهم
في محاربته فان قيل فليس يمتنع ان يكونوا قد عارضوه بمثله فكتم كما كتم
ما هجي به من الاشعار وقرف به من المعارضة فعنه جوابان احدهما انهم
لو عارضوه لظهر ولو ظهر لانتشر لان تكاتم الاستفاضة لا يستطاع
لما في الطباع من الاذاعة وفي نفثات الصدور من الاشاعة
ولقيل قد عورض فكتم كما قيل هجي فكتم ولو جاز هذا في معارضة
القرآن لجاز مثله في معجزة كل نبي ان يقال قد عورض معجزه فكتم
فيفضي الى ابطال كل معجز هذا مدفوع في معارضة غير القرآن فكان
مدفوعا في معارضة القرآن والثاني انه قد جعل معارضته حجة

لهم في رد رسالته فلو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ولما احتاجوا
معه الى القتال والمحاربة مع بذل النفوس واستهلاك الاموال
ولدفعوه بالاهون دون الاصعب وقد نقل ما عورض به فظهر
فيه العجز وبان فيه النقص حتى فضحه ركاكة لفظه وسخافة
نظمه فحكى ابن قتيبة عن مسيلمة انه قال في معارضة القرآن
يا ضفدع نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين
فلما سمع هذا ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال ان هذا الكلام لم يخرج
من ال وحكى عن عبهرة واحسبه العنسي انه قال الم تر كيف
فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف
وحشى وحكى عن آخر الفيل وما الفيل له ذنب وبيل
ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا لقليل وحكى الحكم
عن عكرمة ان النضر بن الحارث وكان من فصحاء قريش عارض
القرآن فقال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات
طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فاللاقمات لقما
وقال آخر قد افلح من هينم في صلوته واطعم المسكين من مخلاته
واخرج الواجب من زكاته وقال آخر في معارضة سورة النجم
والنجم اذا سما والبحر اذا طما ما زاغ منذركم وما طغى

وما كذب بها وعوى فيما نطق به وروى فانزل الله تعالى في ذلك ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء فهذه المعارضة وقد اخذوا فيها مثالا عدلوا بها عن طوال السور الى قصارها فاتوا بسقيم الكلام دون سليمه وسخيفه دون جميله فكيف يقابل به غاية القصوى ويوازى به طبقة العليا وهل ذلك الا كمن عارض فصاحة سحبان بعي باقل او تخليط مجنون بحزم عاقل او قاس الدر بالمدر وشاكل بين الصفو والكدر ومن تعاطى ما ليس في طبعه افتضح فخر صريعا وهوى سريعا

فصل الوجه الخامس من اعجازه

الصرفة عن معارضته واختلف من قال بها هل صرفوا عن القدرة على معارضته او صرفوا عن معارضته مع دخوله في مقدورهم على قولين احدهما انهم صرفوا عن القدرة ولو قدروا لعارضوا والقول الثاني انهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم والصرفة اعجاز على القولين معا في قول من نفاها واثبتها لخرقها للعادة فيما دخل في القدرة فان قيل فان عجزوا عن معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما تقاربه وان نقص عن رتبته والمعجز ما لم يمكن مقاربته كما لا يمكن مماثلته ففيه جوابان احدهما ان مقاربته تكون بما في مثل

اسلوبه اذا قصر عن كماله والاسلوب ممتنع فبطلت المقاربة وثبت الاعجاز والثاني ان المقاربة تمنع من المماثلة والتحدي انما كان بالمثل دون المقاربة

فصل

فاذا ثبت اعجاز القران من هذه الوجوه كلها صح ان يكون كل واحد منها معجزا فاذا جمع القران سائرها كان اعجازه اقهر وحجاجه اظهر وصار كفلق البحر واحياء الموتى لان مدار الحجة في المعجزة ايجاد ما لا يستطيع الخلق مثله سواء كان جسما مخترعا او جرما مبتدعا او عرضا متوهما فان قيل فيعتبرون عجز العرب العاربة عنه دون المولدين او عجز الجميع قيل فيه خلاف بين اهل العلم على وجهين احدهما ان المعتبر فيه عجز الجميع ليكون اعم والوجه الثاني يعتبر فيه عجز العرب العاربة دون المولدين ليكون معتبرا بمن يلجأ الى طبعه ولا يعول على تكلفه وتعلمه وهكذا اختلفوا هل يعتبر فيه عجز اهل عصره او في جميع دهره على هذين الوجهين احدهما يعتبر فيه عجز اهل العصر لانهم حجة على اهل كل عصر والوجه الثاني انه يعتبر فيه عجز اهل كل عصر لعموم التحدي فيه لاهل كل عصر فان قيل فليس عجز كل الانس عن مثله موجبا لاضافته الى الله تعالى لجواز

ان تكون الشياطين اعانت عليه حتى خرج عن مقدور الانس كما
اعانت سليمان على ما عجز عنه الانس ففيه اجوبة احدها ان هذا يتوجه
على موسى في فلق البحر وعلى عيسى في احياء الموتى ويقدح في جميع
النبوات فلم يجز لمن اثبتها ان يخص به بعض المعجزات والجواب
الثاني ان الشياطين لم يعرفوا الا من الرسل ولولاهم لما علم الناس
ان في الدنيا شيطانا ولا جنا ولا جانا وقد جهر الرسل بلعنهم
ودعوا الى معصيتهم ولو كانوا اعوانا لدعوا الى طاعتهم وموالاتهم
لان معونة من اطيع اولى احق من معونة من عصى وعودي والجواب
الثالث ان الشياطين لا يقدرون على ذلك الا بمعونة
الله تعالى لهم وهو لا يعين كاذبا عليه فان كان عن امره كان معجزا
لانه من فعله وعلى هذا كان تسخير سليمان للجن والله تعالى غني عن
الشياطين ان يكونوا سفراء الى رسله واعوانا لانبيائه وهم
ينهون عن طاعته ويدعون الى معصيته هذا القرآن وقد تحدى
به الجن كما تحدى به الانس بقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا وحكى عنهم عجزهم عنه بقوله سبحانه انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد فآمنا به

فصل

فصل

فاذا تقررت هذه الجملة في اعجاز القرآن فبإعجازه يعلم انه من غير
كلام البشر ولا يعلم انه من عند الله تعالى الا بقول الرسول فلو
اراد الرسول ان يقول مثله لم يقدر عليه لانه من البشر الا ان
يمده الله تعالى بعون منه فيصير قادرا عليه ومعجزا له لو لم يضف
القرآن الى الله تعالى فاما مع اضافته اليه فلا يكون معجزا له ويكون
مصروفا عنه لان ما اضيف الى الله تعالى يمتنع ان يكون من غيره
لدخوله في جملة الكذب ثم يصير القرآن اصلا للشرع ومعجزا للرسول
فيجب على الامة التزام احكامه وطاعة الرسول واختلف
في لزوم طاعته هل وجب بعد ثبوت رسالته بالعقل او بالشرع
على وجهين احدهما بالعقل لان طاعة الرسول طاعة المرسل والوجه
الثاني بالشرع بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم لان الرسول مبلغ واذا كان القرآن
اصلا للشرع فقد اختلف العلماء في حد الاصل والفرع على وجهين
احدهما ان حد الاصل ما دل على غيره وحد الفرع ما دل عليه غيره
فعلى هذا يكون القرآن فرعا لعلم الحس لانه الدال على صحته والوجه
الثاني ان الاصل ما تفرع عنه غيره والفرع ما تفرع عن غيره

فعلى هذا يمتنع ان يكون القران وعاء العلم الحس لان الله تعالى تولاه
وجعله اصلا دل العقل عليه • واختلف العلماء فى ابلاغ الرسول
هل يكون امرا او اعلاما فقال بعضهم يكون امرا لا يلزم الامة احكامه
لو عرفوه قبل ابلاغه • والوجه الثانى يكون اعلاما ويلزمهم احكامه
لو عرفوه قبل ابلاغه • ويجوز ان يعلم جميع الاحكام الشرعية من
القران ولا يجوز ان يعلم جميعها من الاجماع ولا من القياس
لانهما ينعقدان عن اصل مسموع • واختلف فى جواز العلم بجميعها
من سنة الرسول فجوزه بعضهم لقوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وامتنع منه بعضهم لقوله تعالى
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والله تعالى اعلم

الباب الثامن فى معجزات عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم

اظهر الله تعالى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من اعلام نبوته بعد
ثبوتها بمعجز القران واستغنائه عما سواه من البرهان • ما جعله زيادة
استبصار تحج بها من قلت فطنته ويذعن لها من ضعفت بصيرته •
ليكون اعجاز القران مدركا بالخواطر الثاقبة تفكرا واستدلالا •
واعجاز العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا واستظهارا • فيكون
البليد مقهورا بوهمه وعيانه • واللبيب محجوجا بفهمه وبيانه • لان

لكل فريق من الناس طريقا هى عليهم اقرب • ولهم اجذب • فكان
ما جمع انقيادا الوفاق اوضح سبيلا • واعم دليلا • فمن معجزات عصمته
من اعدائه وهم الجم الغفير • والعدد الكثير • وهم على اتم حنق عليه •
واشد طلب لنفسه وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط ومكاثر
ترمقه ابصارهم شزرا وترتد عنه ايديهم ذعرا وقد هاجر عنه اصحابه
حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة • ثم خرج عنهم سليما
لم يكلم فى نفس ولا جسد • وما كان ذلك الا بعصمة الهية وعده الله
تعالى بها فحققها حيث يقول والله يعصمك من الناس فعصمه منهم

فصل

وان قريشا اجتمعت فى دار الندوة وكان فيهم النضر بن الحارث
بن كنانة وكان زعيم القوم وساعده عبد الله بن الزبعرى وكان
شاعر القوم فحضهم على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم الموت
خير لكم من الحياة فقال بعضهم كيف نصنع • فقال ابو جهل هل محمد
الا رجل واحد • وهل بنو هاشم الا قبيلة من قبائل قريش فليس
فيكم من يزهد فى الحيوة فيقتل محمدا ويريح قومه واطوق ملكا • فقالوا
من فعل هذا ساد • فقال ابو جهل ما محمد باقوى من رجل منا وانى
اقوم اليه فاشدخ راسه بحجر فان قتلت ارحت قومى وان بقيت

فذاك الذي اوتر فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا في الحطيم خرج عليهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن
فقام يصلي فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود فقال ابو جهل فاني
اقوم فاريحكم منه فاخذ مهراسا عظيما ودنا من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا يهابه وهو يراه فلما دنا
منه ارتعد وارسل الحجر على رجله فرجع وقد شدخت اصابعه وهو
يرتعد وقد دوخت اوداجه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ساجد فقال ابو جهل لاصحابه خذوني اليكم فالتزموه وقد غشي عليه
ساعة فلما افاق قال له اصحابه ما الذي اصابك قال لما دنوت
منه اقبل على رأسه فحل فاغرفاه فحمل على اسنانه فلم اتمالك واني
ارى محمدا محجوبا فقال له بعض اصحابه يا ابا الحكم رعبت واحببت
الحياة فرجعت قال ما تعزروني عن نفسي قال النضر بن الحارث
فان رجع غدا فانا له قالوا له يا ابا سهم لئن فعلت هذا لتسودن
فلما كان من الغد اجتمعوا في الحطيم ينتظرون رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما اشرف عليهم قاموا اجمعهم فواثبوه فاخذ حفنة من
تراب وقال شاهت الوجوه وقال حم لا يبصرون فتفرقوا عنه
عنه وهذا دفع الهي وثق به من الله تعالى فصبر عليه حتى وفاه الله

وكان

وكان من اقوى شاهد على صدقه **ومن اعلامه** ان معمر ابن زيد وكان
اشجع قومه استغاث به قريش وشكوا اليه امر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وكانت بنو كنانة تصدر عن رأيه وتطيع امره
فلما شكوا اليه قال لهم اني قادم الى ثلاث واريحكم منه وعندي عشرون
الف مدجج فلا ارى هذا الحي من بني هاشم يقدر على حربي وان سألوني
الدية اعطيتهم عشر ديات ففي مالي سعة وكان يتقلد بسيف
طوله سبعة اشبار في عرض شبر وقصته في العرب مشهورة
بالشجاعة والباس فلبس يوم وعده قريشا سلاحه وظاهر
بين درعين فوافقهم بالحطيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في الحجر يصلي وقد عرف ذلك فما التفت ولا تزعزع ولا قصر
في صلوة فقيل له هذا محمد ساجد فاهوى اليه وقد سل سيفه
واقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه وعاد فلما صار الى باب الصفا
عثر في درعه فسقط فقام وقد ادمى وجهه بالحجارة يعدو كاشد
العدو حتى بلغ البطحاء ما يلتفت الى خلف فاجتمعوا وغسلوا عن
وجهه الدم وقالوا ماذا اصابك قال ويحكم المغرور من غررتموه
قالوا ما شانك قال ما رأيت كاليوم دعوني ترجع الى نفسي
فتركوه ساعة وقالوا ما اصابك يا ابا الليث قال اني لما دنوت

من محمد فارددت ان اهوي بسيفي اليه اهوى الي من عند راسه شجاعان
اقرعان ينفخان بالنيران وتلمع من ابصارهما فعدوت فما كنت
لاعود في شيء من مساءة محمد ومن اعلامه ان كلدة ابن اسيد
ابو الاشد وكان من القوة بمكان خاطر قريشا يوما في قتل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعظموا له الخطر ان هو
كفاهم فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الطريق يريد
المسجد ما بين دار عقيل وعقال فجاء كلدة ومعه المزراق فرجع
المزراق في صدره فرجع فزعا فقالت له قريش ما لك يا ابا
الاشد فقال ويحكم ما ترون الفحل خلفي قالوا ما نرى شيئا قال
ويحكم فاني اراه فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف فاستهزأت به
ثقيف فقال انا اعذركم لو رأيتم ما رأيت لهلكتم ومن اعلامه
ان ابا لهب خرج يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا ابا عتبة انك
سيدنا وانت اولى بمحمد منا وان ابا طالب هو الحائل بيننا وبينه
ولو قتلته لم ينكر ابو طالب ولا حمزة منك شيئا وانت بريء من
دمه فنؤدي نحن الدية وتسود قومك فقال فاني اكفيكم ففرحوا
بذلك ومدحته خطباؤهم فلما كان في تلك الليلة وكان مشرفا
عليه نزل ابو لهب وهو يصلي وتسلقت امرأته ام جميل الحائط

سبحة اذى قريش

حتى وقفت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد فصاح
به ابو لهب فلم يلتفت اليه وهما كانا لا ينقلان قدما ولا يقدران
على شيء حتى تفجر الصبح وفرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال له ابو لهب يا محمد اطلق عنا فقال ما كنت لاطلق عنكما
او تضمنا لي انكما لا تؤذياني قالا قد فعلنا فدعا ربه فرجعا ومن
اعلامه ان قريشا اجتمعوا في الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة فقال
ان هذا ابن عبد المطلب قد نغص علينا عيشنا وفرق جماعتنا
وبدد شملنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا وكان
في القوم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام وشيبة ابن ربيعة
والنضر بن الحارث ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وامية وابي ابنا
خلف في جماعة من صناديد قريش فقالوا له قل ما شئت فانا
نطيعك قال ساقوم فاكلمه فان هو رجع عن كلامه وعما يدعو
اليه والا رأينا فيه رأينا فقالوا له شأنك يا ابا عبد شمس
فقام فتقدم الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس وحده
فقال انعم صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله قد ابدلنا بهذا
السلام تحية اهل الجنة قال يا ابن اخي اني جئتك من عند صناديد
قريش لاعرض عليك امورهم ان انت قبلتها فلك الحظ فيها ولنا

فيها الفسحة ثم قال يا ابن عبد المطلب انا زعيم قريش فيما قالت
قال قل قال يا ابن عبد المطلب انك دعوت العرب الى امر ما
يعرفونه فاقبل مني ما اقول لك قال قل قال ان كان ما تدعو
اليه تطلب به ملكا فانا نملكك علينا من غير تعب ونتوجك فارجع
عن ذلك فسكت ثم قال له وان كان ما تدعوا اليه امرا تريد به امراة
حسناء فنحن نزوجك فقال لا قوة الا بالله ثم قال له وان كان
ما تتكلم به تريد مالا اعطيناك من الاموال حتى تكون اغنى رجل
في قريش فان ذلك اهون علينا من تشتت كلمتنا وتفريق جماعتنا
وان كان ما تدعوا اليه جنونا داويناك كما تداوى قيس بن ثعلبة
مجنونهم فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ما تقول
وبم ارجع الى قريش فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حم تنزيل
من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا
ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون حتى بلغ الى قوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال عتبة فلما تكلم
بهذا الكلام كانت كعبة مالت حتى خفت ان تمس راسي من احجارها
وقام فزعا يجر رداءه فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض العصفور
وقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فقالت قريش لقد ذهب

من عندنا نشيطا ورجعت فزعا مرعوبا فما وراءك قال ويحكم
دعوني انه كلمني بكلام لا ادري منه شيئا ولقد رعدت على الرعدة
حتى خفت على نفسي وقلت الصاعقة قد اخذتني فقد سوا على
ذلك قال ابن عرفة الصاعقة اسم للعذاب على اي حال كان
وانما اهلكت عاد بالريح وثمود بالرجفة فسمى الله تعالى ذلك
صاعقة قال الازهري الصاعقة صوت الرعد الشديد الذي
يصعق منه الانسان اي يغشى عليه **ومن اعلامه** انه لما
اراد الهجرة خرج من مكة ومعه ابو بكر فدخل غارا في جبل ثور
ليستخفي من قريش وقد طلبته وبذلت لما جاء به مائة ناقة
حمراء فاعماه الله تعالى باخفاء اثره وانبت على باب الغار
ثمامة وهي شجرة صغيرة والهم العنكبوت فنسج على باب
الغار نسج سنين في طرفة عين ولسع ابو بكر هذه الليلة
غير لسعة فخرق ثيابه وجعله في التشقق وسد بعضها بقدمه
اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واقام فيه ثلاثة
ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة بن مالك بن جعشم وهو من
جملة من توجه لطلبه فقال له ابو بكر هذا سراقة قد قرب فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنا سراقة فاخذت

الارض قوائم فرسه الى ابطها فقال سراقة يا محمد ادع الله ان
يطلقني ولك علي ان ارد من جاء يطلبك ولا اعين عليك
ابدا فقال اللهم ان كان صادقا فاطلق عن فرسه فاطلق الله
عنه ثم اسلم سراقة وحسن اسلامه ومن اعلامه ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انفرد في غزوة ذي امر عن اصحابه
واضطجع وحده فوقف عليه دعثور فسل سيفه وقال يا محمد
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال له من يمنعك مني
قال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعاد
الى قومه يدعوهم الى الاسلام وفيه نزل قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
فكف ايديهم عنكم ومن اعلامه ان الناس لما انهزموا عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وهو معتزل عنهم رآه
شيبة ابن عثمان ابن ابي طلحة فقال اليوم ادرك ثاري واقتل
محمدا لان اباه قتل يوم احد في جماعة اخوته واعمامه قال شيبة
فلما اردت قتله اقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم اطق ذلك
علمت انه ممنوع ومن اعلامه ان عامر ابن الطفيل واربد بن

قيس وهو اخو لبيد بن ربيعة الشاعر لامه وفدا على رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قومهما من بني عامر فقال عامر
لاربد اذا قدمنا على محمد فاني شاغل عنك وجهه فاعله انت بالسيف
حتى تقتله قال اربد افعل ثم اقبل عامر يمشي وكان رجلا جميلا
حتى قام على رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد
ان اسلمت فقال لك ما للاسلام وعليك ما على الاسلام قال
الا تجعلني الوالي من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك
ولكن لك اعنة الخيل تغزو بها قال اوليست لي اليوم ولكن
اجعل لي ولك المدر قال ليس ذلك لك فقال قم يا محمد الى
ههنا فقام اليه فوضع عامر يده بين منكبيه ثم اومى الى اربد
ان اضرب فسل اربد سيفه قريبا من ذراع ثم امسك الله
يده فلم يستطع ان يسله ولا يغمده فالتفت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الى اربد فرآه على ما هو عليه فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت اللهم اهد بني عامر واغن الدين عن عامر فانطلقا وعامر
يقول والله لاملانها عليك خيلا دهما وردا فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يأبى الله ذاك وابناء قيلة يعني الانصار
ثم قال عامر لاربد ويلك لم امسكت عنه فقال والله ما هممت

به مرة الا رأيتك ولا ارى غيرك فاضربك بالسيف وسار
فاما عامر فطرح الله عليه الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة
من بني سلول فجعل يقول ؛ اغدة كغدة البكر ؛ في بيت امرأة
من بني سلول ؛ وركب فرسه فركضه حتى مات ؛ واما اربد فقدم
على قومه فقالوا ما وراءك يا اربد فقال والله لقد دعانا محمد
الى عبادة شيء لوددت انه عندي الآن فارميه بنبلي هذا حتى اقتله
ثم خرج بعد مقالته بيوم او يومين ومعه جمل له تتبعه فارسل
الله عليه وعلى جماعته صاعقة احرقتهم ؛ وقيل نزل في صاعقته
قول الله تعالى وهو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا يعني خوفا
من الصواعق وطمعا في المطر ؛ وفيه يقول لبيد بن ربيعة وهو
اخو اربد لامه

اخشى على اربد الحتوف ولا ؛ ارهب نوء السماك والاسد
فجعني الرعد والصواعق بالفا ؛ رس يوم الكريهة النجد
كل بني حرة مصيرهم ؛ قل وان اكثرت من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان امروا ؛ يوما يصيروا للهلك والنكد

فان قيل فهذه اخبار آحاد لا يقطع بمثلها قيل العداوة
ظاهرة والطلب معلوم والسلامة موجودة فلم ترتفع جملة

الاخبار

الكاهر جماله

الاخبار ولم يصح في جميعها توهم الكذب وان جاز في احادها توهم
الكذب كالمحكي من سخاء حاتم وشجاعة عنتر

الباب التاسع فيما شوهد من معجزات افعاله

ان الله تعالى قدر لعباده افعالا كما قدر لهم اجساما واجالا
انتهى الى غاية اعجزهم عن تجاوزها لتكون افعالهم مقصورة على
عرف مألوف وحد معروف يتوصلون بها الى مصالحهم فيعلمون
ان ما تجاوزها وخرج عن عرفها انه من افعال الله تعالى فيهم لا من
افعالهم فان اظهرها في احدهم دل على اختصاصه بالله تعالى
دونهم فكان بها ممتازا والى الله تعالى منحازا ليخص بطاعة الهية
كما اختص بافعال لاهوتية فلذلك صارت الافعال المعجزة شاهدة
على صحة النبوة فمن اعلامه ما رواه البخاري عن عبد الواحد بن
ايمن عن ابيه قال قلت لجابر بن عبد الله حدثني بحديث عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعته منه ارويه عنك فقال
جابر كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق
كدية فجئت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت هذه
كدية قد عرضت في الخندق ورششنا عليها الماء فقام وبطنه
معصب بالحجر فاخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثا ثم ضرب

عبد الرحمن

فعادت كثيبا فلما رايت ذلك منه قلت يا رسول الله ائذن لي
فاذن لي فجئت الى امرأتي فقلت ثكلتك امك انه رايت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لا صبر لي عليه فما عندك قالت
عندي صاع من شعير وعناق قالت فطحنا الشعير وذبحنا
العناق وطبخناها وجعلناها في البرمة وعجنا العجين ثم رجعت
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلبثت ساعة ثم
استاذنت ثانية فاذن لي فجئت فاذا بالعجين قد امكن
فامرتها بالخبز وجعلت القدر على الاثافي ثم جئت الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فساررته وقلت عندنا طعيم
لنا فان رايت ان تقوم معي انت ورجل او رجلان معك
فعلت فقال ما هو وكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال
ارجع الى اهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الاثافي ولا تخرج
الخبز من التنور حتى آتي ثم قال للناس قوموا الى بيت جابر
فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقلت لامرأتي قد جاء
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باصحابه اجمعين فقالت
اكان سالك كم الطعام قلت نعم قالت الله ورسوله اعلم
قد اخبرته بما كان عندنا فذهب عني بعض ما اجده وقلت

لها صدقت وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل
ثم قال لاصحابه لا تضاغطوا ثم برك على التنور والبرمة فجعلنا
ناخذ من التنور الخبز وناخذ من البرمة اللحم فنثرد ونغرف
ونقرب اليهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يجلس على الصحفة سبعة او ثمانية فلما اكلوا كشفنا التنور
والبرمة فاذا هما قد عادا الى املأ ما كانا عليه حتى شبع المسلمون
كلهم وبقيت طائفة من الطعام فقال لنا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الناس قد اصابهم مخمصة فكلوا واطعموا
فلم نزل يومنا ناكل ونطعم قال فاخبرني انهم كانوا ثماني مائة
او قال شيئين اقل من الثمان مائة وهذا نظير معجزة عيسى عليه
السلام في المائدة **ومن اعلامه** ما رواه مالك بن انس
عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة انه سمع انس بن مالك يقول
قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت
نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا لها فلفت
الخبز ببعضه ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فوجدته في المسجد معه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال للطعام
قلت نعم فقال لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم
حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس عندنا من الطعام
ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واقبل معه حتى دخلا فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ام سليم هلمي ما عندك
فجائت بذلك الخبز فامر به ففت وعصرت ام سليم عكة لها
ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما شاء ان يقول
ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا
ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا
ثم قال ائذن لعشرة حتى اكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم
سبعون او ثمانون رجلا والمعجز فيه شبع الطعام العدد الكثير
من الطعام اليسير ما اخبر به انس ابن مالك مما جاء فيه **ومن
اعلامه** ما رواه اينس ابن ابي يحيى عن اسحق بن سالم عن ابي هريرة
قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي
ادع لي اصحابك يعني اصحاب الصفة قال فجعلت اتبعهم رجلا





رجلا اوقظهم حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاستاذنا فاذن لنا ووضعت بين ايدينا صحفة
اظن فيها صنيعا قدر مد من الشعير فوضع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يده فقال خذوا بسم الله فاكلنا ما شئنا ثم
رفعنا ايدينا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين
وضعت الصحفة والذي نفس محمد بيده ما امسى في آل محمد طعام
غير شيء ترونه فقيل لابي هريرة قدر كم كانت حين فرغتم قال مثلها
حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع **ومن اعلامه** ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما حصل بالحديبية وهي جافة
قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه
فاخرج سهما فدفعه الى البراء بن عازب وقال اغرز هذا السهم
في بعض قلب الحديبية وهي جافة ففعل فجاش الماء ونادى
الناس بعضهم بعضا من اراد الماء فقال ابو سفيان قد ظهر
بالحديبية قليب فيه ماء ثم قال لسهيل بن عمرو قم بنا الى
ما فعل محمد فاشرفا على القليب والعيون تحت السهم فقالا
ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل فلما امر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحيل فقال للناس خذوا حاجتكم

من الماء ثم قال للبراء اذهب فرد السهم فلما فرغوا وارتحلوا
اخذ البراء السهم فجف الماء كانه لم يكن هناك ماء وهذا نظير
ما اعطى موسى من الحجر الذى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا
ومثله ما روى انه فى غزوة بنى المصطلق دعا بركوة جافة ثم
نفث فيها ثم قلبها فتفجرت من بين اصابعه عيون حتى شرب
الخيل والابل وملئ كل سقاء ومن اعلامه ان قوما شكوا
اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ملوحة مائهم فقام باصحابه حتى
اشرف على بئرهم فتفل فيها ثم انصرف فانفجرت بالماء الزلال
وكانت غائرة وانها على حالها الى اليوم وتتوارثها اهلها بعدهم وهى
من اعظم مفاخرهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة سالوه مثلها
فتفل فيها فصار ماؤها اجاجا كبول الحمار وهى الى اليوم على
حالها وجائته صلى الله تعالى عليه وسلم امراة بصبى لها قد
تمعط شعره فمسح راسه بيده فاستوى شعره فبلغ ذلك قوم
مسيلمة فاتوه بصبى مثله فمسح راسه فصلع وبقى نسله صلعا
الى وقتنا هذا ومن اعلامه ما رواه على بن ابى طالب رضى الله
تعالى عنه قال لما غزونا خيبر ومعنا من يهود فدك جماعة فلما
اشرفنا على القاع اذا نحن بالوادى والماء يقطع الاشجار

ويهدم الجبال فقدرنا الماء فاذا هو اربع عشرة قامة فقال
بعض الناس يا رسول الله العدو من ورائنا والوادى قدامنا
فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد ودعا ثم
قال سيروا على اسم الله فعبرت الخيل والابل والرجال فكان
الفتح والغلبة له وهذا نظير فلق البحر لموسى نوع آخر من اعلامه
روى الحسن ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال انى قدمت من سفرى فبينا بنت خماسية تدرج حولى
فى وصيفها وحليها اخذت بيدها فانطلقت بها الى وادى
فلان فطرحتها فيه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انطلق معى فارنى الوادى فانطلق معه الى الوادى فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لابيها ما كان اسمها فقال فلانة فقال
النبى يا فلانة احيى باذن الله فخرجت الصبية وهى تقول
لبيك يا رسول الله وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما
فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لى فيهما وجدت
الله خيرا منهما وهذا نظير ما فعله عيسى عليه السلام من احياء
الموتى ومن اعلامه ان طفيل العامرى جاء الى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فشكا اليه الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها وامره

ان يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا واتاه حسان بن عمرو الخزاعي
بجذوما قد عاله بجاد فتفل فيه ثم امره فصبه على نفسه فخرج منا
عليه كأن لم تكن به قط فرجع ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا
عن آخرهم واتاه قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه برص
فتفل عليه فما بقي عليه الا مقدار الحبة وهذا نظير ما كان من عيسى
ابن مريم عليه السلام في ابرآء الاكمه والابرص ومن اعلامه ما رواه
سعيد بن ابي سعيد عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انصرف ليلة من العشآء فاضاءت له برقة فنظر الى
قتادة ابن النعمان فعرفه فقال يا نبي الله كانت ليلة مطيرة
فاحببت ان اصلي معك فاعطاه عرجونا وقال خذ هذا يستضئ
لك ليلتك فاذا اتيت بيتك فان الشيطان قد خلفك فانظر
في الزاوية على يسارك فدخلت فنظرت حيث قال فاذا انا بسواد
معلق به حتى سبقني وفي هذا الخبر معجزات من فعل وقول ومن
اعلامه ان ابا قتادة بن ربعي جاءه يوم احد وقد انقلعت
احدى عينيه وتعلقت على وجهه فقال يا رسول الله صلى الله تعالى
عليك ان لي امرأة واخشى ان ينقصني هذا عندها فردها رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى موضعها فكانت احسن عينيه

ومثله ما رواه عروة بن الزبير ان زنيرة اسلمت فاصيب بصرها
فقالوا لها اصابك اللات والعزى فرد الله عليها بصرها فقال
عظمآء قريش لو كان ما جآء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل
الله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ومن اعلامه ان جرهدا اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وبين يديه طبق فادنى يده الشمال لياكل وكانت اليمنى مصابة
فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل باليمين فقال
يا رسول الله انها مصابة فنفث عليها فما اشتكاها بعد الى ساعته
وابصر رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع فقال
لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد كلما رفع اللقمة الى فيه ذهبت
في شق آخر ومن اعلامه شاة ام معبد الخزاعية وكانت مجهودة
عجفاء وضرآء فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت
لبنا وامتلات سمنا وبقيت على حالها الى ان وافاها اجلها واهدت
له ام شريك عكة فيها سمن فاخذ منه شيئا ورد العكة عليها فلم تزل
العكة تصب سمنا مدة طويلة الى امثال هذا ونظائره فان قيل
لا يثبت اعجاز النبوات بمثل هذا من اخبار الآحاد ففيه جوابان
احدهما ان رواة الاحاد قد اضافوه اليه في جمع كثير قد شاهدوه.

وسمعوا روايته فصدقوه ولم يكذبوه وفي الممتنع امساك العدد الكثير
عن ذكر الكذب كما يمتنع افتعالهم للكذب ولكن جاز اتفاقهم على
الصدق مع الكثرة والافتراق وامتنع اتفاقهم على الكذب فلان
دواعي الصدق عامة متناصرة ودواعي الكذب خاصة متنافرة ولذلك
كان صدق الكذب الناس اكثر من كذبه لانه لا يجد من الصدق
بدا ويجد ابدا والثاني انها اخبار وردت من طرق شتى وامور
متغايرة فامتنع ان يكون [illegible] جميعها كذبا وان كان في احادها
مجوز فصار مجموعها من التواتر ومفترقها من الاحاد فصار متواتر
مجموعها حجة وان قصر مفترق احادها عن الحجة والله تعالى اعلم

من الكذب

الباب العاشر فيما سمع من معجزات اقواله

والمعجزات من القول هو الاخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره فيكون
على صدقه دليلا لان الخبر ما احتمل الصدق والكذب وحقيقة الخبر
ما كان عن ماض فاما المستقبل فيطلق اسم الخبر عليه مجازا فان اضيف
المستقبل الى فعل المخبر كان وعدا يصح من نبي وغير نبي وان اضيف
الى فعل غيره كان من الغيوب المعجزة لا يصح الا من نبي مبعوث وعن
وحي منزل اذا انكر رعاريا عن الاسباب المنذرة ولئن ظهر خبر
من غير نبي فهو بالاتفاق عن حدس ان صح في خبر لم يصح في كل خبر

ويصح

ويصح من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل خبر لانه من الله
تعالى المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع
الا ما يوحى الي وفي خزائن الله ههنا تاويلان احدهما خزائن
الرزق فاغنى وافقر والثاني خزائن العذاب فاعجل واخر
وفي قوله ولا اعلم الغيب تاويلان احدهما علم الخزائن على ما مضى
من التاويلين والثاني علم ما غاب عن ماض ومستقبل الا ان
المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ومن اطلعه عليه من انبيائه واما
الماضي فقد يعلمه المخلوقون من احد وجهين اما من مخلوق معاين
او من خالق مخبر فكانت الاخبار المستقبلة من آيات الله تعالى
المعجزة فاما الماضية فان علم بها غير المخبر لم تكن معجزة وان لم
يعلم بها احد كانت آية معجزة وفي قوله ولا اقول لكم اني ملك
تاويلان احدهما انه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد وان قدرت
عليه الملائكة والثاني انه من البشر وليس بملك لينفي عن نفسه
غلو النصارى في المسيح وفي نفيه ان يكون ملكا تاويلان احدهما
انه رفع عن نفسه منزلة الملائكة تفضيلا لهم على الانبياء و
الثاني اني لست ملكا في السماء فاعلم غيب السماء الذي تشاهده

الملائكة ويغيب عن البشر وان كان الانبياء افضل من الملائكة
مع غيبهم عما يشاهده الملائكة وفي قوله ان اتبع الا ما يوحى
الي تأويلان احدهما ان اخبركم الا بما اطلعني الله عليه والثاني
ان افعل الا ما امرني الله به قل هل يستوي الاعمى والبصير فيه
تأويلان احدهما العالم والجاهل والثاني المؤمن والكافر
فثبت بما قررناه ان في الاقوال معجزة كالافعال فكانت
من اعلام النبوة وآيات الرسل ونحن نذكر منها ما اختص
بقول الرسول دون ما تضمنه القرآن لان القرآن معجز في الخبر
وغير الخبر

فصل

ومجيء الاخبار ينقسم على اربعة اقسام اخبار استفاضة واخبار
تواتر واخبار آحاد بقرائن واخبار آحاد مجردة فاما اخبار
الاستفاضة والتواتر فقد اطلق اهل العلم ذكرهما ولم يفرقوا
بينهما وهما عندي مفترقان لان اختلاف الاسماء موضوع لاختلاف
المسمى فكان حملها على حقيقة الاختلاف اولى من حملها على
مجاز الائتلاف فاخبار الاستفاضة ما بدأت منتشرة عن كل
مخبر من بر وفاجر عن قصد وغير قصد وتحققها كل سامع

من عالم وجاهل فلا يختلف فيها مخبر ولا يتشكك فيها سامع
ويستوي طرفاها ووسطها فتكون اوائلها كاواخرها وتناهيها
وهو اقوى الاخبار ورودا وابلغها ثبوتا واما اخبار التواتر
فهو ما اخبر به الواحد بعد الواحد حتى كثروا وبلغوا عددا ينتفي
عن مثلهم المواطأة على الكذب والاتفاق على الغلط ولا يعرض
في خبرهم شك ولا توهم فيكون من اوله من اخبار الآحاد
وفي آخره من اخبار التواتر فيصير مخالفا لاخبار الاستفاضة
في اوله وموافقا لها في آخره ويكون الفرق بين خبر الاستفاضة
وخبر التواتر من ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه من اختلافهما
في الابتداء والانتهاء والثاني ان اخبار الاستفاضة قد تكون
عن غير قصد واخبار التواتر لا تكون الا عن قصد والثالث
ان اخبار الاستفاضة لا يعتبر فيها عدالة المخبرين ويعتبر
في اخبار التواتر عدالة المخبرين ثم يستوي الخبران في انتفاء
الشك عنهما ووقوع العلم بهما ومثال الاستفاضة في احكام
الشرع اعداد الصلوات ومثال التواتر في احكام الشرع
نصب الزكوات واختلف في وقوع العلم بهما هل هو علم
اضطرار او علم اكتساب على وجهين احدهما انه علم اكتساب

وقع عن استدلال وهو قول بعض اصحاب الشافعي وبعض
المتكلمين لان العلم بخبرهم يقترن بصفات تختص بهم فصار
طلب الصفات استدلالا يوصل الى العلم بخبرهم واختلف
القائلون بهذا هل اكتسب العلم به من الخبر او المخبر على وجهين
احدهما من الخبر لانه المقصود والثاني من المخبر لانه المبلغ
فهذا قول من جعله علم استدلال والوجه الثاني وهو قول الاكثرين
من الفقهاء والمتكلمين انه علم اضطرار ادرك ببداية العقول
لان العلم به قد يسبق الى اليقين من غير نظر ويستقر في القلوب
من غير انتقال واختلف القائلون بهذا في علمه بالاضطرار
هل هو من فعل المخبر او من فعل الله تعالى على وجهين احدهما
انه من فعل المخبر لوصوله اليه بنفسه وهو قول اكثر الفقهاء و
الوجه الثاني انه من فعل الله تعالى لانه الملجئ اليه وهو قول اكثر
المتكلمين واختلف من قال بهذا منهم على وجهين احدهما انه
من فعل الله تعالى في الخبر والثاني انه من فعله في المخبر والذي
اراه اولى ان اخبار الاستفاضة توجب علم الاضطرار واخبار
التواتر توجب علم الاستدلال لاستغناء الافاضة عن نظر
واحتياج التواتر الى نظر مع وقوع العلم بهما وزعمت الامامية

انه

انه لا يقع العلم باخبار الاستفاضة والتواتر الا ان يكون
في الخبر امام معصوم او يصدقهم عليه امام معصوم وحكي
عن ضرار بن عمرو ان حجة الاستفاضة والتواتر لا تقوم بعد
الرسل بنقل اقواله وافعاله الا باجماع الامة على صدقهم
او صحة نقلهم وكلا القولين مدفوع بقضايا العقول لانها
تضطر الى العلم بها كعلم الاضطرار بالمشاهدات ومدركات
الحواس لان الاخبار بالبلاد ان فيها مكة والصين يعلم باضطرار
كما نعلم بالمشاهدة وكما يعلم الانسان ان تحته ارضا وسماء فوقه
لوجود انفسنا عالمة بها على سواء ولنا في غرائز الفطر من ذلك
قال طفيل الغنوي وهو اعرابي بطبع سليم من التكلف وبديهة
خلصت من التعمق والتعسف ما يدل على وقوع العلم باخبار
الاستفاضة والتواتر يقول

تأوبني هم من الليل منصب ؛ وجاء من الاخبار ما لا يكذب
تظاهرن حتى لم تكن لي ريبة ؛ ولم يك فيما اخبروا متعقب

فصل واما اخبار الاحاد فضربان احدهما ان يقترن
بها ما يوجب العلم بمضمونها وقد يكون ذلك من خمسة اوجه
احدها ان يصدقه عليه من يقطع بصدقه كالرسول او من اخبر

الرسول بصدقه فيعلم به صدق المخبر وصحة الخبر والثاني ان تجمع الامة
على صدقه فيعلم باجماعهم انه صادق في خبره والثالث ان يجمعوا على
قبوله والعمل به فيكون دليلا على صدق خبره والرابع ان يكون الخبر
مضافا الى حال قد شاهدها عدد كثير وسمعوا رواية الخبر فلم ينكروه
على المخبر فيدل على صحة الخبر وصدق المخبر والخامس ان يقترن بالخبر
دلائل العقول فان كان مضافا اليها كان صدقا لازما لان
ما وافقها لا يكون الا حقا وان كان مضافا الى غيرها لم يدل
موافقها على صدق الخبر وان اوجب صحة ما تضمنه الخبر والضرب
الثاني ان ينفرد خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه فهي امارة
توجب عليه الظن ولا تقتضي العلم يقوى اذا تطاول به الزمان
فلم يعارضه رد ولا مخالفة وان تكرر في معناها ما يوافقها صار جميعها
متواترا وان كان افرادها آحادا واذا استقر هذا الاصل في الاخبار
ولم يخرج المروي من اعلام الرسول عنها وقد ذكرنا ما روي من افعاله
وسنذكر ما روي من اقواله **فمنها** ما روي عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فصدق الله خبره وحقق ما ذكره
وملك امته اقطار الارض حتى دان له بشرعه من في المشرق والمغرب

وقال

وقال عليه السلام لعدي بن حاتم لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من
جهد اهله وضعف اصحابه فلكأنهم ببيضات المداين قد فتحت عليهم ولكأنهم
بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتي مكة بغير خفارة لا تخاف الا الله
فابصر عدي ذلك كله وهذا لا يكون الا من اطلاع الله تعالى له على غيبه
وتحقيقه لوعده في قوله ليظهره على الدين كله **ومن اعلامه** ما رواه
البراء بن عازب قال امرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر
الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيها المعول فاخذ المعول
وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح
الشام ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح
فارس ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح
اليمن فصدق الله قوله واعطاه ما فتح له وروى كعب بن مالك قال
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا فتحت مصر فاستوصوا
بالقبط خيرا فان لهم رحما وذمة يعني ان ام اسمعيل ابن ابراهيم كانت
منهم **ومن اعلامه** انه كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى الاسلام وبدا
باسمه قبل اسمه فلما قرأه أنف لنفسه من ابتدائه باسمه فمزق كتابه
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تمزق ملكه
ثم كتب كسرى في الوقت الى عامله باليمن باذان ويكنى ابا مهران

ان احمل الى هذا الذي يذكر انه نبي ويبدأ باسمه قبل اسمي ويدعاني الى
غير ديني فبعث اليه فيروز بن الديلمي مع جماعة من اصحابه وكتب
معهم كتابا يذكر فيه ما كتب به كسرى فاتاه فيروز بمن معه فقال له
ان ربك يعني كسرى امرني ان احملك اليه فاستنظره ليلة فلما كان
من الغد حضر فيروز مستحثا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اخبرني ربي انه قتل ربك البارحة سلط عليه ابنه شيرويه
على سبع ساعات من الليل فامسك ريثما يأتيك الخبر فراع
ذلك فيروز وهاله وعاد فيروز الى باذان فاخبره فقال له باذان
كيف وجدت نفسك حين دخلت اليه فقال والله ما هبت
احدا قط كهيبة هذا الرجل فقال باذان ان كان ما قال له حقا
فهو نبي فلم يرعه الا ورود الخبر عليه بقتله في تلك الليلة من تلك
الساعة فاسلم باذان وفيروز ومن معهم من الابناء وظهر العنسي
بما افتراه من الكذب فارسل الى فيروز ان اقتله قتله الله فقتله
وفي هذا الخبر من آيات الغيوب ما لا يعلمه الا الله او من اطلعه عليه
ومن اعلامه انه رأى ذراعي سراقة بن مالك ابن جعشم دقيقين
اشعرين فقال كيف بك اذا لبست بعدي سواري كسرى
فلما فتحت فارس دعاه عمر والبسه سواري كسرى وقال له قل

الحمد لله

الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما سراقة بن جعشم
ومن اعلامه ما رواه جابر بن عبد الله قال صلى بنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان النجاشي اصحمة قد توفي هذه
الساعة فاخرج بنا الى المصلى فصف عليه فصلى عليه وكبر اربعا
فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط
فانزل الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل
اليكم وما انزل اليهم الآية ثم جاء الخبر بموت النجاشي من تجار
وردوا من المدينة ومثله ما روي ان ريحا هبت بتبوك فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لموت منافق عظيم النفاق
قد مات في ذلك الوقت ومن اعلامه انه قال لاصحابه اليوم نصرت
العرب على العجم وبي نصروا فجاء خبر الوقعة بذي قار وما اذال الله
تعالى فيه العرب من العجم حين قتلت فيه بنو شيبان وبكر بن وائل
من الفرس من قتلوا وكان اول يوم انتصف فيه العرب من العجم
وجاءهم الخبر انه كان في الساعة من اليوم الذي اخبر به رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعلامه انه كشف الله تعالى له
ما غاب عنه في جيش مؤتة فقال لاصحابه اخذ الراية زيد بن
حارثة وتقدم فقتل ومضى شهيدا ثم اخذ الراية بعده جعفر

ابن ابي طالب وتقدم فقتل ومضى شهيدا ووقف وقفة ثم قال
واخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ومضى شهيدا
لان عبد الله بن رواحة توقف عن اخذ الراية بعد قتل جعفر زمانا
ثم اخذها قال ثم ارتضى المسلمون خالد بن الوليد فكشف العدو
عنهم حتى خلصوا ثم قال ائتي بيت جعفر ابن ابي طالب فاستخرج ولده
ودمعت عيناه ونعى جعفرا الى اهله وجاءت الاخبار بانهم قتلوا في
ذلك اليوم على ما وصفه ومن اعلامه قوله في ليلة الاسراء حين
اصبح مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما واذا اناء فيه
ماء وقد غطوا عليه فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ورددت الغطاء
كما كان وآية ذلك ان عيرهم الآن تقبل من موضع كذا يقدمها جمل
اورق عليه غرارتان احدهما سوداء والاخرى ورقاء فابتدر القوم
الثنية فوجدوا ما وصف وسألوهم عن الاناء فوجدوا الامر كما قال
ومن اعلامه انه رأى عليا كرم الله وجهه في غزاة العشيرة على التراب
ومعه عمار فقال لهما الا اخبركما باشقى الناس قالا بلى قال اشقى
الناس احمر ثمود عاقر الناقة والذي يخضب يا علي هذه من هذه
واشار الى لحيته من رأسه وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية
وآخر زادك من الدنيا صاع من لبن فكان من قتل ابن ملجم لعنه الله

لعلي

لعلي كرم الله وجهه ما كان وقتل عمار يوم صفين فلما ذكر الخبر
لمعاوية لم ينكره ودفعه عن نفسه بان قال انما قتله من جاء به ومنها
ما روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر زيد بن صوحان فقال
زيد وما زيد يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند
في سبيل الله وقال الخلافة بعدي ثلاثون وما بعد ذلك ملك نوع
آخر من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم انه نزل بجيشه في غزوة
تبوك على غير ماء وهم نحو من ثلاثين الفا فعطشوا وشكوا ذلك
اليه فبعث ابا قتادة وابا طلحة وسماك ابن خرشة وسعد بن
عبادة يلتمسون الماء فغابوا الى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا
شيئا وبلغ العطش من الناس والخيل والدواب فصلى باصحابه
تيمما فلما فرغ شكوا اليه العطش فبعث اسيد بن حضير واسامة
يلتمسون الماء من الاعراب فقال المنافقون ان محمدا يخبر باخبار
السماء وهو لا يدري الطريق الى الماء فاتاه جبريل عليه السلام
فاخبره بقولهم وسماهم له فحكى ذلك الى سعد بن عبادة فقال
سعد ان شئت ضربت اعناقهم فقال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما اقاموا معنا ثم قال لابي الهيثم ابن
التيهان وابي قتادة وسهيل بن بيضاء يستعرضون الطريق ويأخذون

على الكثيب فتقف ساعة فان عجوزا من الاعراب ثم بكم على ناقة
لها معها سقاء من ماء فاطعموها واشتروا منها باعنز دهان وجبوا
بها مع الماء فمضوا حتى بلغوا الموضع الذي وصف لهم فاذا بالمرأة
قالوا بيعينا هذا الماء قالت انا واهلي احوج الى الماء منكم فطلبوا
اليها ان تاتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الماء فابت
وقالت ان هذا لساحر خير الاشياء ان لا اراه ولا يراني فشدوها
وناقتها حتى جاؤا بها مع الماء فلما وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال خلوا عنها وقال لها بيعينا هذا الماء قالت
ان اهلي احوج اليه منكم قال فاذني لنا فيه وليصيرن ذلك كما جئت
به قالت شانكم فقال لابي قتادة هات الميضاة فقربت اليه فحل
السقاء وتفل فيه وصب في الميضاة ماء قليلا ظننا ان يكون
نصف الميضاة فوضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء
يزيد والناس يأخذون حتى ما ابقوا معهم سقاء الا ملؤه واوردوا
خيلهم وابلهم والميضاة ملئى ثم زاد رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم في السقاء حتى ملأه وبقي في الميضاة ثلثاه ثم لم تزل كلهم
حين اصبحوا دهر يزيد ولا ينقص ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه
وسلم ان ناقة له ضلت في توجهه الى تبوك فتفرق الناس في طلبها

وكان

وكان عنده عمارة بن حزم وفي رحل عمارة زيد ابن اللصيت وكان
يهوديا قد اسلم ونافق فقال زيد في رحل عمارة يزعم محمد انه نبي يخبركم
خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان منافقا يقول اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم بخبر السماء
ولا يدري اين ناقته والله لا اعلم الا ما علمني ربي وقد اعلمني انها في الوادي
في شعب كذا حبستها شجرة بزمامها فبادر الناس فوجدوها كذلك
فاتوه بها فرجع عمارة ابن حزم الى رحله وقال لقد عجبت مما ذكره
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل كان في رحله مع
زيد بن اللصيت ان زيدا قال هذا قبل ان تطلع علينا فوجأ عمارة
زيدا في عنقه وقال انك لداهية في رحلي اخرج يا عدو الله منه ولا جار
مالقيه في غزاة تبوك من الجهد قال لاصحابه الا ابشركم قالوا بلى
يا رسول الله قال ان الله تعالى اعطاني الليلة الكنزين فارس
والروم وامدني بالملوك ملوك حمير يجاهدون في سبيل الله و
ياكلون فيء الله فكان ذلك ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه بعث خالد بن الوليد من تبوك في اربعمائة وعشرين فارسا الى
اكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل من كندة فقال خالد يا رسول
الله كيف لي به وسط بلاد كلب وانما انا في عدد يسير فقال ستجده

بقية يصيد البقر فاخذه فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر
العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له من شدة الحر مع امرأته
فاقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقال اكيدر والله ما رأيت
بقرا جاءتنا ليلا غير هذه الليلة لقد كنت اضمر لها الخيل اذا
اردتها شهرا او اكثر ثم نزل فركب بالرجال والالة فلما فصلوا من
الحصن وخيل خالد تنظر اليهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك فساعة
فصل اخذته الخيل فاستأسر اكيدر ومن اعلامه صلى الله تعالى
عليه وسلم انه لما قاضى سهيل بن عمرو بالحديبية حين صدته قريش
عن العمرة وكتبت بينه وبينه القضية قال لعلي كرم الله تعالى وجهه
اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل
لو اعلم انك رسول الله ما صددتك ولكن اقدمك لشرفك اكتب
محمد بن عبد الله فقال يا علي امح رسول الله فقال علي لا استطيع
ان امحو اسمك من النبوة فمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يده الى الموضع فمحاه وقال لعلي ستسام مثلها فتجيب فقيل له
مثلها يوم الحكمين حين ذكر في كتاب التحكيم هذا ما تحاكم عليه علي امير
المؤمنين فقال له عمرو لو سلمنا انك امير المؤمنين ما نازعناك فمحا
امير المؤمنين ولما قال سهيل ذلك قال عمر يا رسول الله دعني انزع

ثنيتي

ثنيتي سهيل لئلا يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا ابدا وكان سهيل اعلم
الشفة السفلى فكان خطيبا بليغا فقال له رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم دعه يا عمر فعسى ان يقوم لك مقاما تحمده فكان من حسن
قيامه بمكة حين هاج اهلها بموت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واستخفى عتاب بن اسيد ما حمد اثره ومن اعلامه صلى الله تعالى
عليه وسلم ما حكاه السدي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لاصحابه يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان
فاتاه الحطم بن هند البكري وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الى ما تدعو فاخبره فقال
انظرني فلي من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح
من سرح المدينة فاستاقه وانطلق مرتجزا يقول

لقد لفها الليل بسواق حطم ∴ ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم ∴ باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ∴ مدلج الساقين ممسوح القدم

ثم اقبل عام قابل حاجا قد قلد الهدي فاراد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان يبعث اليه فنزل عليه قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله

ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام فقال
له ناس من اصحابه هذا صاحبنا فخل بيننا وبينه فقال انه قد قلد ومن نوع
آخر من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى عاصم بن عمر وعن قتادة
قال لما رجع المشركون الى مكة من بدر قال عمير ابن وهب الجمحي لصفوان
ابن امية قبح الله العيش بعد قتلى بدر والله لولا دين علي لا اجد له قضاء
وعيال لا ادع لهم شيئا لرحلت الى محمد حتى اقتله ان ملأت عيني منه
فقتلته فانه بلغني انه يطوف في الاسواق فقال له صفوان دينك علي
وعيالك اسوة عيالي ما عمدت لما كنت فجهزه وحمله على بعير فشحذ عمير
سيفه وسمه وسار الى المدينة فدخلها متقلدا سيفه فبصر به عمر رضي الله
تعالى عنه فوثب اليه ووضع حمائل سيفه في عنقه وادخله على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هذا عدو الله عمير بن وهب فقال تأخر
عنه يا عمر وقال له ما اقدمك قال لفداء اسيري عندكم قال فما بال
السيف قال قبحها الله وهل اغنت من شيء وانما نسيته حين نزلت وهو
في رقبتي فقال له فما شرطت لصفوان بن امية في الحجر ففزع عمير وقال
ماذا شرطت له قال تحملت له بقتلي على ان يقضي دينك ويعول عيالك
والله تعالى حائل بينك وبين ذلك فقال عمير اشهد انك لرسول
الله وانك صادق واشهد ان لا اله الا الله كنا نكذبك بالوحي من

السماء

السماء وهذا الحديث كان سرا بيني وبين صفوان كما قلت لم يطلع
عليه احد غيري فقال عمر والله لخنزير كان احب الي منه حين طلع
وهو الساعة احب الي من بعض ولدي فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم علموا اخاكم القرآن واطلقوا له اسيره فقال عمير
اني كنت جاهدا في اطفاء نور الله وقد هداني الله فله الحمد فائذن لي
فالحق قريشا فادعوهم الى الله والى الاسلام فاذن له فلحق بمكة ودعاهم
فاسلم معه بشر كثير وحلف صفوان ان لا يكلمه ابدا ومن اعلامه صلى
الله تعالى عليه وسلم ما حكاه شيبة بن عثمان ابن ابي طلحة قال ما كان
احد ابغض الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف لا يكون
كذلك وقد قتل منا ثمانية كل منهم يحمل اللواء فلما فتح الله تعالى مكة
آيست مما كنت اتمناه من قتله وقلت في نفسي قد دخلت العرب
في دينه فمتى ادرك ثاري منه فلما اجتمعت هوازن بحنين قصدتهم لاجد
منه غرة فاقتله فلما انهزم الناس عنه وبقي مع من ثبت معه جئت
من ورائه فرفعت السيف حتى كدت احطه غشي فؤادي ورفع لي شواظ
من نار فلم اطق ذلك وعلمت انه ممنوع فالتفت الي وقال ادن
يا شيب فقاتل ووضع يده في صدري فصار احب الناس الي وتقدمت
فقاتلت بين يديه ولو عرض لي ابي لقتلته في نصرته فلما انقضى القتال

دخلت عليه فقال لي الذي اراد الله بك خير مما اردته لنفسك وحدثني
بجميع ما زورته في نفسي فقلت ما اطلع على هذا احد الا الله فاسلمت
ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه محمد بن ابراهيم بن شرحبيل
عن ابيه قال كان النضير بن الحارث بن كلدة يصف شدة عداوته كانت
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتله لاخيه النضر بن الحارث قال
وكنت شهدت بدرا فرأيت قلة المسلمين وكثرة قريش فلما نشب
القتال رأيت المسلمين اضعاف قريش فانهزمت قريش ورأيت
يومئذ رجالا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يأسرون و
يقتلون فهربت مذعورا ثم خرجت معه بعد الفتح الى هوازن لاصيب
منه غرة فلما انهزم المسلمون صمدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فاذا هو في وجه العدو واقف على بغلة شهباء حوله رجال بيض
الوجوه فاقبلت عامدا اليه فصاحوا بي اليك اليك فرعب فؤادي وارعدت
جوارحي فقلت هذا مثل يوم بدر ان الرجل لعلى حق وانه معصوم فادخل
الله في قلبي الاسلام ثم التقيت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد رجوعه من الطائف فحين رآني قال النضير قلت لبيك قال هذا
خير لك مما اردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه ومن اعلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لعمه العباس وقد اسر يوم بدر

افد نفسك وابني اخيك عقيلا ونوفلا وحليفك فانك ذو مال
فقال يا رسول الله اني كنت مسلما واخرجت مكرها فقال الله اعلم
باسلامك فاين المال الذي وضعته بمكة عند ام الفضل حين خرجت
وليس معكما احد فقلت ان اصبت في سفري فللفضل كذا ولعبد الله
كذا ولقثم كذا فقال والذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد غيري
وغيرها واني لاعلم انك رسول الله ففدى نفسه وابني اخيه و
حليفه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيعوضك
خيرا ان كان ما قلته من اسلامك حقا فعوضه الله تعالى ما لا احجا
ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روي ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان اذا اراد الذهاب الى ام ورقة الانصارية قال
لاصحابه انطلقوا بنا الى الشهيدة فنزورها وامر ان يؤذن لها ويقام
وان تؤم اهل دارها في الفرائض فقتلها في ايام عمر رضي الله تعالى عنه
غلام وجارية كانا لها فصلبهما عمر رضي الله تعالى عنه فكانا اول من صلب
في الاسلام فقال عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان
يقول انطلقوا نزور الشهيدة ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم
ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم

فاحرزه حيث لا يراك احد فلما برز عنه عمد الى الدم فحساه فلما رجع
قال يا عبد الله ما صنعت قال جعلته في اخفى مكان ظننت انه خاف
عن الناس قال لعلك شربت الدم قال نعم قال ويل للناس منك
وويل لك من الناس الى امثال ذلك من نظائره التي يطول الكتاب
بذكره حتى كان المنافقون لا يخوضون في شيء من امره الا اطلعه الله
عليه فكان يخبرهم به حتى كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت وكف
فوالله لو لم يكن عنده الا الحجارة لاخبرته حجارة البطحاء فان قيل
فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز نبوة يقهر ولا آية رسالة تظهر
لان المنجمين يخبرون بذلك فلا يكون من اعجاز الانبياء وآيات
الرسل ففيه ثلاثة اجوبة احدها ان المنجم يعمل على حساب ويرجع
على استدلال ولا يخبر قولا الا بعد بها وأخبار الرسل عن بديهة تخلو
من سبب وتعرى عن استدلال والثاني ان من خلا من علم النجوم لم يصح
الاخبار عنها ولم يتعاط محمد صلى الله تعالى عليه وسلم علم النجوم ولا خالط
اهلها فيكون مخبرا عنها فبطل ان يخبر بها الا عن علام الغيوب المطلع
على ضمائر القلوب والثالث ان المنجم يصيب في الاقل ويخطى في الاكثر
ويستحسن منه الصواب ولا يستقبح منه الخطأ واخبار الرسل كلها
صدق لا يتخلله كذب وصواب لا يعتوره زلل

الباب

الباب الحادي عشر فيما اكرم به صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة ادعية

ان الله تعالى لما فضل الانبياء على جميع خلقه بما فرض اليهم من القيام
بحقه تميزوا بطلب المصلحة فخصوا باجابة الادعية ليكون عونا على
ما كلفهم وآية على من انكرهم فدخل بهذا الامتياز في اقسام الاعجاز
فمن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم في الاجابة ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لما تلا والنجم اذا هوى قال عتبة ابن ابي لهب كفرت
بالذي دنا فتدلى فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك يعني الاسد فخرج عتبة مع اصحابه في عير
الى الشام حتى اذا كانوا في طريقهم زأر الاسد فجعلت فرائص
عتبة ترعد فقال اصحابه من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت الا
سواء فقال ان محمدا دعا علي وما ترد له دعوة ولا اصدق منه
لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه وحاط القوم انفسهم
بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الاسد يستنشي رؤسهم
رجلا رجلا حتى انتهى اليه فهشمه هشمة كانت اياها فقال وهو بآخر
رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة ومن اعلامه صلى الله
تعالى عليه وسلم ان المستهزئين به من قريش وهم سبعة الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري

وفكيهة بن عامر الفهري، والحارث بن الطلاطلة، والاسود بن الحارث
وابن عيطلة، كانوا يكثرون منه الاستهزاء، ويواصلون عليه الاذاء،
وكان لا يقرأ الا مستسرا، ولا يدعوا الا مستخفيا، فنزل عليه قوله تعالى
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي لا تجهر
بها فيؤذوك ولا تخافت بها عن اصحابك فلا يسمعوك وابتغ
بين الجهر والاسرار سبيلا، فاذن لاصحابه حين اشتد بهم الاذى في
الهجرة الى ارض الحبشة لان ملكها كان منصفا ورغب الى الله تعالى
ان يكفيه امرهم فنزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن
المشركين انا كفيناك المستهزئين وفي قوله فاصدع بما تؤمر تاويلان
احدهما امض لما تؤمر به من ابطال الشرك، والثاني اظهر ما تؤمر
به من الحق، وفي قوله واعرض عن المشركين تاويلان احدهما استهزئ
بهم، والثاني لا تهتم باستهزائهم انا كفيناك المستهزئين يعني بما عجله
من اهلاكهم، فاما الوليد بن المغيرة فانه ارتدى فتعلق بردائه شوك
فذهب يجلس عليه فقطع الاكحل فنزف فمات لوقته، واما العاص
بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط لحمه من عظامه فمات من يومه،
واما الاسود بن عبد يغوث فقد كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم دعا عليه بالعمى وثكل ولده فاتى بغصن فيه شوك

فاصاب عينه فسالت حدقتاه على وجهه، وقتل ولده زمعة يوم بدر
فاعمى الله بصره واثكله ولده، واما فكيهة بن عامر فخرج يريد الطائف
ففقد ولم يوجد، واما الحارث بن الطلاطلة فانه خرج لبعض حوائجه
فضربه السموم في الطريق فاسود منه ومات، واما الاسود بن الحارث
فاكل حوتا مملوحا فاصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق
بطنه ومات، واما ابن عيطلة فاستسقى فمات ومثله ما رواه
بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى
في ظل الكعبة وناس من قريش وابو جهل قد نحروا جزورا في ناحية
مكة فبعثوا فجاؤا بسلاها وطرحوه بين كتفيه وهو ساجد فجاءت
فاطمة فطرحته عنه فلما انصرف قال اللهم عليك بقريش بابي
جهل وعتبة وشيبة والوليد ابن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن
ابي معيط قال عبد الله بن مسعود فلقد رايتهم قتلى في قليب بدر
ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ان خباب بن الارت اتاه
حين اشتد الاذى من قريش فقال يا رسول الله ادع لنا ربك
ان يستنصر لنا على مضر فقال انكم تعجلون لقد كان الرجل ممن
قبلكم يمشط بامشاط الحديد حتى يخلص الى ما دون عظمه من لحم او عصب
ويشق بالمنشار فما يرده ذلك عن دينه، وانكم تعجلون والله

والله ليمضين هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه. ثم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقطع الله عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر واجدبت الارض وماتت المواشي واشتووا القد واكلوا العلهز. فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه فعطف ورغب الى الله تعالى فمطروا. ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن عباس قال قيل لعمر حدثنا عن شأن جيش العسرة. فقال عمر رضي الله تعالى عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى خشينا ان تنقطع رقابنا فكان الرجل يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن ان رقبته ستنقطع وحتى كان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على صدره. فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحب ذلك. قال نعم فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده فلم يرجعها حتى مالت السماء فاظلت وامطرت حتى رووا وملئوا ما معهم من الاوعية فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم الملائي عن انس بن مالك قال اتى اعرابي الى رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد اتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبي يصطبح ثم انشد

اتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

والقى بكفيه الصبي استكانة ... من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلي

ولا شيء مما ياكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا الا اليك فرارنا ... واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سحا طبقا غير رائث تنبت به الزرع وتملأ به الضرع وتحيي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فما استتم الدعاء حتى التقت السماء بابروقها فجاء اهل البطانة يضجون يا رسول الله الغرق فقال حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا شعره فقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله كانك اردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

اي يعيشهم بالطعام

العامي [illegible] والمجاعات [illegible] الطعام [illegible]

جمع ارملة وهي الفقيرة التي لا زوج لها

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقام رجل من كنانة وانشد

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة ... واشخص معها اليه البصر
فلم يك الا كالقاء الردا ... واسرع حتى راينا الدرر
وفاق العز الى جم البعاق ... اغاث به الله عليا مضر
وكان كما قاله عمه ... ابو طالب ابيض ذا غرر
به الله يسقى صوب الغمام ... وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يك شاعر يحسن فقد احسنت
ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما اظهره الله تعالى من كرامة في عمه
العباس حين استسقى به عمر رضي الله تعالى عنه متوسلا اليه بعمه فخرج
يستسقى به وقد اجدب الناس فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك
وبقية آبائه وكبير رجاله فاحفظ اللهم نبيك في عمه فقد دلونا به اليك
مستشفعين اليك مستغفرين فقال العباس وعيناه ينضحان اللهم
انت الراعي لا تهمل الضالة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت
الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك من قبل ان يقنطوا

فيهلكوا

فيهلكوا فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون فنشأت السحاب
وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون اركانه ويقولون هنيئا
لك ساقي الحرمين فقال حسان بن ثابت

سأل الامام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس
احيا الاله به البلاد فاصبحت ... مخضرة الاجناب بعد الياس

فقال الفضل بن العباس بن عتبة ابن ابي لهب يفتخر بذلك

بعمي سقى الله الحجاز واهله ... عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ... فما كر حتى جاد بالديمة المطر

ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روي ان اسماء بنت عميس قالت
لفاطمة ان علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما كان عند رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اوحي اليه فجلله بثوبه فلم يزل كذلك حتى
ادبرت الشمس او كادت تغيب ثم انه سري عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال اصليت يا علي قال لا فقال اللهم رد على علي الشمس
فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد ومن اعلامه صلى الله تعالى
عليه وسلم ما روي عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال بعثني رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني وانا حدث

السن لا علم لي بالقضاء قال انطلق فان الله تعالى سيهدي قلبك
ويثبت لسانك قال علي رضي الله تعالى عنه فما شككت في قضاء
بين اثنين ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقضاكم
علي ومثله قوله لابن عباس وهو يومئذ غلام اللهم فقهه في الدين و
علمه التاويل فخرج افقه الناس في الدين واعلمهم بالتاويل حتى سمي
البحر لسعة علمه ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابو العالية
عن ابي هريرة قال اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات
فقلت ادع الله لي بالبركة فيهن فصفهن على يدي ثم دعا بالبركة فيهن
ثم قال اجعلهن في المزود فاذا اردت شيئا فادخل يدك فيه ولا تنثره
قال ابو هريرة فلقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله
وكنا ناكل منه ونطعم وكان لا يفارق حقوي فلما كان يوم قتل عثمان
انقطع فذهب ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه جعيل
الاشجعي قال غزوت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض
غزواته فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول الله هي عجفاء ضعيفة
فرفع مخفقة معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها قال فلقد رايتني
ما امسك راسها ان تقدم الناس ولقد بعت من بطنها باثني عشر
الفا ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روت عائشة رضي الله عنها

قال

قالت قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهي اوبا
ارض فيه فقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وصححها
لنا وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها الى الجحفة فصارت
كذلك ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اخذ يوم بدر كفا
من حصا وتراب ورمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
فتفرق الحصى في المشركين ولم يصل ذلك الحصى والتراب احدا الا
قتل او اسر وفيه نزل قول الله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة وكان شاعرا لبيبا فقال قريش
له احذر محمدا فان قوله كالسحر يفرق بين المرء وبين زوجه فاتاه في بيته
وقال يا محمد اعرض امرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن فاسلم
وقال يا رسول الله اني امرؤ مطاع في قومي واني راجع اليهم وداعيهم
الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية تكون عونا عليهم فقال اللهم
اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بثنية وقع نور بين عيني مثل المصباح
فقلت اللهم في غير وجهي اخشى ان يظنوا به انها مثلة فتحول فوقع في
راس سوطي فجعل الحاضرون يرون ذلك النور في سوطي كالقنديل
المعلق وانا اهبط من الثنية ثم دعوت رؤساء قومي الى الاسلام

نا بطؤا فجئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله
انهم قد غلبوني على دوس فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع
الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض
دوس ادعوهم حتى اسلموا ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه
ابو نهيك الازدي عن عمرو ابن اخطب قال استسقى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ماء فاتيته باناء فيه ماء وفيه شعرة فرفعتها ثم ناولته
فقال اللهم جمله قال فرأيته بعد ثلاث وتسعين ما في رأسه ولحيته شعرة
بيضاء ونهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينقي الرجل شعره
في الصلوة فرأى رجلا ينقي شعره في الصلوة فقال قبح الله شعرك فقطع
مكانه فان قيل فاجابة الادعية لا تكون معجزة للنبوة لانه قد تجاب دعوة
غير الانبياء قيل ادعية الانبياء مجابة على العموم في جميعها وادعية
غيرهم ان اجيبت فعلى الخصوص في بعضها لان الانبياء منطقون بالحق
فاذا نطقت السنتهم بالدعاء صادف ما امر به فاجيبوا اليه وغيرهم
قد ينطق بالحق وبغيره فان اجيبت ادعيتهم فهو تفضل [illegible] يقف
على مشيئة الله تعالى

الباب الثاني عشر في انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بعده

روى فضالة ابن ابي فضالة الانصاري قال خرجت مع ابي الى ينبع

تقطع

عائدا لعلي ابن ابي طالب عليه السلام وكان بها مريضا فقال له ابي
يا ابا الحسن ما يقيمك بهذا البلد لا آمن ان يصيبك اجلك فلا يكن
احد يليك الا اعراب جهينة فلو احتملت الى المدينة فان اصابك
اجلك وليك اصحابك وصلوا عليك فقال يا ابا فضالة اخبرني حبيبي
وابن عمي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لا اموت حتى اومر ولا
اموت حتى اقتل الفئة الباغية ولا اموت حتى تخضب هذه من هذه
وضرب بيده على لحيته وهامته قضاء مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب
من افترى ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابو سلمة
عن ابي هريرة قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بجارية
القبطية في بيت حفصة بنت عمر فوجدتها معه تضاحكه فقالت
يا رسول الله في بيتي من دون بيوت نسائك قال فانها علي حرام
ان امسها ثم قال لها يا حفصة الا ابشرك قلت بلى بابي انت وامي
قال يلي هذا الامر من بعدي ابو بكر ثم يليه بعد ابو بكر ابوك اكتمي هذا
علي فخرجت حتى دخلت على عائشة فقالت لها الا ابشرك يا ابنة
ابي بكر قالت بماذا فذكرت ذلك لها وقالت قد استكتمني فاكتميه
فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة
ازواجك الايات ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه

معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن
فخرج معي يوصيني فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد
هذا ولعلك تمر بمسجدي ومنبري فبكى معاذ ثم التفت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاقبل بوجهه نحو المدينة وقال ان اهل بيتي هولاء
يرون انفسهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اولى الناس بي المتقون
من كانوا وحيث ما كانوا اللهم اني لا احل لهم فساد ما اصلحت ومن
انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه عبد الله بن عباس قال
كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل عثمان
فلما دنا منه قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة البقرة تقع من دمك
على فسيكفيكهم الله يقتلك اهل المشرق والمغرب وتبعث يوم القيمة
اميرا على كل مخذول ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احب
ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله
ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما روي انه قال لفاطمة رضي الله
تعالى عنها انك اول اهل بيتي لحاقا بي ونعم السلف انا لك فكانت
اول من مات بعده من اهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن انذاره
صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه عبد الله ابن عباس قال قال رسول الله

يقتلك صح

صلى الله تعالى عليه وسلم لنسائه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب
تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثير وتنجو
بعد ما كادت تقتل فقيل ان عائشة رضي الله تعالى عنها لما وصلت
الى مياه بني عامر ليلا انبحتها الكلاب فقالت ما هذا قالوا الحوأب قالت
ما اظنني الا راجعة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا ذات
يوم كيف باحداكن اذا نبح عليها كلاب الحوأب ومن انذاره صلى الله
تعالى عليه وسلم ما رواه ثابت عن الحسن البصري قال كان الحسن بن
علي رضي الله تعالى عنهما يجيء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد
فيجلس على عنقه فاذا اراد ان يرفع رأسه اخذه فوضعه في حجره ثم قال
ان ابني هذا سيد وان الله تعالى سيصلح به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه عروة عن
عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى
عنهما على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يوحى اليه فنزل على
ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل يا محمد ان امتك ستفتن
بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فاتاه بتربة بيضاء
وقال في هذه الارض يقتل ابنك اسمها الطف فلما ذهب جبريل
خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اصحابه والتربة في يده

الاَزْيَب صح

فنزل صح

وفيهم ابو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وابو ذر وهو يبكي فقالوا ما يبكيك
يا رسول الله فقال اخبرني جبريل ان ابني الحسين يقتل بعدي بارض
الطف وجاءني بهذه التربة فاخبرني ان فيها مضجعه ومن انذاره
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير دخل
على امه اسماء بنت ابي بكر فقال لها ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل
لك من حاجة قالت مالي من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك شيئا
سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف
كذاب ومبير اما الكذاب فقد رايناه تعني المختار واما المبير فانت
فقال الحجاج انا مبير المنافقين ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم
ما رواه عبد الملك بن عمير قال قال معاوية رضي الله تعالى عنه والله
ما حملني على الخلافة الا قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لي يا معاوية
ان وليت فاحسن ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه عبد الله
بن عباس عن ابيه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نظر اليه مقبلا
فقال هذا عمي ابو الخلفاء الاربعين اجود قريش كفا وان من ولده
السفاح والمنصور والمهدي يا عم بي فتح الله هذا الامر وبرجل من ولدك
يختم الى كثير من نظائر هذا

الباب الثالث عشر في معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ظهر من البهائم

اذا كان الاعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها واذا كانت
البهائم مسلوبة الافهام مفقودة الكلام فليس بمستنكر اذا اراد الله
تعالى بها اظهار معجز ان يعطيها من المعرفة ان تنطق بما الهمها وتخبر
بما اعلمها ثم سلبها ذلك فتعود الى طبعها كما احل في الشجرة كلاما سمعه
موسى وفي العصا ان صارت حية تسعى لتكون من باهر الآيات وقاهر
المعجزات فمن اياته صلى الله تعالى عليه وسلم ان رجلا كان في غنمه
يرعاها فاغفلها ساعة من نهاره فجاءه ذئب فاخذ منها شاة
فاقبل يهتف فطرح الذئب الشاة ثم كلمه بكلام فصيح فقال ويحك
لم تمنعني رزقا رزقنيه الله تعالى فجعل اهبان يصفق بيديه ويقول
تالله ما رايت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب انتم عجب وفي شأنكم
عبرة هذا محمد يدعو الى الحق ببطن مكة وانتم لاهون عنه فهدى الرجل رشده
واقبل حتى اسلم وحدث القوم بقصته وبقي لعقبه شرف يفخرون به على
العرب ويقول مفتخرهم انا ابن مكلم الذئب ومن آياته صلى الله تعالى
عليه وسلم ما رواه ابو سعيد الخدري قال بينما راع يرعى في الحرة غنما
اذ جاء ذئب الى شاة من غنمه فانتهزها فحال الراعي بين الذئب و
الشاة فاقعى الذئب على عجزه وذنبه وقال للراعي الا تتقي الله تحول
بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي العجب من ذئب يقعي

على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال له الذئب الا احدثك باعجب من هذا
هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانبآء
ما قد سبق فاخذ الراعي الشاة فاتى بها المدينة واتى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فخرج الى الناس فقال للراعي قم فحدثهم فقام يحدثهم فقال
صدق الراعي وكان اسمه عمير الطائي فسمي مكلم الذئب ومن آياته
صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى ابن عمر عن ابيه عمر رضي الله تعالى عنهما
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء
اعرابي قد صاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به فيأكله فلما رأى الجماعة
قال ما هذا قالوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء يشق الناس وقال
واللات والعزى ما احد ابغض الي منك ولولا ان تسميني قومي عجولا
لعجلت بقتلك فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله دعني اقوم فاقتله
فقال يا عمر اما علمت ان الحليم كاد ان يكون نبيا ثم قال للاعرابي ما حملك
على ما قلت فقال واللات والعزى لا امنت او يومن بك هذا الضب
واخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه الضب
بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه

وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا يا ضب قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك
فقال الاعرابي لا اتبع اثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر
الارض احد ابغض الي منك وانك اليوم احب الي من نفسي ومن
والدي واني لاحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي اشهد ان لا
اله الا الله وانك محمد رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله
الذي هداك به ان هذا الدين يعلو ولا يعلى فرجع الاعرابي الى قومه
فاخبرهم بالقصة وكان من بني سليم فاتى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الف انسان منهم فامرهم ان يكونوا تحت راية خالد بن
الوليد رحمة الله عليه ولم يؤمن من العرب الف في وقت واحد غيرهم
ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه انس بن مالك قال
دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا للانصار ومعه ابو بكر
رضي الله تعالى عنه وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله
كنا نحن احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي ان يسجد
احد لاحد ولو كان ينبغي ان يسجد احد لاحد لامرت المرأة ان تسجد
لزوجها ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه عبد الله ابن ابي
اوفى قال بينما نحن قعود عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اتاه

آت فقال يا رسول الله ما ضج بني فلان قد دبر عليهم قال فنهض ونهضنا
معه فقلنا يا رسول الله لا تقربه فانا نخافه عليك فدنا من البعير فلما رآه
سجد له فوضع يده على رأس البعير وقال هات السلطان فوضعه في رأسه
واوصى به خيرا ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه جبير بن مطعم
قال كنا جلوسا عند صنم لنا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بشهر فنحرنا جزورا فسمعنا صائحا يصيح اسمعوا الى العجب ذهب استراق
السمع لنبي بمكة اسمه احمد مهاجر الى يثرب فكان هذا من الآيات المنذرة
والآثار المبشرة ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم انه بينما هو جالس
في اصحابه اذ هو بجمل قد اقبل له رغاء فوقف فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اتدرون ما يقول هذا انه ليقول اني لآل فلان لحي من الخزرج
استعملوني وكدوني حتى كبرت وضعفت فلما لم يجدوا في حيلة يريدون
ذبحي فانا استغيث بك منهم فاوقفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه له وخلاه في الحي ومن آياته صلى الله
تعالى عليه وسلم ما رواه برد عن مكحول قال بينما اهل وريج حي من عرب
اليمن في مجلسهم اذ اقبل عجل وسلم فسالهم وقال اهل وريج امر نجيح
بطن نكة يصيح بلسان فصيح بشهادة ان لا اله الا الله فاجيبوه وقال
وفيه نزل قول الله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا

الم

بربكم فآمنا فان قيل فيجوز ان يكون ما سمع من كلام البهائم كالصدى
يحكي كلام المتكلم فيظنه السامع كلام الصدى وهو كلام المتكلم ويكون
ذلك بقوة يحدثها الله تعالى في المنتهى لذلك يخفى عن الاسماع والابصار
فعنه جوابان احدهما ان الصدى يحكي كلاما مسموعا اذا قابله قبل صوته
فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا لكلام يحكيه فامتنع التشاكل والثاني
ان القوة المهياة لذلك ليست من جنس قوى البشر فلا يكون في
التفاضل اعجاز وانما هي خارجة عن جنس قواهم فخرج عن قدرتهم
وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا فوضح بهذا الاعتراض لبطل به الاعتراض

الباب الرابع عشر في ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجماد

ولئن كانت المعارف من الجمادات ابعد والكلام منها اغرب فليس
بمستبعد ولا مستغرب ان يحدث الله تعالى فيها من الآيات الخارجة
عن العادة ما يحج الله تعالى به من استبصر ويكذبه من استنفر فمن آياته
صلى الله تعالى عليه وسلم ما حكاه اهل النقل عن علي ابن ابي طالب
كرم الله تعالى وجهه انه خطب على الناس خطبة المعروفة بالقاصعة
فقال فيها الحمد لله الذي هو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب
ايها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم اضدادا ولا لفضله عندكم
حسادا ولا تطيعوا اساس الفسوق واحلاس العقوق فان الله

بحكيه بدل

تسمى بالقاصعة

تعالى يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم

الا ترون انه اختبر الاولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم

بانواع الشدائد وتعبدهم بالوان المجاهد ليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله

واسبابا ذللا لعفوه فاحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء

الافعال وذميم الاعمال ان تكونوا امثالهم فلقد كانوا على احوال

مضطربة وايدي مختلفة وجماعة متفرقة في بلاء ازل واطباق جهل

من بنات موؤودة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة

فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا كيف نشرت

النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها فهم حكام على

العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان

يملكها عليهم ويمضون الاحكام على من كان يمضيها فيهم ولقد كنت

مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اتاه الملا من قريش فقالوا

يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا احد من اهل بيتك

ونحن نسألك امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول

وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب قال لهم وما تسألون قالوا

تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله على كل شيء قدير فان فعل الله ذلك لكم

اتؤمنون

اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني ساريكم ما تطلبون

واني لاعلم انكم لا تفيئون الى خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن

يحزب الاحزاب ثم قال يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم

الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن

الله تعالى قال علي رضي الله تعالى عنه فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها

وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت

الطير حين صوت

بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرفرفة والقت بغصنها

الاعلى عليه وببعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمينه فلما نظر القوم

الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها

فامرها بذلك فاقبل نصفها كاعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف

برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف

فليرجع الى نصفه كما كان فامره فرجع فقلت انا لا اله الا الله فاني اول

مؤمن بك يا رسول الله واول من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت

بامر الله تعالى تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم

بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك هذا

الا مثل هذا يعنونني وهو احقاء خطبا على الاشهاد وقل ان يخلو جمع

مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته

ولولاه لظهر الرد وان ندر وهذا من ابلغ آية واظهر اعجاز له ومن اياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه عبد الله بن بريدة عن ابيه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد هل من آية بينا تدعو اليه قال نعم ائت تلك الشجرة فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها ويسارها وبين يديها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض حتى وقفت بين يديه فقال الاعرابي مرها لترجع الى منبتها فامرها فرجعت الى منبتها فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك فقال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه يعلى بن شبابة قال كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير فاراد ان يقضي حاجة فامر ودتين فانضمت احداهما الى الاخرى ثم امرهما بعد قضاء حاجته ان يرجعا الى منبتهما فرجعتا ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم انه مر في غزوة الطائف في كثيف من طلح فمشى وهو وسن من النوم فاعترضته سدرة

فانفرقت

فانفرجت السدرة له بنصفين فمر بين نصفيها وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى قريب من اعصارنا هذه وكانت معروفة بذلك في مكانها يتبرك بها كل مار وتسمونها سدرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه سهيل ابن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حراء ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسكن حراء فليس عليك الا نبي او صديق او شهيد فسكن الجبل ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه جابر بن عبد الله قال كان في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه قد سلكه من طيب عرقه ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن اياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ثابت عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ كفا من حصا فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في ايدينا فما سبحن في ايدينا ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ان عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر فدفع اليه رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم قطعة من خشب وقال قاتل بها الكفار يا عكاشة
فتحولت سيفا في يده فكان يقاتل به حتى قتله طليحة في الردة ومن
آياته صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يخطب الى جذع كان يستنده
اليه فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع اليه فحن اليه الجذع حتى ضمه اليه
فسكن ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكرز العامري اتاه فقال
هل عندك من برهان نعرف به انك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده فسمع نغماتها من جمودتها وهذا ابلغ
من احياء عيسى للموتى ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما حاصر
الطائف سموا له جدعة فكلمه منها الذراع فقالت لا تاكلني فاني مسمومة
وهذا نظير احياء الموتى ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم انه اول
ما اوحى اليه لم يمر بحجر ولا مدر الا سلم عليه بالنبوة وهذا نظير قول الله تعالى
لداود يا جبال اوبي معه والطير ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم
ما رواه حمزة بن عمرو الاسلمي قال نفرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم في ليلة ظلماء فاضاءت اصابعه ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم
ما رواه ابراهيم بن علقمة عن عبد الله ابن مسعود قال انكم تعدون الآيات
عذابا وانا كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بركة لقد
كنا ناكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيح الطعام فان قيل فقد يجوز ان يتخيل ذلك للناظر كما يتخيل لراكب

عن

السفينة

السفينة سير النخل والشجر فعنه جوابان احدهما انه وان تخيل ذلك
لراكب السفينة فهو غير متخيل لغيره من قائم وقاعد وهذا متحقق عند كل
مشاهد على اختلاف احواله والثاني ان راكب السفينة يعلم انه تخيل له
غير معلوم وهذا معلوم غير متخيل وان قيل فقد يجوز ان يكون في خواص
الجواهر ما يجذب النخل والشجر كما في خاص حجر المغناطيس ان يجذب الحديد
فعنه جوابان احدهما انه قد علم خاصية حجر المغناطيس وظهر ولم يعلم
ذلك في غيره فلم يوجد ولو كان ذلك موجودا لكان الملوك عليه اقدر
ولكان مدخرا في خزائنهم كادخار كل مستغرب ومستطرف ولجاز
ادعاء مثله في قلب الاعيان وابطال الحقائق والثاني انه لو كان ذلك
لخاصية الجوهر جاذبا لكان بظهوره جاذبا وبجاذبيته للنخل والشجر فاعلا
ولا ينتقل اليه عن غيره وعنه الى غيره وكل هذا فيه معدوم وان كان في حجر
المغناطيس موجودا

الباب الخامس عشر في بشائر الانبياء عليهم السلام بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

ان الله تعالى عونا على اوامره واغناء عن نواهيه فكان انبياء الله تعالى
معلمين على تاسيس النبوة بما تقدمه من بشائرها ويبديه من اعلامها
وشعائرها ليكون السابق مبشرا ونذيرا واللاحق مصدقا وظهيرا فتدوم
بهم طاعة الخلق وينتظم بهم استمرار الحق وقد تقدمت بشائر من سلف

معاينا

من الانبياء بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مما هو حجة على امتهم ومعجزة تدل
على صدقه عند غيرهم بما اطلعه الله تعالى على غيبه ليكون عونا للرسول وحثا
على القبول **فمن ذلك بشارة موسى عليه السلام في التوراة** فاولها في الفصل
التاسع من السفر الاول لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملك وقال
يا هاجر امة سارة ارجعي الى سيدتك فاخضعي لها فان الله سيكثر زرعك
وذريتك حتى لا يحصون كثرة وها انت تحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل
لان الله تعالى قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق
الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع وهذا لم يكن في ولد اسمعيل الا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به قاهرين **ومنها**
قوله في هذا السفر لابراهيم حين دعاه في اسمعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته
جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما واجعله لامة عظيمة وليس في ولد اسمعيل
من جعله لامة عظيمة غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم **ومنها** في الفصل الحادي
عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام ان الرب الهكم قال اني اقيم
لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم اجعل كلامي على فمه فايما رجل لم يسمع كلماتي
التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فانا انتقم منه ومعلوم ان اخا بني
اسرائيل هم بنو اسمعيل وليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم **ومنها** في الفصل العشرين من هذا السفر ان الرب

جاء

جاء من طور سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ومعه
عن يمينه ربوات جيش القديسين فمنحهم الى الشعوب ودعا الجميع قديسيه
بالبركة فمجيء الله تعالى من طور سيناء هو انزاله التوراة على موسى واشراقه
من ساعير انزاله الانجيل على عيسى لانه كان سكن في ساعير ارض
الخليل في قرية ناصره واستعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفاران هي جبال مكة في قول الجميع فان
ناكروا كان دفعا لما في التوراة ولانه لم يستعل الدين كاستعلائه
منها فاندفع الانكار بالعيان

[illegible] الى الشعوب نخ

فصل من البشارة

كان بين موسى وعيسى من الانبياء الذين اوتوا الكتاب باتفاق اهل
الكتابين عليهم ستة عشر نبيا ظهرت كتبهم في بني اسرائيل فبشر كثير منهم
بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم **فمنهم شعيا بن اموص** قال في الفصل
الثاني والعشرين قومي فازهري مصباحك يعني مكة فقد دنا وقتك
وكرامة الله طالعة عليك فقد تجلل الارض الظلام وغطا على الامم الضباب
والرب يشرق عليك اشراقا ويظهر كرامته عليك فتسير الامم الى نورك
والملوك الى ضوء طلوعك ارفعي بصرك الى حولك وتاملي فانهم يجتمعون
عندك ويحجونك ويأتيك ولدك من بلد بعيد وتسرين وتبتهجين

من اجل انه يميل اليك ذخائر البحر ويحج اليك عساكر الامم حتى تغمرك
الابل المؤبلة وتضيق ارضك عن القطرات التي تجمع اليك ويساق
اليك كباش مدين ويأتيك اهل سبا يحملون نعم الله ويحمدونه ويسير
اليك اغنام قاذار يعني غنم العرب لانهم من ولد قاذار بن اسمعيل ويرتفع
الى مذبحي ما يرضيني واحدث حينئذ لبيت حمدا وهذه الصفات
كلها موجودة بمكة فكان ما دعا اليها هو الحق ومن قام بها هو المحق وفي فصل
آخر من كتابه قال لي الرب امض فاقم على المنظرة تخبر بما ترى فرأى
راكبين احدهما راكب حمار يعني عيسى والآخر راكب جملا يعني محمدا فبينما
هو كذلك اذ اقبل احد الراكبين وهو يقول هوت بابل وتكسرت آلهتها
المنحوتة على الارض فهذا الذي سمعت الرب آله اسرائيل قد انبأتكم وفي
الفصل السادس عشر منه لتفرح ارض البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات
ولتسر وتزهر مثل الوعل فانها ستعطى باحمد محاسن لبنان ويكمل حسنها
الدساكر والرياض وسيرون جلال الله تعالى بها قال شعيا وسلطانه
على كتفه يريد علامة نبوته على كتفه وهذه صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وبادية الحجاز وفي الفصل التاسع عشر منه هتف هاتف من البدو فقال
خلوا الطريق للرب وسهلوا سبيل آلهنا في القفر فتمتلئ الاودية
مياها وتفيض فيضا وتنخفض الجبال والروابي انخفاضا وتصير الآكام

التبجج

دكا

دكا دكا والارض الوعرة مذللة ملسا وتظهر كرامات الرب ويراها كل
احد وفي الفصل العشرين منه وهو مذكور في ثلاث وخمسين ومائة من
مزامير داود لترتاح البوادي وقراها ولتصير ارض قيذار مروجا وليسبح
سكان الكهوف وليهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب وليرفعوا تسبيحه
فان الرب يأتي كالجبار المتسلط المتكبر وهو يزجر ويقتل اعدائه وارض
قيذار هي ارض العرب لانهم ولد قيذار والمروج ما صار حول مكة من
النخل والشجر والعيون وفي الفصل العشرين منه ايضا ان الضعفاء
والمساكين يستسقون ماء ولا ماء لهم فقد جفت السنتهم من الظماء
وانا الرب اجيب يومئذ دعوتهم ولن اهملهم بل افجر لهم في الجبال الانهار
واجري بين القفار العيون واحدث في البدو اجباما واجري في الارض
العطشى ماء معينا وانبت في البلاقع القفار الصنوبر والآس و
الزيتون واغرس في القاع الصفصف البر ليروها جميعا ثم يتدبروا
ويعلموا ان يد الله صنعت ذلك وقدوس اسرائيل ابتدعه وهذه صفات
بلاد العرب فيما احدث الله تعالى لهم فيها باسلامهم

فصل من كتاب آرنذال بن نوتال من انبياء بني اسرائيل

مثل الصبح المسلط على الجبال شعب عظيم عزيز لم يكن مثله قط ولا يكون
بعده مثله الى ابد الابد امامه نار تتأجج وخلفه لهيب وتلتهب الارض

في ثلاث والخمسين

اجاما

بين يديه مثل فردوس عدن فاذا جاز فيها وعبرها تركها برية خاوية
رؤيته كرؤية الخيل وجابته فرسان مثل الفرسان اصواتهم كصوت
لهب النار الذي يحرق الهشيم رجفت الارض امامهم وتزعزعت
السماء واظلمت الشمس وغاب نور النجوم والرب اسمع صوتا بين يدي
اجناده لان عسكره كثير جدا وعمل قوله عزيز لان يوم الرب عظيم مرهوب
جدا وهذا نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل من بشارة عوبديا من انبياء بني اسرائيل

وفي كتابه قد سمعنا خبرا من قبل الرب وارسل رسولا الى الشعوب
ثم يتقدم اليه بالحرب ايها الساكن في نجر الكهف ومحله في الموضع
الاعلى لان يوم الرب قريب من جميع الشعوب فهذا مرموز في نبوة

كما صنعت كذلك يصنع بك

فصل من بشارة ميخا من انبياء بني اسرائيل

في كتابه فاما الآن فيتسلمهم الى الوقت الذي تلد فيه الوالدة ويقوم
فيرعاهم يعني الرب وبكرامة اسم الله ربه ويقبلون بهم الى من سيعظم
سلطانه الى اقطار الارض ويكون على عهده الاسلام

فصل من بشارة حبقوق من انبياء بني اسرائيل

جاء الله من طور سينا واستعلن القدوس من جبال فاران وانكشفت
لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت الارض من محامده

لان شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعده وتسير المنايا امامه
وتصحب سباع الطير اجناده قام فمسح الارض وقابل الامم وبحث عنهم
الجبال القديمة واتضعت الروابي الدهرية وتزعزع
سور ارض مدين ولقد جاز الساعي القديمة قطع الرأس
الاثيم ورضت روس سلاطينه بعصبه ومعلوم ان محمدا واحمد ومحمودا
صريح في اسمه وهما يترجمان الى من اطلق عليه اسم الحمد وهو بالسريانية
موشيحا اي محمد ومحمود ولهذا اذا اراد السرياني ان يحمد الله تعالى قال
شبحا لالاهنا

واسمه لاها

فصل من بشارة حزقيال من انبياء بني اسرائيل

في كتابه ان الذي يظهر من البادية فيكون فيه حتف اليهود كالكرمة
اخرجت ثمارها واغصانها عن مياه كثيرة وتفرعت منها اغصان
مشرفة على اغصان الاكابر والسادات وبسقت فلم تلبث تلك
الكرمة ان قلعت بالسخطة وضرب بها على الارض فاخرجت ثمارها
واتت نارا فاكلتها فكذلك غرس غرس في البدو وفي الارض المهملة
المعطلة العطشى وخرج من اغصانه الفاضلة نار فاكلت ثمار تلك
حتى لم يبق منها عصا قوية ولا قضيب ينهض بامر السلطان

فصل من بشارة صفنيا من انبياء بني اسرائيل

فى كتابه ايها الناس ترجوا اليوم الذى اقوم فيه للشهادة فقد حان
ان اظهر حكمى بحشر الامم وجميع الملوك لاصب عليهم سخطى وتكبرى هناك
احدد للامم اللغة المختارة ليرفعوا اسم الرب جميعا ويعبدوه فى ربقة
واحدة معا وليأتون بالذبائح من مغاراتها تكون ومعلوم ان اللغة
العربية هى المختارة لانها طبقت الارض وانقطعت اكثر اللغات اليها
حتى صار ما عداها نادرا

فصل من اثبات آثار زكريا بن يوحنا من انبياء بنى اسرائيل

فى كتابه رجع الملك الذى ينطق على لسانى وايقظنى كالرجل الذى
يستيقظ من نومه وقال لى ما الذى رأيت فقلت منارة من ذهب وكفة
على رأسها ورأيت على الكفة سبعة سرج لكل سراج منها سبعة افواه
وفوق الكفة شجرتا زيتون احداهما عن يمين الكفة والاخرى عن يسارها
فقلت للملك الذى ينطق على لسانى ما هذه يا سيدى فرد الملك
علىّ وقال لى اما تعلم ما هذه فقلت ما اعلم فقال لى هذا قول الرب فى
زربابيل يعنى محمدا وهو يدعو باسمى وانا استجيب للنصح والتطهير واخرف
عن الارض انبياء الزور والارواح النجسة لا بقوة ولا بعز ولكن
بروحى يقول الرب القوى ويعنى بشجرتى الزيتون الدين والملك
وزربابيل هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

شمس اركوش

نفر

فصل من اثبات آثار دانيال من انبياء بنى اسرائيل

فى كتابه رأيت على السحاب المسمى كهيئة انسان جاء فانتهى الى عتيق
الايام وقدموه بين يديه فخوله الملك والسلطان والكرامة ان تعبد
له جميع الشعوب والامم واللغات سلطانه دائم الى الابد لا يتعبه كل
سلطان ولا يفنى الفان وثلاثمائة فينقضى عقاب الذنوب يقوم ملك
منيع الوجه فى سلطانه عزيز القوة لا تكون عزته بقوة نفسه
وينجح فيما يريده ويجوز فى شعب الاطهار ويهلك الاعزاء ويؤتى بالحق
الذى لم يزل قبل العالمين وفى هذا دليل على امرين احدهما صدق الخبر
لوجوده على حقه والثانى صحة نبوة لظهور الخبر فى صحته

فصل من اثبات آثاره فى رؤيا بختنصر

وهو ان بختنصر رأى فى السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع منها ونسيها
فاحضر من فى ممالكه من الكهنة والمنجمين وكان قد ملك الاقاليم السبعة
وسألهم عن الرؤيا وتأويلها فقالوا له اذكرها لنا حتى نذكر تأويلها لك
فامر بقتلهم ان لم يذكروها وتأويلها وكان دانيال النبى قد سباه من اليهود
فاستمهل فى امرهم ورغب الى الله تعالى فى اطلاعه على الرؤيا وتأويلها
فاطلعه الله تعالى على ذلك فاتى بختنصر وقال ايها الملك انك كلفت
هؤلاء ما لا يعلمه الا الله وقد رغبت اليه فاطلعنى عليه ورؤياك التى

سحاب السما

رأيتها ان قلبك جاش واختلج بما يحدث بعدك في آخر الزمان فعرفك
مبدي الاسرار ما يكون انك ايها الملك رأيت صنما عظيما قائما قبالتك
له منظر رائع رأسه من الذهب الابريز وصدره وذراعاه من فضة
وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعض رجليه من حديد وبعضها
من خزف ورأيت حجرا انقطع من جبل عظيم بغير يد انسان فضرب ذلك
الصنم فهشمه حتى صار كالرماد الذي به ريح عاصف حتى لم يعرف
له مكان ثم عظم الحجر الصلد الذي صك الصنم حتى صار جبلا عظيما امتلأت
منه الارض كلها فهذه الرؤيا وانا معبرها اما الصنم فهم الملوك فانت
الرأس الذهب ويقوم من بعدك من هو دونك الين منك فاما المملكة
الثالثة التي هي مثل النحاس فتتسلط على الارض كلها واما المملكة الرابعة
التي هي مثل الحديد فتكون عزيزة كما ان الحديد يهشم الجميع فكذلك هذه
تسحق وتغلب الكل واما الارجل والاصابع التي رأيت ان منها من
خزف الفخار ومنها من حديد فان المملكة تكون مختلفة ومتفرقة يكون منها
اصل من جوهر الحديد وخلط من خزف الفخار فيكون بعض المملكة قويا
وبعضها واهيا كسيرا لا يأتلف بعضها ببعض كما لا يختلط الحديد بالخزف
واما الحجر الواقع من الجبل فان اله السماء يرسل مملكة من عنده لانه
لم تقطع الحجر يد انسان في زمان هذه الممالك يهلكها ويبقى الى آخر
يهلكها

الدهر

الدهر ولا يكون لامة اخرى مملكة ولا سلطان الا دقه كما يدق الحجر
الحديد والنحاس والفضة والذهب فعرفك الله العظيم ما يكون بعدك
في آخر الايام فهذه رؤياك وتأويلها فخر بختنصر على وجهه ساجدا لدانيال
وقال ان الهكم هذا هو اله الآلهة ورب الاملاك حقا وهو مبدي
الاسرار وجعل دانيال رأسا مقدما على ارض بابل ومعلوم انه لم يرسل
الله تعالى سلطانا ازال به الممالك وملأ به الارض ودام له الامر الا
بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل من بشارة ارميا ابن برخيا من انبياء بني اسرائيل في ايام بختنصر

لما قتل اهل الرس نبيهم قال ابن عباس امر الله تعالى ان يأمر بختنصر
ان يغزوا العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم فامره
بذلك فدخل بختنصر بلاد العرب فقتل وسبا حتى انتهى الى تهامة فاتى
بمعد بن عدنان فامر بقتله فقال له النبي لا تفعل فان في صلبه نبيا
يبعث في آخر الزمان يختم الله به الانبياء فخلى سبيله وحمله معه حتى اتى
حصونا باليمن فهدمها وقتل اهلها وزوج معدا اجمل امرأة منهم في زمانها
وخلفه بتهامة حتى تنسل بها قال ابن عباس وفي ذلك نزل قوله تعالى
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين

فصل من بشارة داود في الزبور

سبحان الذي هيكله الصالحون يفرح اسرائيل بخالقه وبنوت صهيون من اجل
ان الله اصطفى له امته واعطاه النصر و الصالحين منه بالكرامة
يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله باصوات مرتفعة بايديهم سيوف
ذوات شفرتين لينتقموا من الامم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم
بالقيود واشرافهم بالاغلال ومعلوم ان سيوف العرب هي ذوات الشفرتين
ومحمد هو المنتقم بها من الامم وفيه ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا
وصهيون العرب والاكليل النبوة ومحمود هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وفي مزمور آخر منه انه يجوز من بحر الى بحر ومن لدن الانهار الى الانهار
الى منقطع الارض وان تخر اهل الجزائر بين يديه على ركبهم وتلحس اعداؤه
التراب تاتيه الملوك بالقرابين وتسجد وتدين له الامم بالطاعة والانقياد
لانه يخلص المضطهد البائس ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذي
لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين وانه يعطى من ذهب بلاد سبا
ويصلى عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم ذكره الى الابد
ومعلوم انه لم يكن هذا الا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي مزمور آخر قال
داود اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس انه بشر اي ابعث نبيا
يعلم الناس ان المسيح بشر لعلم داود ان قوما سيدعون المسيح ما ادعوه
وهذا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

نقل

فصل من بشارات المسيح به في الانجيل

قال المسيح عليه السلام للحواريين انا ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح
الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه الا كما يقال له وهو يشهد علي وانتم تشهدون
لانكم معي من قبل الناس وكل شيء اعده الله لكم يخبركم به وفي نقل يوحنا
عنه ان البارقليط لا يجيئكم ما لم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة
ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق
ويخبركم بالحوادث والغيوب وفي نقل آخر عنه ان البارقليط روح الحق
الذي يرسله ربي باسمي هو يعلمكم كل شيء اي سائل ان يبعث اليكم بارقليط
آخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شيء وفي نقل آخر عنه ان البشر
ذاهب والبارقليط بعده يجلي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شيء وهو يشهد لي
كما شهدت له فاني لا اجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتاويل والبارقليط
بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا احمد وانا
محمود وانا محمد فهذه من بشارات الانبياء عن الكتب الالهية المتناصرة
بصحة نبوته المتواترة الاخبار بانتشار دعوته وتأبيد شريعته ولعل
ما لم يصل الينا منها اكثر فمنهم من عينه باسمه ومنهم من ذكره بصفته
ومنهم من عزاه الى قومه ومنهم من اضافه الى بلده ومنهم من خصه بافعاله
ومنهم من بشره بظهوره وانتشاره وقد حقق الله تعالى جميعها فيه

حتى صار حليما بعد الاحتمال ويقينا بعد الارتياب فان قيل مجى الانبياء
موضوع لمصالح العالم وهم مامورون بالرافة والرحمة ومحمد جاء بالسيف
وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى
فزال عن حكمهما فى النبوة لمخالفتهما فى السيرة فعنه ثلاثة اجوبة احدها
ان الله تعالى بعث كل نبى بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لان السيف
انجع ومنهم من بعثه باللطف لان اللطف انفع كما خالف بين معجزاتهم
بحسب ازمانهم فبعث موسى بالعصا فى زمان السحر وبعث عيسى باحياء
الموتى فى زمان الطب وبعث محمدا بالقران فى زمان الفصاحة لان
الناس فى بدء امرهم يتعاطفون مع القلة ثم يتنافرون ويتجاسرون
مع الكثرة ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجا اول
هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والامل والجواب
الثانى ان السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا واللطف اذا كان
مع اقرار الباطل كان شرا لان الشرع موضوع لاقرار الفضائل
الالهية والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر
به الخير وينتفى به الشر لان النفوس الاشرة لا يكفها الا الرهبة فكان
القهر لها ابلغ فى انقيادها من الرغبة وكانت العرب اكثر الناس شرا

بدل صح
يتعاطفون

الغزا

وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم انفع
من اللطف والجواب الثالث انه لم يكن فى جهاده بالسيف بدعا من الرسل
ولا اول من اثخن فى اعداء الله تعالى وقبل هذا ابراهيم عليه السلام جاهد
الملوك الاربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على اهلها وحاربهم
حتى هزمهم باحزابه واتباعه وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا
من ملوك الشام واباد من مدنها ما لم يبق له اثر ولا من اهلها
من غير ان يدعوهم الى دين او يطلب منهم اتاوة وساق الغنائم وغزا
داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امراة الا قتلهم وهو موجود
فى كتبهم ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بدا بالاستدعاء وحارب بعد الاباء
روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما رايت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك
من محارم الله تعالى شئ فاذا انتهك من محارم الله تعالى شئ كان اشدهم
فى ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما وقد
كان صلى الله تعالى عليه وسلم احث الناس على الصفح والتعاطف
روى اسيد بن عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن عامر قال لقيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى يا عقبة صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك فهل يكون احنى على الخلق ممن يامرهم

بمثل هذا وانما نظمت الملحدة بمثل هذا الاعتراض القدح في النبوات فانهم
لم يعفوا نبيا من القدح في معجزته والطعن على سيرته حتى قال منهم في عصرنا
ما طعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بشعر
نظمه فقال

وفالق البحر لم يفلق جوانبه ⁖ اذ ضاع فيه ضياع الحوت في السفن
ومدع يدعي الاشياء خلقته ⁖ ما باله زال والاشياء لم تزل
وآخر يدعي بالسيف حجته ⁖ هل حجة السيف الا حجة البطل

فحضرني حين وردت هذه الابيات الى بعض اهل العلم فاجاب
عنها فقال

قل للذي جاء بالتكذيب للرسل ⁖ وردّ معجزهم بالزيغ والدغل
وقال في ذاك ابياتا مزخرفة ⁖ ليوقع الناس في شك من الملل
ضياع موسى دليل من ادلته ⁖ من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس ان الله فالقه ⁖ وان موسى ضعيف تاه في السبل
والمعجز الحق في فلق المياه له ⁖ وجعله البرّ ما يحتاط بالحيل
وابن البتول فان الله نزّهه ⁖ عما ذكرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى طير يقدّره ⁖ طينا ويري احياه ولم يزل
وقال اني باذن الله فاعله ⁖ واذن ربك يحيي الخلق لا عمل

وصاحب السيف كان السيف حجته ⁖ بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتديا بالنصح مجتهدا ⁖ بمعجزات لها حارت اولو النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب ⁖ فيه من الغيب ما اوحي الى الرسل
فافحم الشعراء المفلقين به ⁖ لما تحداهم بالرفق في مهل
وانبع الماء عذبا من انامله ⁖ من غير ما معجزة كانت وللاوشل
وشارف القوم وافاه وكلمه ⁖ وقال اني من قتل على وجل
والذئب قد اخبر الراعي بمبعثه ⁖ فجاء يشهد بالاسلام في عجل
والجذع حن اليه حين فارقه ⁖ حنين ذات حوار ساعة الهبل
واخبر الناس عما في ضمائرهم ⁖ مفصلا بجواب غير محتمل
وبناء الروم عن نصر يكون لها ⁖ من بعد سبعة اعوام على جدل
والفرس اخبرها عن قتل صاحبها ⁖ برويز اذ جاء فيروز في شغل
وان تقصيت ما جاء النبي به ⁖ طال النشيد ولم آمن من الملل

الباب السادس عشر في هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

والجن من العالم الناطق المميز ياكلون ويتناكحون ويتناسلون و
يموتون واشخاصهم محجوبة عن الابصار وان تميزوا بافعال وآثار
الا ان يخص الله تعالى برؤيتهم من يشاء وانما عرفهم الانس من الكتب
الالهية وما تخيلوه من آثارهم الخفية قال الله تعالى فيما وصفه من انشاء

الخلق ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان
خلقناه من قبل من نار السموم يريد بقوله ولقد خلقنا الانسان من
صلصال آدم ابا البشر عليه السلام وفي الصلصال وجهان احدهما
انه الطين اليابس والثاني انه الطين الذي لا تمسه النار والحمإ
جمع حمأة وفيها وجهان احدهما انه المنصوب القائم فيكون صفة
الانسان والثاني انه المنسوب فيكون تمييزا للجنس وقوله والجان
خلقناه من قبل يعني من قبل آدم لان آدم خلق آخر الخلق وفي الجان
وجهان احدهما انه ابليس والثاني انه ابو الجن فآدم ابو البشر والجان
ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي قوله من نار السموم وجهان احدهما
من نار الشمس والثاني نار الصواعق بين السماء وبين حجاب دونها
فلم يختلفوا في ان الجن يتناسلون ويموتون ومنهم مؤمن ومنهم كافر
واختلف في الشياطين فزعم قوم انهم كفار الجن يتناسلون ويموتون
وزعم آخرون انهم غير الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال
بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق الى انهم يتناسلون ويموتون
وذهب آخرون الى انهم كابليس لا يموتون الا معه وان تناسلهم
انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون فان انكر قوم خلق الجن ولم
يؤمنوا بالكتب الالهية فهدتهم براهين العقول وحجج القياس لان الله

تعالى انشأ خلق العالم من اربعة اجرام جعلها اصولا لما خلق من العالم الحي
وهي الارض والماء والهواء والنار والعالم نوعان اتفاقا علوي وسفلي
فالعالم السفلي نوعان خلقهما من جرمين احدهما من الارض وهو ما عليها
من الحيوان والثاني من الماء وهو ما فيه من السموك وهما هابطان لهبوط
الارض والماء وظاهران لظهور اصلهما واستمر القياس فيهما وبقي العالم
العلوي جرمان الهواء والنار وقد استقر خلق الملائكة من الهواء فاقتضى
معقول القياس ان يكون خلق الجن من النار لتكون الاجرام الاربعة
اصولا لخلق اجناس اربعة ولعلو الهواء ما كان عالمه من الملائكة علويا ولخفائه
ما كان خفيا لا يهبط الا عن امر الهي ولا يعاين الا بمعونة الهية ولعلو
النار في اصل هابط ما كان لعالمه من الجن علوا وهبوطا ولخفاء كونها
خفي عالمها عن العيان الا بمعونة الهية فصار اصلان من الاربعة محسوسين
بالعيان وهما على الارض وفي الماء واصلان معقولين بالقياس وهما
الملائكة والجن ولولا ان دافع ذلك عادل عن الدلائل الشرعية لما عدلنا
عنها الى هذا الاستدلال الخارج عن البراهين الشرعية

فصل

فاذا ثبت خلق الجن بما دللنا عليه من شرع ومعقول فهم مكلفون لان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحداهم بالقرآن بقوله تعالى قل لئن

اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن وفى صرفهم وجهان احدهما انهم صرفوا عن استراق سمع السماء
برجوم الشهب ولم يعرفوا عنه بعد عيسى الا بعد بعث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقالوا ما هذا الحادث فى السماء الا لحادث فى الارض وتخيلوا
به تجديد النبوة فجابوا الارض حتى وقفوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ببطن نخلة عامدا الى عكاظ وهو يصلى الفجر فاستمعوا القرآن ورأوه كيف
يصلى ويقتدى به اصحابه فعلموا انه لهذا الحادث صرفوا عن استراق السمع
برجوم الشهب وهذا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه وحكى عكرمة ان السورة
التى كان يقرؤها اقرأ باسم ربك الذى خلق والوجه الثانى انهم صرفوا عن بلادهم
بالتوفيق هداية من الله تعالى حتى اتوا نبى الله ببطن نخلة فنزل عليه جبريل بهذه الآية
واخبره بوفود الجن وامره بالخروج اليهم فخرج ومعه ابن مسعود حتى جاء الحجون
عند شعب ابى ذر قال ابن مسعود فخط على خطا وقال لا تجاوزه ومضى الى
الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل حتى لم اره فعلى الوجه الاول لم يعلم بهم حتى
اتوه وعلى الوجه الثانى اعلمه جبريل قبل اتيانهم واختلف اهل العلم فى رؤيته
لهم وقراءته عليهم فحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما سمعوا قراءته حين مروا به مصليا وحكى عن

اى القبيح

ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم القرآن وفى قوله فلما حضروه قالوا انصتوا
وجهان احدهما فلما حضروا قراءة القرآن قالوا انصتوا لسماعه والوجه الثانى
فلما حضروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا انصتوا لسماع قوله فلما
قضى ولوا الى قومهم منذرين فيه وجهان احدهما فلما فرغ من الصلاة ولوا الى
قومهم منذرين به والثانى لما فرغ من قراءة القرآن ولوا الى قومهم منذرين
وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم انا سمعنا قرآنا عجبا فى فصاحته وبلاغته والثانى
عجبا فى حسن مواعظه وفى قوله يهدى الى الرشد فآمنا به وجهان احدهما الى
مراشد الامور والثانى الى معرفة الله تعالى فثبت ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كان عام الرسالة الى الانس والجن فلم يختلف اهل العلم انه يجوز
ان يبعث اليهم رسولا من الانس واختلفوا فى جواز بعثة رسول منهم فجوزه
قوم لقول الله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم ومنع آخرون
منه وهذا قول من جعلهم من ولد ابليس وحملوا قوله الم يأتكم رسل منكم على الذين
لما سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين فاما كفارهم فيدخلون النار واما
مؤمنوهم فقد اختلفوا فى دخولهم الجنة ثوابا على ايمانهم فقال الضحاك ومن
جوز ان يكون رسلهم منهم يدخلون الجنة وحكى سفيان عن ليث انهم يثابون
على الايمان بان يجازوا على النار خلاصا منهم ثم يقال لهم كونوا ترابا كالبهائم
فاما استراقهم للسمع فقد كانوا فى الجاهلية قبل بعث الرسول يسترقونه

ولذلك كانت الكهانة في الانس لالقاء الجن اليهم ما استرقوه من السمع في مقاعد
كانت لهم يقربون فيها من السماء كما قال تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء فيلقوها الى الكهنة فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا يعني بالشهاب الكواكب المحرقة وبالرصد الملائكة فاما استراقهم
للسمع بعد بعث الرسول فقد اختلف فيه اهل العلم على قولين احدهما انه زال
استراقهم للسمع ولذلك زالت الكهانة والثاني ان استراقهم باق بعد بعث
الرسول وكان قبل الرسول لا تأخذهم الشهب لقول الله تعالى فمن يستمع
الآن يجد له شهابا رصدا والذي يستمعونه اخبار الارض دون الوحي لان الله
تعالى قد حفظ وحيه منهم لقوله تعالى انا نحن نزلنا عليه الذكر وانا له لحافظون
واختلف على هذا في اخذ الشهب لهم هل يكون قبل استراقهم للسمع او بعده
فذهب بعض اهل العلم الى ان الشهب تأخذهم قبل استراق السمع حتى لا يصل
اليهم لانقطاع الكهانة بهم وتكون الشهب منعا عن استراقه وذهب
آخرون منهم الى ان الشهب تأخذهم بعد استراقه وتكون الشهب عقابا
على استراقه وفيها اذا اخذتهم قولان احدهما انها تقتلهم ولذلك انقطعت
الكهانة بهم والثاني انها تجرح وتحرق ولا تقتل ولذلك عادوا الى استراقه
بعد الاحتراق ولولا بقاؤهم لانقطع الاستراق بعد الاحتراق ويكون
ما يلقونه من السمع الى الجن دون الانس لانقطاع الكهانة عن الانس

وفي الشهاب الذي يأخذهم قولان احدهما انه نور يمتد لشدة ضيائه
ثم يعود والقول الثاني انه نار تحرقهم ولا تعود فهذا خطب الجن فيما هم
عليه من نعت وحكم

فصل

فاما هتوفهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من آيات نبوته فان
كان قبل بعثه كان من نذر آياته الصادرة عن الهام فمن هتوفهم بنبوته
ما حكاه ابراهيم بن سلامة عن اسمعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه كان يحدث عن رجل من خثعم قال كانت خثعم
لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد اصناما فبينا نحن عند صنم متهادات
ليلة نتقاضى اليه في امر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح يقول

يا ايها الركب ذووا الاحكام ∴ ما انتم وطائش الاحلام
وسندوا الحكم الى الاصنام ∴ بصدع بالحق وبالاسلام
هذا نبي سيد الانام ∴ اعدل ذي حكم من الاحكام
ويتبع النور على الاظلام ∴ مستعلن في البلد الحرام
قد ظهر الناس من الآثام

قال الخثعمي ففزعنا منه وخرجت الى مكة واسلمت مع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ومن بشائر هتوفهم ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب

رئي ابو زين كمي
التابع من الجن

قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالساً اذ مر به رجل فقيل
له اتعرف هذا المار يا امير المؤمنين قال ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب
رجل من اهل اليمن وكان له رئي من الجن فارسل اليه عمر فقال انت سواد بن
قارب قال نعم يا امير المؤمنين فقال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم يا امير المؤمنين بينما انا ذات ليلة بين
النائم واليقظان اذ اتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال قم يا سواد بن
قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من لوي بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها ⁂ وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ⁂ ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ⁂ ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعني فاني امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كان الليلة
الثانية اتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل
ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لوي بن
غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها ⁂ وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ⁂ ما مؤمنو الجن ككفارها

فارحل

فارحل الى الصفوة من هاشم ⁂ بين روابيها واحجارها

فقلت دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كانت
الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي
واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوي بن غالب يدعو الى الله
تعالى والى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتجساسها ⁂ وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ⁂ ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم ⁂ واسم بعينيك الى راسها

قال فاصبحت وقد امتحن الله تعالى قلبي الاسلام فرحلت ناقتي واتيت
المدينة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه فقلت اسمع
مقالي يا رسول الله قال هات فانشأت

اتاني نجيي بعد هدو ورقدة ⁂ ولم اك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة ⁂ اتاك رسول من لوي بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت ⁂ بي الدعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لا شيء غيره ⁂ وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة ⁂ الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى ⁂ وان كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ❊ سواك بمغن عن سواد بن قارب
ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا
حتى رأى الفرح في وجوههم قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت احب
ان اسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن
فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن ومن بشائر هتوفهم ما رواه ابراهيم
بن سلامة عن اسمعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب
حدث يوما في مجلس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
خرجنا قبل مظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشهرين الى الابطح بمكة
معنا عجل نريد ذبحه ونحن نفر فلما ذبحناه وتقضاب دمه ومات اذ صاح
من جوفه صائح يقول يا ذريح يا ذريح صائح يصيح بصوت فصيح بني يظهر
الحق يفيح يقول لا اله الا الله فصاح كذلك ثلاث مرات ثم هدا صوته
وتفرقنا ورعبنا منه فلم يلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان اظهر فقال
رجل من القوم ما تعجب يا امير المؤمنين خرجت واصحاب لي في تجارة لنا
ونحن اربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا ببعض اودية الشام قرمنا الى اللحم
قرما شديدا قبل مظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا بظبية قد عرضت
لنا مكسورة القرن فلم نزل نختلها حتى اخذناها قال فوالله انا نتوامر
بذبحها اذ هتف هاتف فقال

يا ايها

يا ايها الركب السراع الاربعه ❊ خلوا سبيل الظبية المروعه
فانها لطفلة ذات وعه ❊ خلوا عن الصبا
ثم قال خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادي وما يمر فيه اقل من خمسين
رجلا حتى كنتم به قال فارسلناها فلما امسينا اخذ بازمة رواحلنا حتى
اتى بنا الى حاضر لجب كثير الاهل فاطعمنا من الثريد ما اذهب قرمنا ثم
خرجنا حتى قضى الله تجارتنا فصحبنا رجل من يهود فلما كنا بذلك الوادي
هتف هاتف فقال

اياك لا تعجل وخذها موثقه ❊ فان شر السير سير الحقحقه
قد لاح نجم فاستوى في مشرقه ❊ يكشف عن ظلما عبوس موبقه
يدعو الى ظل جنان مونقه

فقال اليهودي تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا ما يقول قال يخبر
ان نبيا قد ظهر خلافكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بمكة ومن بشائر هتوفهم ما حكاه ابو عبس قال سمعت قريش في الليل
هاتفا على ابي قبيس يقول

ان يسلم السعدان يصبح بمكة ❊ محمد لا يخشى خلاف المخالف
فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان سعد بكر سعد تميم فلما كان
في الليلة الثانية سمعوه يقول

يا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ❊ ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا ❊ على الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى ❊ جنان من الفردوس ذات زخارف
فلما اصبحوا قال ابو سفيان هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة
ومن اثار هتوفهم ما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن اسماء بنت
ابي بكر قالت ما علم المشركون من اهل مكة اين توجه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى هتف هاتف بعد ذلك بايام
فقال

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ❊ رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما رحلا بالهدى واهتدى به ❊ فافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بني كعب محل فتاتهم ❊ ومقعدها للمسلمين بمرصد
وقالت اسماء ما علم المشركون من اهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف
من جبال مكة وفتيان يشعرون بكة فقال
ازار الحنيفيون بدرا بوقعة ❊ سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
اصاب رجالا من لوى وجردت ❊ حرائر يضربن الترائب حسرا
الا ويح من امسى عدو محمد ❊ لقد ذاق خزيا في الحيوة وحسرا
واصبح في هام العجاج معفرا ❊ تناوله الطير الجياع وتنقرا

فعلموا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف اخبار احاد
عمن لا يرى شخصه ولا يحج قوله فخروجه عن العادة نذير وتاثيره في النفوس
بشير وقد قبلها السامعون وقبول الاخبار يؤكد صحتها ويؤيد حجتها
فان قيل ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة جاز ان تكون دليلا
على صحة الكهانة فعنه جوابان احدهما ان دلائل النبوة غيرها وانما هي من
البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة اخبارا والثاني ان الكهانة
عن غيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغائب موهوم

الباب السابع عشر فيما احدث في النفوس من الهام العقول بنبوته عليه السلام

العقل الهي ركبه الله تعالى في النفوس الناطقة فهو ينذر بالحوادث الكائنة
حدسا ويعلم بعد الوجود حسا فقل حادث الا تقدم نذيره وبحسب خاطره
يكون تاثيره ولا حادث اعظم مما جدده الله تعالى بنبوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فاقتضى ان يكون بشائر نبوته اشهر وشواهد اياته اظهر فمن
الهواجس بنبوته ان كعب بن لوي بن غالب كان يجتمع اليه الناس في كل
جمعة وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة
وكان يخطب فيه الناس ويقول بعد خطبة حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتي
له نبأ عظيم وسيخرج به نبي كريم والله لو كنت فيه ذا سمع وبصر ويد ورجل
لتنصبت تنصب الخيل ولارقلت ارقال الفحل ثم يقول

ياليتني شاهد فحوآء دعوته … حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن هواجس الالهام ما حكاه ابن قتيبة ان اباكرب ابن اسعد الحميري آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال

شهدت على احمد انه … رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري الى عمره … لكنت وزيرا له وابن عم

ومن هواجس الالهام ما حكاه عبيد الجرهمي وكان كبير السن عالما باخبار الامم ان تبع الاصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سار الى يثرب فنزل في سفح احد وذهب الى اليهود فقتل منهم ثلثمائة وخمسين رجلا صبرا واراد خرابها فقام اليه رجل من اليهود كبير السن فقال ايها الملك مثلك لا يقبل على الغضب ولا يقبل قول الزور امرك اعظم من ان يطير بك رق او يقرع بك لجاج فانك لا تستطيع ان تخرب هذه القرية قال ولم قال لانها مهاجر نبي من ولد اسمعيل يخرج من هذه البنية يعني البيت الحرام فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة آلاف جزور واطعم الناس وقال

قد كسونا البيت الذي حرم الله … ملأ معضدا وبرودا

وقيل انه ملك ثلثمائة وعشرين سنة ومن هواجس الالهام ما روي هشام

بن

بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر مجلس قريش فقال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطاكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانها عرف فرس فتصايح القوم عن مجلسهم وهم يتعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم اهله فقالوا ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودي فاخبروه فقال اذهبوا بي حتى انظر اليه فادخلوه على امه وقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى اليهودي تلك الشامة فوقع مغشيا عليه فلما افاق قالوا له ما لك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وكان في القوم الذين اخبرهم اليهودي بذلك هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعبيدة بن الحرث ابن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة نفعهم الله تعالى منهم ومثله اذ كان لقريش في الجاهلية عيد يجتمع فيه النسآء دون الرجال فاجتمعوا فيه فوقف عليهن يهودي وفيهن خديجة فقال لهن يا معشر نسآء قريش يوشك ان يبعث فيكن نبي فايكن استطاعت ان تكون له ارضا فلتفعل فحصبنه وقرنك

في نفس خديجة حتى حققه الله لها فكانت اول من آمن به ومنها ان جماعة من
النصارى قدموا من الشام تجارا الى مكة فنزلوا بين الصفا والمروة فرأوه
وهو ابن سبع سنين فعرفه بعضهم بصفته في كتبهم وسمته في فراستهم فقال
له من انت وابن من انت فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له من
رب هذه واشار الى الجبال فقال الله ربها لا شريك له فقال له من رب هذه
واشار الى السماء فقال الله ربها لا شريك له فقال له النصراني فهل لها رب
غيره فقال لا تشككني في الله ما له شريك ولا ضد فقام بالتوحيد في صغره
وفضح النصراني بخبره وانذر بنبوته ومنها انه كان في كفالة جده عبد المطلب
وكان احب اليه من جميع اولاده فلما حضرته الوفاة وصى به الى عمه ابا طالب
لانه كان اخا عبد الله لابيه وامه وانشا يقول

وصيت من كنيته بطالب ∴ عبد مناف وهو ذو تجارب
يا ابن الحبيب اكرم الاقارب ∴ يا ابن الذي قد غاب غير آيب

فقبل ابو طالب الوصية وكان قد سمع من راهب انذارا فانشا يقول

لا توصيني بلازم وواجب ∴ فلست بالآيس غير الراغب
بان احمد الله قول الراهب ∴ اني سمعت اعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب

ومات عبد المطلب بعد ثمان سنين من مولده فتكفله عمه ابو طالب وخرج

به الى الشام في تجارة له وهو ابن تسع سنين فنزل تحت صومعة بالشام
عند بصرى وكان في الصومعة راهب يقال له بحيرا قرأ الكتب اهل الكتاب
وعرف ما فيها من الانباء والامارات فرأى بحيرا من صومعته غمامة قد اظلت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشمس فنزل اليه وجعل يتفقد
جسده حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه وسأله عن حاله في منامه ويقظته
فاخبره بها فوافقت ما عنده في الكتب وسأل ابا طالب عنه فقال ابني
فقال كلا فقال ابن اخي مات ابوه وهو حمل قال صدقت وعمل لهم ولمن
معهم طعاما لم يكن يعمله لهم من قبل وقال احفظوا هذا من اليهود والنصارى
فانه سيد العالمين وسيبعث نبيا اليهم اجمعين وان عرفوه بعكم قتلوه فقالوا
كيف عرفت هذا قال السحابة التي اظلته ورأيت خاتم النبوة اسفل
من غضروف كتفه مثل التفاحة على النعت المذكور ورأيت المدر والشجر
يسجدان له ولا يسجدان الا لنبي وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكان في رعية الابل قد سبقه القوم الى ظل شجرة فلما جلس مال ظل الشجرة
عليه فقال لهم هذا من آيات نبوته وان الروم ان رأوه عرفوه بصفته فقتلوه
ثم التفت فاذا هو بسبعة نفر قد اقبلوا من الروم فاستقبلهم وقال ما جاء
بكم قالوا جئنا لان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث
فيه ناس ونحن آخر من بعث الى طريقك هذا فقال لهم هل خلفتم خلفكم

احد هو خير منكم قالوا لا قال افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع
احد من الناس رده قالوا لا قال فارجعوا فتابعوه على الرجوع وزودهم
الراهب حتى اسرع به ابو طالب فكانت هذه البشارة من رهبان النصارى
وما تقدم من اخبار اليهود وقد تواردوا عليها جميعهم مع اختلاف معتقدهم
وتغاير كتبهم من اوايل الشهود على تعيين النبوة فيه اما عن كتب نعت فيها
ما صاروا على النعت فكان انذارا الهيا تواردت عليه الخواطر لان ما يحدث
به النفوس من امر كان وما تخيلته العقول ظهر وبان لان القلوب طلايع
الاقدار والعقول مرايا الاسرار ومن هواجس الالهام حدثنا ابو الحسن
محمد بن علي بن يحيى رحمه الله قال حدثنا عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا عمر بن
بحير السمرقندي قال حدثنا احمد بن عبد ربه الضبي قال اخبرنا عبد الرحمن
ابن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال حدثني احمد بن القاسم عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس رحمه الله عليه قال لما ظفر سيف بن ذي يزن
بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنين اتى وفود
واشرافها وشعرآئها لتهنيته ومدحه وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه
فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وامية بن عبد شمس وعبد الله
بن جدعان واسد بن خويلد بن عبد العزى في ناس من اشراف قريش فلما
قدموا عليه اذا هو في راس قصر يقال له غمدان وهو الذي يقول فيه امية

ابن

ابن ابي الصلت

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا   في راس غمدان دارا منك محلالا

قال فاستاذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا عليه فاذا الملك متضمخ بالعنبر
يرى وبيص الطيب من مفرقه عليه بردان متزر باحدهما مرتد بالآخر سيفه
بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وابناء الملوك والمقاول
قال فدنا عبد المطلب واستاذن في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم
بين يدي الملوك فتكلم فقد اذنا لك فقال عبد المطلب ان الله احلك
ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت
ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اكرم موطن
واطيب معدن وانت ابيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي يخصب
به وانت ايها الملك راس العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي
عليه العماد ومعقلها الذي تلجا اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا
منهم خير خلف فلن يخمل ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت خلفه
ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا
لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية فقال ابن ذي
يزن فايهم انت ايها المتكلم فقال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا
قال نعم ابن اختكم قال ادن فادناه على القوم وعليه فقال مرحبا واهلا

وناقة ورحلا، وبساطا ومنزلا، وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا، قد سمع الملك
مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فانتم اهل الليل واهل النهار، لكم الكرامة
ما اقمتم، والحباء اذا ظعنتم، قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود
فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا ياذن لهم بالانصراف، قال ثم انتبه انتباهة
فارسل الى عبد المطلب فادناه وادنى مجلسه، وقال يا عبد المطلب انى مفوض
اليك من سر علمي ما لو كان غيرك لم ابح له ولكن رايتك معدنه فاطلعتك
عليه فليكن عندك مطويا حتى ياذن الله فيه فان الله بالغ فيه امره، انى اجد
في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لانفسنا، واحتجبناه دونا
غيره خبرا عظيما، وخطرا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس
عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة، قال عبد المطلب ايها الملك فمثلك
من سر وبر، فما هو فداك اهل الوبر، زمرا بعد زمر، قال اذا ولد بتهامة،
غلام بين كتفيه شامة، كانت له الامامة، ولكم به الزعامة، الى يوم القيامة،
فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لقد ابت بخبر ما آب بمثله وافد، فلولا هيبة
الملك واجلاله واعظامه، لسالته من بشارته اياي ما ازداد به سرورا،
قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد، اسمه احمد يموت ابوه
وامه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا، وجاعل له
انصارا، يعز بهم اولياءه، ويذل بهم اعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض،

ويستبيح

ويستفتح بهم كرائم الارض، ليكسر الاوثان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر
الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يامر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر
ويبطله، قال عبد المطلب ايها الملك عز جدك، وعلا عقبك، وطاب ملكك،
وطال عمرك، فهل الملك سارّي بافصاح، فقد اوضح بعد الايضاح فقال
ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، انك يا عبد المطلب
لجده غير الكذب، قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال ابن ذي يزن ارفع
راسك ثلج صدرك، وعلا امرك، فهل احسست شيئا مما ذكرت لك فقال
نعم ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا رفيقا او رفيقا فزوجته كريمة
من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فاتت بغلام سميته محمدا مات
ابوه وامه، وكفلته انا وعمه، بين كتفيه شامة، وفيه كلما ذكرت من علامة،
قال ابن ذي يزن ان الذي قلت لك لكما قلت لك فاحفظ بابنك واحذر
عليه من اليهود فانهم له اعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، فاطو ما ذكرته دون
هولاء الرهط الذين معك، فاني لست آمن ان يدخلهم النفاسة من ان
تكون لك الرياسة فيبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون
وابناؤهم ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه، لسرت بخيلي ورجلي
حتى اصير بيثرب دار ملكه فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان
يثرب استحكام امره، واهل نصرته، وموضع قبره، ولولا اني اقيه الآفات،

واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه ذكره واوطئت اسنان العرب
عقبه ولكني صارف ذلك اليك بغير تقصير من معك ثم امر لكل رجل من
القوم بعشرة اعبد وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وخمسة
ارطال ذهب وعشرة ارطال فضة وكرشا مملوءة عنبرا ولعبد المطلب
بعشرة اضعاف ذلك وقال له اذا حال الحول فائتني بامره وما يكون
من خبره قال فمات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول قال فكان عبد المطلب
كثيرا يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان
كان كثيرا فانه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره وشرفه
فاذا قيل له وما ذاك قال ستعلمون ما اقول لكم ولو بعد حين ومن مواهب
الالهام انه نشأ في قريش على احسن هدى وطريقة واشرف خلق وطبيعة
واصدق لسان ولهجة حتى سمته قريش في حداثته الامين تأسيسا لما
سيكون وكانت خديجة بنت خويلد ذات شرف ويسار وكان لها متاجر
ومضاربات فلما عرفت امانة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق
لهجته اعطته مالا يتجر به الى الشام مضاربا وانفذت معه مولاها ميسرة
ليخدمه في طريقه فنزل ذات يوم تحت صومعة راهب فرأى الراهب من ظهور
كرامة الله تعالى له ما علم انه لا يكون الا النبي فقال لميسرة من هذا فقال
رجل من قريش من اهل الحرم فقال انه نبي فكان ميسرة يراه اذا ركب تظلله

غمامة

غمامة تقيه حر الشمس فلما قدم على خديجة قص ميسرة عليها حديث الراهب
وما شاهده من ظل الغمامة وما تضاعف من ربح التجارة فتنبهت به على
عظم شأنه وشواهد برهانه فرغبت خديجة في نكاحه وكان قد خطبها اشراف
قريش فامتنعت وسفر بينهما في النكاح ميسرة وقيل مولاة مولده وخافت
امتناع ابيها عليه فعقرت له ذبيحة والبسته حبرة وعلقته بطيب وعبير
وسقته خمرا حتى سكر وحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه
عمه حمزة ابن عبد المطلب واختلف في حضور عمه ابي طالب فقال الاكثرون
حضر مع حمزة وخطبها من ابيها فاجابه وزوجه وهو ابن خمسة وعشرين
سنة وخديجة ابنة اربعين سنة ودخل بها من ليلته فلما اصبح خويلد
وصحا رأى آثار ما عليه فقال ما هذا العقير والعبير والحبر فقيل زوجت
خديجة بمحمد قال ما فعلت فقيل له قبيح بك هذا وقد دخل بها فرضي ولاجل
ذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع الى نكاح نشوان الا
اجزته وقامت خديجة رضي الله تعالى عنها بامره حتى كفته امور دنياه فكان
ذلك عونا من الله تعالى ولطفا تفضل به عليه تثبيتا واسعافا ومن مواهب
الالهام ما حكاه عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول
انا انتظر نبيا من ولد اسمعيل من بني عبد المطلب ولا اراني ادركه وانا اؤمن
به واصدقه واشهد انه نبي فان طالت بك مدة فرأيته فاقرأه مني السلام

وساخبرك بانعته حتى لا يخفى عليك. قلت نعم قال هو رجل ليس بالقصير ولا
بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس يفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة
بين كتفيه واسمه احمد. وهذا البلد مولده ثم يخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به
حتى يهاجر الى يثرب فيظهر امره فاياك ان تخدع عنه فانى طفت البلاد كلها اطلب
دين ابراهيم فكل من اسأل عنه من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين
وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون لم يبق نبي غيره. قال عامر
فلما اسلمت اخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول زيد واقرأته منه
السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته في الجنة يسحب الذيول.
ومن هواجس الالهام ما رواه الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف
قال بعث الله تعالى الى كسرى ملكا وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه
فلم يرعه الا به قائما على رأسه في يده عصا بالهاجرة من ساعته التي كان يقيل
فيها فقال كسرى اسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل فانصرف عنه فدعا
حراسه وحجابه فتغيظ عليهم فقال من ادخل هذا الرجل فقالوا ما دخل عليك
احد ولا رأيناه حتى اذا كان العام القابل اتاه في الساعة التي اتاه
فيها فقال له كما قال ثم قال اسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل ثلاثا
فخرج عنه فدعا كسرى حراسه وحجابه فتغيظ وقال لهم كما قال لهم اول مرة
فقالوا ما رأينا احدا دخل عليك حتى اذا كان في العام الثالث اتاه في الساعة

الى

التي اتاه فيها فقال له كما قال ثم قال اسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل
فكسرها ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس على قتله حتى
قتلوه. ومن هواجس المنام ما حكاه ابن قتيبة ان كسرى ابرويز بن هرمز
كان سائرا ذات يوم فهوم على مركبه وطال حتى استغفل فايقظه بعض
قواده فانتبه مذعورا لرؤيا رآها فقطعها عليه الموقظ له فقال رأيت قائلا له
الحكم غيرتم فعبرتاكم ونقل الملك الى احمد وقيل له سلم ما بيدك الى صاحب
الهراوة الى ان ورد عليه كتاب النعمان بن المنذر يخبر فيه ان خارجا خرج بتهامة
يخبر انه رسول الله اله السماء والارض الى اهل الارض كافة فارتاع لذلك
واكبره وعلم انه الذي رآه في منامه وكان يتوقعه. ومن هواجس المنام ما رواه
عروة ابن مضرس عن مخرمة بن نوفل عن امه رقيقة بنت ابي صيفي بن هاشم
قال تتابعت على قريش سنون امحلت الضرع وارقت العظم فبينا انا نائمة
اللهم او مهومة اذا هاتف يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش ان هذا
النبي المبعوث فيكم قد اظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب
الا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما ابيض بضا اوطف الاهداب سهل
الخدين اشم العرنين له فخر يكظم عليه وسنة يهدى اليها فليخلص هو وولده و
ليهبط اليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم
ليستلموا الركن ثم ليرتقوا ابا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم

ففعلتم ما شئتم فاستيقظت علم الله تعالى مذعورة قد اقشعر جلدي ووله عقلي
واقتصصت رؤياي في الحرمة والحرم ما بقي بها ابطحي الا قال هذا شيبة الحمد
يعنون عبد المطلب فتتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل
فسنوا ومسوا واستلموا ثم ارتقوا ابا قبيس وطفقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم
مهله حتى استووا بذروة الجبل فقام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم غلام حين ايفع او كرب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة انت
معلم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهذه عبادك واماؤك بعذرات حرمك
يشكون اليك سنتهم اذهب الخف والظلف اللهم فامطر علينا غيثا مغدقا
مربعا فوالكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بمائها والبط الوادي بثجيجه فسمعت
شيخان قريش وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب بن امية وهشام بن المغيرة
يقولون لعبد المطلب هنيئا لك ابا البطحاء اي عاش بك اهل البطحاء وفي
ذلك يقول رقيقة

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا ... لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جوني له سبل ... سحا فعاشت به الانعام والشجر
مبارك الامر يستسقى الغمام به ... ما في الانام له عدل ولا خطر

ومن هواجس الانذار والالهام والمنام ما رواه ابو ايوب يعلى بن عمران
البجلي عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن ابيه واتت له مائة وخمسون سنة قال لما

كانت

كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتجس
ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل
ذلك بالف عام وغارت بحيرة ساوة فافزع ذلك كسرى فلبس تاجه وقعد
على سريره وجمع وزراءه ومرازبته واخبرهم برؤياه فقال الموبذان وانا اصلح
الله تعالى الملك قد رايت في هذه الليلة ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجلة وانتشرت في بلادنا فقال اي شيء هذا يا موبذان فقال حادثة تكون من
ناحية العرب فكتب الى النعمان بن المنذر ان ابعث الي برجل عالم اساله عما اريد
فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني فلما قدم عليه اخبره فقال ايها
الملك علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فاته
فاساله عما اخبرتك به ثم ائتني بجوابه فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيح
وقد اشفى على الموت فوضع على شفير قبره فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح
جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن ... يا فاصل الخطة اعيت من ومن
اتاك شيخ الحي من آل سنن ... وامه من آل ذئب بن حجن
فضفاض الرداء جم البدن ... رسول قيل العجم يسري للوسن

فرفع سطيح راسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح وافى الى سطيح وقد اوفى
على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود

النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت
في بلادها ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث من تهامة صاحب
الهراوة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس
فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات
وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح فثار عبد المسيح على راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضي الهم شمير ⁂ ولا يغرنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بني ساسان افرطهم ⁂ فان ذا الدهر اطوار دهارير
فربما اصبحوا يوما بمنزلة ⁂ تهاب صولهم الاسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته ⁂ والهرمزان وسابور وسابور
والناس اولاد علات فمن علموا ⁂ ان قد اقل فمهجور ومحقور
وهم بنو الام الا ان يروا نشبا ⁂ فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن ⁂ فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره قال كسرى الى ان يملك منا اربعة
عشر ملكا قد كانت امور فملك منهم عشرة ملوك اربع سنين وزال
ملكهم عن يزدجرد الرابع عشر بعد اثنتي عشرة سنة فان قيل فهذا قول كاهن
قد ابطلته النبوة فلم يقبل قوله في اثبات النبوة فعنه جوابان احدهما
انه تأويل رؤيا تحققت فخرج بها عن حكم الكهانة والثاني انه علمها بنقل

الجن

الجن كهتوف الجن كما قال الله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
فاذا انتشر ما اختلفت طرقه وتغاير وصفه خرج عن القلة الى التكاثر وعن
الآحاد الى التواتر فصار الظن معلوما والتوهم محتوما

الباب الثامن عشر في مبادي نسبه وطهارة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم

لما كان انبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم
من اكرم العناصر وامدهم باوكد الاواصر حفظا لنسبهم من قدح ولمنصبهم
من جرح لتكون النفوس لهم اوطأ والقلوب لهم اصغى فيكون الناس الى اجابتهم
اسرع ولاوامرهم اطوع ولما تفرع الملك عن ابراهيم واختصت النبوة بولده
انحازت الى ولد اسحق دون اسمعيل فصارت في بني اسرائيل لكثرتهم بعد القلة
وقوتهم بعد الذلة فبدأت النبوة بموسى واختتمت بعيسى ولما كثر ولد اسمعيل
وانتشروا في الارض تميز بعد الكثرة ولد قحطان عن ولد عدنان واستولت
قحطان على الملك انحازت النبوة الى ولد عدنان فاول من اسس لهم مجدا
وشيد لهم ذكرا معد بن عدنان حين اصطفاه بخت نصر وقد ملك الاقاليم
الارض وكان قد هم بقتله حين غزا بلاد العرب فانذره نبي كان في وقته بان
النبوة في ولده فاستبقاه واكرمه ومكنه واستولى على تهامة بدعاية وامر مطاع
وفيه يقول مهلهل الشاعر

غنيت دارنا تهامة بالامس ⁂ وفيها بنو معد حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار وانبسطت به اليد وتقدم عند ملوك الفرس
واجتباه كشتاسف ملك الفرس وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن
فقال الملك مالك يا نزار وتفسيره في لغتهم يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم
فسمي نزارا وفيه يقول قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

جديسا خلقناه وطسما بارضه ∴ فاكرمنا عند الفخار فخارا
فنحن بنو عدنان خلدان جدنا ∴ فسماه كشتاسف الهمام نزارا
فسمي نزارا بعد ما كان اسمه ∴ لدى العرب خلدان بنو خيارا

وكان لنزار اربعة اولاد مضر وربيعة واياد وانمار فلما حضرته الوفاة
وصاهم فقال يا بني هذه القبة الحمراء وما اشبهها لمضر وهذا الخباء
الاسود وما اشبهه لربيعة وهذه الخادمة وما اشبهها لاياد وهذه البدرة
والمجلس وما اشبهه لانمار فان اشكل عليكم واختلفتم فعليكم بالافعى الجرهمي
بنجران فاختلفوا في القسمة فتوجهوا اليه فبينما هم يسيرون اذ رأى مضر
كلأ قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا الكلأ لاعور وقال ربيعة هو
ازور وقال اياد هو ابتر وقال انمار هو شرود فلم يسيروا قليلا حتى لقيهم
رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر هو اعور قال نعم
وقال ربيعة هو ازور قال نعم وقال اياد هو ابتر قال نعم وقال انمار هو
شرود قال نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه فقالوا والله ما رأيناه

قال

قال قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه وسار معهم الى نجران حتى نزلوا
بالافعى الجرهمي فناداه صاحب البعير هؤلاء اصحاب بعيري وصفوه لي بصفته
وقالوا لم نره فقال لهم الافعى الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر
رأيته رعى جانبا فعرفت انه اعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة
الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه ازور وقال اياد رأيت بعره
مجتمعا فعرفت انه ابتر وقال انمار رأيته رعى المكان الملتف ثم يجوزه
الى غيره فعرفت انه شرود فقال الجرهمي لصاحب البعير ليسوا اصحاب بعيرك
فاطلب من غيرهم ثم سألهم من هم فاخبروه انهم بنو نزار بن معد فقال اتحتاجون
الي وانتم كما ارى فدعا لهم بطعام فاكلوا واكل وبشراب فشربوا وشرب
فقال مضر لم ار كاليوم خمرا اجود لولا انها نبتت على قبر وقال ربيعة
لم ار كاليوم لحما اطيب لولا انه ربي بلبن كلب وقال اياد لم ار كاليوم رجلا
اسرى لولا انه يدعى لغير ابيه وقال انمار لم ار كاليوم كلاما انفع في حاجتنا
وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم واتى امه فسألها فاخبرته انها كانت
تحت ملك لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من نفسها
كان نزل به فوطئها فحملت منه به وسأل القهرمان عن الخمر فقال من كرمة
غرستها على قبر ابيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة ارضعتها بلبن
كلبة لان الشاة حين ولدت ماتت ولم يكن ولد في الغنم شاة غيرها

نعيل لمضر من اين عرفت الخمر ونباتها على قبر قال لان اصابني عليها عطش
شديد. وقيل لربيعة من اين عرفت ان الشاة ارتضعت على لبن كلبة قال
لاني شممت منه رائحة الكلب. وقيل لاياد من اين عرفت ان الرجل يدعى لغير
ابيه قال لاني رأيته يتكلف ما يعمله. ثم اتاهم الجرهمي وقال صفوا لي صنفكم
فقصوا عليه ما اوصاهم به ابوهم نزار. فقضى لمضر بالقبة الحمراء والدنانير
والابل وهي حمر فسمي مضر الحمراء. وقضى لربيعة بالخباء الاسود والخيل الدهم
فسمي ربيعة الفرس. وقضى لاياد بالخادمة الشمطاء والماشية البلق.
وقضى لانمار بالارض والدراهم. وهذا الذي ظهر من اولاد نزار من قوة الذكاء
وحدة الفطنة تأسيسا لتميزهم بالفضل واختصاصهم بوفور العقل
مقدمة لما يراد بهم. ثم تفرقت القبائل منهم فاختص ولد مضر بن نزار بالحرم
فتميزوا بانسابهم. وتناصروا باسيافهم حتى استولت قريش على الحرم بعد
جرهم وخزاعة لان جرهم كانوا جبابرة فبغوا وتجبروا حتى بعث الله تعالى عليهم
الرعاف والنمل فافناهم. وافضى امرهم الى عامر بن الحارث وهم القائلون

وادٍ حرام طيره ووحشه ∴ نحن ولاته فلا نغشه

فاجتمعت خزاعة ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة على عامر بن ربيعة
وبقية جرهم فاخرجوهم من الحرم واستولت عليه خزاعة وولي البيت
عمرو بن ربيعة فقال

نحن ولينا البيت بعد جرهم ∴ لنعمره من كل باغ ملحد

ولما انحاز عامر بن الحارث مع بقية جرهم عن الحرم عند استيلاء خزاعة
عليه خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول

لاهم ان جرهما عبادك ∴ الناس طارف وهم تلادك

فلم تقبل توبته فالقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم ودفنها وخرج ببقية
جرهم وهو يقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ∴ انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ∴ صروف الليالي والدهور الغوابر

فلما رأى عامر بن الحارث الجرهمي ما صاروا اليه بعد الكثرة والقوة قال

يا ايها الناس سيروا ان قصركم ∴ ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا ∴ دهر فانتم كما كنا تكونونا
حثوا المطي وارخوا من ازمتها ∴ قبل الممات وقضوا ما تقضونا

تولت خزاعة البيت والحرم غير انه كان في مضر منه ثلاث خلال احداهن
الدفع من عرفة الى المزدلفة كان الى الغوث بن مر وهو صوفة. الثانية
الافاضة من مزدلفة الى منى للنحر كان لزيد بن عدوان وآخر من افضى اليه
ابو سيارة. والثالثة النسيء لشهور الحج كان للقلمس من بني كنانة. وآخر
من افضى اليه حتى جاء الاسلام ثمامة بن عوف. فشركت مضر خزاعة في نعام

الحج وان كانت زعامة الحرم لخزاعة وقريش في اوزاع بني كنانة من مضر
وانقضت معالم الحج من اوزاع مضر الى قريش فولاها منهم كعب بن لؤي
بن غالب وكان يجمع الناس في كل يوم جمعة ويخطب فيه على قريش فيامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويقول حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج
منه نبي كريم وهو اول من نصح بالنبوة حين شاهد آثارها وعرف اسرارها من
انقياد العرب اليهم تدينا بحرمهم واعظاما لكعبتهم وكان ذلك الهاما ألهمت
به نفسه وتخيلا صدق فيه حدسه لان لكل خطب نذيرا ولكل مستقبل بشيرا
وانتهت خزاعة في الحرم الى حليل ابن حبشية الخزاعي فكان يلي الكعبة وامر مكة
فتزوج اليه قصي بن كلاب فاشتد به قصي وكان اسمه زيد فلما هلك حليل رأى
قصي انه اولى بالولاية على الكعبة وامر مكة من خزاعة فاستولى عليها واختلف
في سبب استيلائه فقال قوم لان حليلا اوصى اليه بذلك وقال آخرون بل اشتراه
من آل حليل بزق من خمر وقال آخرون بل استنصر على خزاعة باخيه لامه رزاح
بن ربيعة القضاعي حتى اجلى خزاعة عن مكة فخلصت الرياسة لقصي فجمع
قريشا وهم في اوزاع بني كنانة فمنعت بنو كنانة منهم فحاربهم بمن اطاعه حتى
افردهم منهم وجمعهم بمكة فسمي مجمعا وفيه يقول شاعرهم

ابونا قصي كان يدعى مجمعا ❊ به جمع الله القبائل من فهر

فلما اجتمعوا انزلهم بطحاء مكة في الشعاب ورؤس الجبال وقسمها بينهم رباعا

بين

بين قومه وانزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها وكانت
اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وصارت سنة في قريش
كالدين الذي لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية وجدد بناء
الكعبة وهو اول من بناها بعد ابراهيم واسمعيل وبنى دار الندوة للتحاكم والتشاجر
والتشاور وهي اول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في جبالها ثم بنى القوم
دورهم بها فتمهدت لهم الرياسة وظهرت فيهم السياسة فصاروا بها زعماء
عبادة انذرت بطاعة آلهية ورياسة نبوة توطئة لما جدده الله تعالى منها
برسوله تاسيسا لمبادئها فقاموا بالكعبة ونزهوا الحرم وتكفلوا بالحج فصاروا
ديان العرب وولاة الحرم وقادة الحجيج فدانت لهم العرب وتقدموا فيهم
بالشرف لحلولهم في الحرم وتكفلهم بالكعبة ثم قيامهم بالحج وشاع ذلك في الامم
فحكى قوم من ديان العرب ان جماعة من ملوك الفرس زاروا الكعبة بمكة وعظموها
وحملوا اليها صنوف الثياب وانواع الطيب وزمزموا من معهم من الفرس
عند بئر زمزم فلذلك سميت زمزم واستشهد قائل هذا بقول الشاعر

زمزمت الفرس على زمزم ❊ وذاك في سالفها الاقدم

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
وقيل بل هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن نسبهم الى النضر فلانه تفرقت
قبائل بني كنانة وقيل كان يسمى قريشا ومن نسبهم الى فهر فلان فهرا في زمانه

كان رئيس الناس بمكة وقصدها حسان بن عبد كلال في حمير وقبائل اليمن
ليهدم الكعبة وينقل حجارها الى اليمن ليبني بيتا باليمن يجعل حج الناس
اليه فنزل بنخلة واغار على سرح مكة فسار اليه فهر في كنانة واحلافهم من
قبائل مضر فانهزمت حمير واسر الحارث بن فهر حسان بن عبد كلال فبقي
في يد فهر ثلاث سنين اسيرا بمكة حتى فدى نفسه وخرج فمات بين مكة و
اليمن فعظم بهذا الحارث شان فهر فانعزت اليه قريش حين حمى مكة ومنع
من هدم الكعبة وكانت من اشباه عام الفيل واختلف في تسميتهم قريشا
على اربعة اقاويل احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع ومنه قول الشاعر
اخوة قرشوا الذنوب علينا ∴ في حديث من دهرهم وقديم
والثاني لانهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والتقرش التكسب والثالث
لانهم كانوا يفتشون الحاجة عند ذي الخلة فيسدون خلته والتقرش
التفتيش ومنه قول الشاعر
ايها الشامت المقرش عنا ∴ عند عمرو فهل له ابقاء
والرابع ان قريشا اسم دابة في البحر من اقوى دوابه سميت بها قريش
لقوتها انها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى قاله ابن عباس واستشهد
بقول الشاعر
وقريش هي التي تسكن البحر ∴ بها سميت قريش قريشا

سلطت بالعلو في لجة البحر ∴ على ساكني البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا ∴ تترك يوما لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ∴ ياكلون البلاد اكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي ∴ يكثر القتل فيهم والخموشا
تملأ الارض خيله ورجاله ∴ يحشرون المطي حشرا كميشا
وهذا من هواجس النفوس المخبرة وايات العقول المنذرة فاما مكة
فلها اسمان مكة وبكة وقد جاء القرآن بهما واختلف في الاسمين هل هما
لمسمى واحدا ولمسميين على قولين احدهما انه لمسمى واحد لان العرب
تبدل الميم بالباء فيقولون ضربة لازم ولازب لقرب المخرجين والقول
الثاني وهو اشبه انهما اسمان لمسميين واختلف من قال بهذا في المسمى
منهما على قولين احدهما انه لمسمى واحد لان العرب تبدل الميم بالباء
فيقولون ضربة لازم ولازب لقرب المخرجين والقول الثاني وهو اشبه
انهما اسمان لمسميين واختلف من قال بهذا في المسمى منهما على قولين
احدهما ان مكة اسم البلد وبكة اسم البيت وهذا قول ابراهيم النخعي والقول
الثاني ان مكة الحرم كله وبكة المسجد كله وهذا قول زيد بن اسلم فاما
مكة فماخوذة من قولهم تمككت المخ اذا استخرجته لانها تمك الفاجر
اي تخرجه قال الشاعر

يا بكة الفاجر مكي مكا ... ولا تمكي مذحجا وعكا

وانما بكة قال الاصمعي سميت بذلك لان الناس يبك بعضهم بعضا اي يدفع
وانشد قول الشاعر

اذا الشريب اخذته بكه ... فخله حتى يبك بكه

ثم افضت رياسة قريش بعد قصي الى ابنه عبد مناف بن قصي فجاد وزاد
وساد حتى قال فيه الشاعر

كانت قريش بيضة فتفقأت ... فالمح خالصه لعبد مناف

وكان اسمه المغيرة فدفعته امه الى مناف وكان اعظم اصنام مكة تعظيما
له فغلب عليه عبد مناف وكان يسمى القمر لجماله فاستحكمت رياسته بعد
ابيه لجوده وسياسته ثم مات فولد له هاشم وعبد شمس توأمان في بطن فقيل
انه ابتدأ خروج احدهما واصبعه ملتصقة بجبهة الآخر فلما ازيلت دمي موضعها
فقيل يكون بينهما دم ثم ولد بعدهما نوفل ثم المطلب وكان اصغرهم فسادوا
وتقدمهم هاشم سخاء وسوددا وكان اسمه عمرا فسمي هاشما لانه اول من هشم
الثريد لقومه بمكة في سنة ازمة قحطة رحل فيها الى فلسطين فاشترى منها
الدقيق وقدم به الى مكة ونحر الجزر وجعلها ثريدا عم به اهل مكة حتى استقلوا
فقال فيه الشاعر

يا ايها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون

كذا في الأصل

كذا في الأصل

الآخذون العهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الايلاف
والرائشون وليس يوجد رائش ... والقائلون هلم للاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وهاشم اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف
واراد امية بن عبد شمس ان يتشبه بهاشم في صنيعه فعجز عنه فشمت به
ناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصي

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... واعيا ان يقوم به ربيض
اتاهم بالغرائر متقلات ... من ارض الشام بالبر البغيض
فاوسع اهل مكة من هشيم ... وشاب الخبز باللحم الغريض

ونشبت العداوة بين امية وهاشم واراد منافرته فكره هاشم ذلك لسنه
وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود
الحدق ينحرها ببطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فنفر الخزاعي هاشما
وقال لامية تنافر رجلا هو اطول منك قامة واعظم منك هامة واحسن
منك وسامة واقل منك ملامة واكثر منك ولدا واجزل منك صفدا
فقال امية من انكاث الزمان ان جعلناك حكما فاخذ هاشم الابل فنحرها
واطعمها من حضره وخرج امية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت

هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية وملك هاشم الرفادة والسقاية
واستقرت له الرياسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لامره وتعمل برأيه
وتنافرت قريش وخزاعة اليه فخطبهم بما اذعن له الفريقان بالطاعة فقال
في خطبته ايها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسمعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي
بن كلاب وارباب مكة وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ولكل في
كل حلف يجب عليه نصرته واجابة دعوته الا ما دعا الى عقوق عشيرة وقطع رحم
يا بني قصي انتم كغصني شجرة ايهما كسر اوحش صاحبه والسيف لا يصان الا
بغمده ورامي العشيرة يصيبه سهمه ومن امحكه اللجاج اخرجه الى البغي ايها
الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود سودد والجهل سفه
والايام دول والدهر غير والمرء منسوب الى فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا
المعروف تكسبوا الحمد ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء واكرموا الجليس يعمر ناديكم
وحاموا الخليط يرغب في جواركم وانصفوا من انفسكم يوثق بكم وعليكم بمكارم
الاخلاق فانها رفعة واياكم والاخلاق الدنية فانها تضع الشرف وتهدم المجد
الا وان نهنهة الجاهل اهون من جريرته ورأس العشيرة يحمل اثقالها ومقام الحليم
عظة لمن انتفع به فقالت قريش رضينا بك ابا نضلة وهي كنيته فانظروا
الى ما امر به من تشريف الاخلاق ونهى عنه من مساوي الافعال هل صدر الا
عن غزارة فضل وجلالة قدر وعلو همة وما ذاك الا لاصطفاء يراد وذر

بث

بث وكان توالي ذلك في الآباء يوجب تناهيه في الابناء ومات هاشم بغزة
من ارض الشام وهو اول من مات من ولد عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة
فقبر باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ومات المطلب بردمان
من ارض اليمن وكان هاشم قد تزوج بيثرب من الخزرج بسلمى بنت عمرو النجارية
فولدت له بيثرب عبد المطلب وكان اسمه شيبة الحمد ونشأ فيهم حتى مات
ابوه هاشم وانتقلت عنه الرياسة والرفادة والسقاية الى اخيه المطلب
ووصف له شيبة بيثرب فخرج فاستنزل امه عنه حتى اخذه منها ودخل به
مكة مردفا له فقالت قريش من هذا فقال عبدي فسمي عبد المطلب الى ان مات
فوثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف في ركح كان له فاغتصبه اياه والركح الساحة
فسأل عبد المطلب رجالات قومه النصرة على عمه فقالوا لسنا داخلين
بينك وبين عمك فلما رأى عبد المطلب ذلك كتب الى اخواله من بني النجار يقول

يا طول ليلي لاشجاني واشغالي ... هل من رسول الى النجار اخوالي
ينبي عديا ودينارا ومازنها ... ومالكا عصمة الجيران عن حالي
وكنت ما كنت حيا ناعما جذلا ... امشي العرضنة سحبا لاذيالي
حتى ارتحلت الى قومي وازعجني ... عن ذاك مطلب عمي بترحالي
فغاب مطلب في قعر مظلمة ... وقام نوفل كي يعدو على مالي
أان رأى رجلا غابت عمومته ... وغاب اخواله عنه بلا والي

احمى عليه ولم يحفظ له رحما ❁ ما امنع المرء بين العم والخال
فاستغفروا واسعوا ضيم ابن اختكم ❁ لا تخذلوه وما انتم بخذال
ما مثلكم في بني قحطان قاطبة ❁ حي لجار وانعام وافضال
انتم ليان لمن كانت عريكته ❁ سلما لكم وسمام الابلج العالي

فقدم عليه ثمانون ركبا من بني النجار ونصروه على عمه نوفل وارتجعوا منه
الركح وعادوا وقد اشتد بهم عبد المطلب فدعا ذلك نوفلا ان حالف بني
عبد شمس على عبد المطلب وبني هاشم ودعا ذلك عبد المطلب على ان حالف
بني هاشم على نوفل وبني عبد شمس فقوي عبد المطلب وضعف نوفل وانتقلت
السقاية والوفادة والرياسة الى عبد المطلب واخذ نوفل عهدا من كاسرة
العراق وصارت رحلة اليها واخذ عبد المطلب عهدا من ملوك الشام
واقيال حمير باليمن وصارت رحلة اليها ❁ وحفر عبد المطلب حين قوي واشتد
بئر زمزم واخرج منها ما كان القاه فيها عامر بن الحارث الجرهمي من غزالي
الكعبة وحجر الركن فضرب الغزالين صفائح ذهب على باب الكعبة ووضع
الحجر في الركن وصار عبد المطلب سيدا عظيم القدر مطاع الامر نجيب النسل
حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالاسد فقال اذا احب
الله انشاء دولة خلق لها امثال هولاء فانشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد
بها ذكرهم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الانام وصاروا الاعلام وصار

كل من قرب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آبائه اعظم رياسة و
تنوها واكثر فضلا وتاليها فحكى الزهري ويزيد بن رومان وصالح بن كيسان
ان عبد المطلب بن هاشم نذر انه متى رزق عشرة اولاد ذكورا ورآهم بين
يديه رجالا ان ينحر احدهم للكعبة شكرا لربه حين علم ان ابراهيم امر بذبح ولده
تصورا انه من فضل قربه فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من اظهر العدد
قال لهم يا بني كنت نذرت نذرا علمتموه قبل اليوم فما تقولون قالوا الامر
لك والينا ونحن بين يديك فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه و
ليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم اتوه بالقداح فاخذها وجعل يرتجز ويقول

عاهدته وانا موف عهده ❁ والله لا يحمد شيء حمده
اذ كان مولاي وكنت عبده ❁ نذرت نذرا لا احب رده
ولا احب ان اعيش بعده

ثم دعا بالامين الذي يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرك
ولا تعجل وكان احب ولد عبد المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب القداح
السهم على عبد الله فاخذ عبد المطلب الشفرة واتى بعبد الله واضجعه بين
اساف ونائلة وانشأ مرتجزا يقول

عاهدته وانا موف نذره ❁ والله لا يقدر شيء قدره
هذا بني قد اريد نحره ❁ وان يؤخره يقبل عذره

وهم بذبحه فوثب اليه ابنه ابو طالب وكان اخا عبد الله لابيه وامه وامسك
يد عبد المطلب عن اخيه وانشأ مرتجزا يقول

كلا ورب البيت ذي الانصاب ∴ ما ذبح عبد الله بالتلعاب
يا شيب ان الريح ذو عقاب ∴ ان لنا جرة في الخطاب
اخوال صدق كاسود الغاب

فلما سمع بنو مخزوم هذا من ابي طالب وكانوا اخواله قالوا صدق ابن اختنا
ووثبوا الى عبد المطلب فقالوا يا ابا الحارث انا لا نسلم ابن اختنا للذبح
فاذبح من شئت من ولدك غيره فقال اني نذرت نذرا وقد خرج القدح
ولابد من ذبحه قالوا كلا لا يكون ذلك ابدا وفينا ذو روح وانا لنفديه
بجميع اموالنا من طارف وتالد وانشأ المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم
مرتجزا يقول

يا عجبا من فعل عبد المطلب ∴ وذبحه ابنا كتمثال الذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب ∴ ما ذبح عبد الله فينا باللعب
بدون ما يبغي خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطلب فقالوا يا ابا الحارث
ان هذا الذي عزمت عليه عظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تتهن بالعيش
من بعده ولكن لا عليك انت على راس امرك تثبت حتى تسير معك

الى كاهنة بني سعد فما امرتك من شيء فانت له فقال عبد المطلب لكم ذلك
وكانوا يرون الكهانة حقا ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام الى الكاهنة
فلما دخلوا عليها اخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وارتجز يقول

يا رب اني فاعل لما ترد ∴ ان شئت الهمت الصواب والرشد
يا سائق الخير الى كل بلد ∴ قد زدت في المال واكثرت العدد

فقالت الكاهنة انصرفوا عني اليوم فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت
كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلدكم وقدموا
هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه
وعلى الابل القداح فان خرج القدح على الابل فانحروها وان خرج على صاحبكم
فزيدوا في الابل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة واقبلوا
عليه يقولون يا ابا الحارث ان لك في ابراهيم اسوة فقد علمت ما كان
من عزمه في ذبح ابنه اسمعيل وانت سيد ولد اسمعيل فقدم مالك دون
ولدك فلما اصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة
من الابل ثم دعا بامين القداح وجعل لابنه قدحا وقال اضرب ولا تعجل
فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله
فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها اربعين فضرب
فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على عبد الله

فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج القدح
على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها تسعين فضرب
فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الابل فكبر عبد الله
وكبرت قريش وقالت يا ابا الحارث انه قد انتهى رضاء ربك وقد نجا ابنك
من الذبح فقال لا والله حتى اضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية فخرج على الابل فضرب
الثالثة فخرج على الابل فعلم عبد المطلب انه قد انتهى رضاء ربه في فداء ابنه فارتجز
يقول

دعوت ربي مخلصا وجهرا ∴ يا رب لا تنحر بني نحرا
وفاد بالمال تجد لي وفرا ∴ اعطيك من كل سوام عشرا
عفوا ولا تشمت عيونا حزرا ∴ بالواضح الوجه المغشى بدرا
فالحمد لله الاجل شكرا ∴ فلست والبيت المغطى سترا
مبدلا نعمة ربي كفرا ∴ ما دمت حيا او ازور القبرا

ثم قربت الابل وهي مائة من جلة ابل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله
وتركت في مواضعها لا يصد عنها احد يبتغي بها من رب ودرج فجرت السنة
في الدية بمائة من الابل الى يومنا هذا وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحا
فكان عبد الله يعرف بالذبيح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا
ابن الذبيحين يعني اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام واباه عبد الله بن عبد المطلب

وهذا من صنع الله تعالى لرسوله لما قدره من رسالته وقضاه من ايات نبوته
فما يخلو نبي من بلوى منذرة ولا ملك من بلية زاجرة. هذا سليمان ابن داود
عليهما السلام وقد اعطاه الله مع النبوة ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وسال الله تعالى الحكمة فاعطاه قلبا عليما وفهما سليما حتى وضع ثلاثة الاف
مثل تهذبت بها اخلاق قومه واستقامت بها سيرة ملكه بعد ان سخرت
له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب وسخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وذكر في سيرته انه كان نزله في كل يوم
من دقيق السميذ ثلاثين كرا ومن غير السميذ كرا وارتفاعه في كل سنة ستة
وثلاثين الف الف وثلاثة وثلاثين الف الف وثلاثمائة الف مثقال
وكان له الف واربعمائة خيل متفرقة في القرى وملك اربعين سنة كابيه
داود فابتلاه الله تعالى في اثناء ملكه بعد عشرين سنة منه ما حكاه الله تعالى
في كتابه بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وفي فتنته
قولان احدهما ان سليمان سبى بنت ملك غزاه في جزيرة من جزائر البحر يقال
لها صيدون فالقيت عليه   وهي معرضة عنه تذكر اباها لا تنظر
اليه الا شزرا ولا تكلمه الا نزرا ثم انها سألته ان يصنع لها تمثالا على صورة
ابيها فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد معها جواريها وصار صنما معبودا في
داره وهو لا يعلم به حتى مضت اربعون يوما وفشا خبره في بني اسرائيل وعلم

به سليمان فكسره ثم حرقه ثم ذراه في الريح هذا قول شهر بن حوشب والثاني ان
الله تعالى قد جعل ملك سليمان في خاتمه فقال لآصف وهو شيطان اسمه
آصف الشياطين كيف تضلون الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتى
اخبرك فاعطاه خاتمه فالقاه في البحر حتى ذهب ملكه وهذا قول مجاهد وفي الجسد
الذي القي على كرسيه قولان احدهما انه الشيطان الذي القى خاتم سليمان
في البحر جلس على كرسي سليمان متشبها بصورته يقضي بغير الحق ويأمر بغير الصواب
والثاني اكثر من غشي جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان فكان هو الجسد
الملقى على كرسيه وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا الى ساحل البحر يتضيف
الناس ويحمل سموك الصيادين بالاجر واذا اخبر الناس انه سليمان اكذبوه
الى ان اخذ حوتة من صياد وقيل انه استطعمها وقيل بل اخذها اجرا فلما
شق بطنها وجد خاتمه في جوفها وذلك بعد اربعين يوما من زوال ملكه عنه وهي
عدة الايام التي عبد فيها الصنم في داره فسجد الناس له حين عاد الخاتم اليه
وقال يحيى ابن ابي عمرو وجد خاتمه بعسقلان فمشى فيها الى بيت المقدس تواضعا
لله وفي قوله ثم اناب تأويلان احدهما ثم رجع الى ملكه قاله الضحاك والثاني
ثم اناب من ذنبه قاله قتادة وبقي في ملكه بعد فتنته عشرين سنة استكمل
بها الاربعين وهي مدة الايام الاربعين الذي زال ملكه فيها ومن بلوى الملوك
فان بختنصر كان ملكه طبق عمارة الارض حتى ملك الاقاليم السبعة ودانت له

ملوك الامم وادوا اليه خراج بلادهم فطغى قلبه وشمخ انفه فداخلته العزة
واعتقد ان امر الخلق قد صار له عبيدا وخولا وان ملوك الارض دانت بطاعته
خوفا ورهبا فغضب الله تعالى عليه وسلبه عزة سلطانه وسطوته وزال
عنه هيبته وقدرته وجعل قلبه مثل قلوب الحيوان فانحط عن سرير ملكه ونفاه
اعوانه عنهم فسكن الفلوات يأكل حشيشها وابتل جسمه من قطر السماء حتى طال
شعره وصارت اظفاره كمخاليب الطير حتى حال سبعة احوال وهو في سكرة
لا يدري الناس الا انه كنوع من الحيوان الذي في صورة البشر الى ان استنقذه
الله تعالى من كربه فثاب اليه عقله وراجعه تمييزه فرجع بصره الى السماء معظما
الله تعالى ومستجيرا به ومعترفا ان لا سلطان الا له يؤتيه من يشاء وينزعه
ممن يشاء فطلبه قواده ليردوه الى سلطانه حتى وجدوه فاعادوه الى دار
عزه واجلسوه على سرير ملكه فعاد الى خوف الله تعالى ومراقبته والى ما كان
عليه من جميل سيرته واستناب دانيال النبي في خلافته وتدبير ملكه الى ان مضى
لسبيله بعد احدى وخمسين سنة من ملكه ودانيال على خلافته ومنهم من ملوك
الفرس كسرى ابرويز وبلغ في الملك مبلغا عظيما وكان في قصره اثنا عشر
الف جارية منهن للاستمتاع ثلاثة آلاف جارية وباقيهن للغناء والخدمة
وكان في داره ثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته وكان له الف فيل الا فيل
ومن الخيل والبغال خمسون الف رأس منها لمركبه ثمانية آلاف وخمسمائة

وامر ان يحصى ما اجتبي من خراج بلاده سنة ثمان عشرة من ملكه فكان ستمائة الف الف درهم وعدد على ابنه شيرويه بعد قبضه عليه انه قال امرنا في سنة ثمانين من ملكنا باحصاء ما في بيوت اموالنا سوى ما امرنا بعزله لارزاق الجند وكان من الورق اربعمائة الف بدرة يكون فيها الف الف الف مثقال وستمائة الف الف مثقال سوى ما افاء الله تعالى علينا وزادنا من اموال ملوك الروم في سفن اقبلت بها الريح الينا فسماه في الرياح ولم تزل تزداد اموالنا الى سنتنا هذه وهي سنة ثمان وثمانين من ملكنا وفيها قبض عليه ابنه حتى قتله وقد ذكرنا ما جمع لانه استطال واحتقر الناس فانظر ايها المعتبر بعقله في صنع الله تعالى وقدرته فيمن يبتليه احيانا او يبلوه ازدجارا هل لما قضاه من دافع وفيما ابتلاه من مانع الا بلطف منه يؤتيه من يشاء وهو القوي العزيز

فصل

واما طهارة مولده فان الله تعالى استخص رسوله من اطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام طاهرة وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تاويل قول الله تعالى وتقلبك في الساجدين اي تقلبك من اصلاب طاهرة من اب بعد اب الى ان جعلتك نبيا وقد كان نور النبوة في آبائه ظاهرا فحكي ان كاهنة بمكة يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية قرات الكتب فمر بها عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد ان يزوجه آمنة بنت وهب

فرأت

فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت هل لك ان تغشاني وتاخذ مائة من الابل فعصمه الله تعالى من اجابتها وقال لها

اما الحرام فالممات دونه ∴ والحل لا حل فاستبينه

فكيف بالامر الذي تبغينه

فلما تزوجت به آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها هل لك فيما قلت فلم تر ذلك النور في وجهه فقالت له قد كان ذلك مرة فاليوم لا ماذا صنعت فقال زوجني ابي آمنة بنت وهب الزهرية فقالت قد اخذت النور الذي كان في وجهك وانشأت تقول

الآن قد ضيعت ما كان ظاهرا ∴ عليك وفارقت الضياء المباركا

غدوت علي حافلا قد بذلته ∴ لغيري هنيئا فالحقن بنسائكا

ولا تحسبن اليوم امس وليتني ∴ رزقت غلاما منك في مثل حالكا

وداخلها الاسف على ما فاتها والحسرة على ما تولى عنها فحدثت آمنة على ما صار لها فانشأت تقول

اني رايت مخيلة لمعت ∴ فتلألأت كتلألؤ الفجر

ولما بها نور يضيء به ∴ ما حولها كاضاءة البدر

ورأيتها شرفا ابوء بها ∴ ما كل قادح زنده يوري

لله ما زهرية سلبت ∴ ثوبيك ما استلبت وما تدري

بلغ مع الاصل

وانذرت به بني هاشم فقالت

بني هاشم قد غادرت من اخيكم ÷ امينة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده ÷ فتائل قد ميثت له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من تلاده ÷ بحزم ولا ما فاته لتوان
فاجمل اذا طالبت امرا فانه ÷ سيكفيكه جدان يعتلجان
ولما حوت منه امينة ما حوت ÷ منه فخارا ما لذلك ثان
سيكفيكه اما يد مقفعلة ÷ واما يد مبسوطة ببنان

وهذا من آيات الله تعالى في رسوله ان عصم اباه حين كان في ظهره ان يقعه من سفاح حتى وضعه من نكاح، ثم زالت العصمة بعد وضعه حتى عرض بالطلب بعد ان كان مطلوبا، ورغب فيه بعد ان كان مرغوبا، ثم لم يشركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه، وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية، ولتفرده بها آية، فيزول عنه ان يشارك فيه، ويماثل به، فلذلك مات ابواه عنه في صغره، فاما ابوه عبد الله فمات عنه بمكة وهو حمل، واما امه فماتت عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين لانها وفدت اليها لزيارة اخوالها من بني النجار فماتت بها عندهم واذا اخبرت حال نسبه، وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام سادوا وراسوا، لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

بن قصي بن كلاب ابن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ليس في آبائه خامل مسترذل، ولا مغمور مستذل، كلهم سادة قادة، وهم اخص الناس بالمناكح الطاهرة حتى تحرجوا من نكاح المحارم وان استباحه غيرهم من العرب، حتى حكي ان حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته واولدها وقد كان سماها دختنوس باسم بنت كسرى، وقال فيها حين نكحها مرتجزا،

يا ليت شعري عنك دختنوس ÷ اذا اتاها الخبر المرموس
اتسحب الذيلين ام تميس ÷ لا بل تميس انها عروس

وهذا في قريش من الفواحش وفي التوراة ان لوطا نكح بنتيه فولدتا غلامين ولهما ذرية كبيرة ولوط هو ابن اخت ابراهيم الخليل وقد تزوج ابراهيم بنت اخيه سارة بنت هاران بن تارخ فتنزهت قريش من هذه المناكح حفظا لحرمة الارحام الدانية ان تنتهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية، وتقل الغيرة، فان قيل يشارك الانبياء في شرف النسب وطهارة المولد غيرهم فلم يستحق بهما النبوة قيل هما من شروط النبوة وان استحقت بغيرهما فلم يمتنع ان يكون لهما في النبوة تاثير معتبر ووصف مختبر

الباب التاسع عشر في آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم

آيات الملك باهرة، وشواهد النبوات قاهرة، تشهد مباديها بالعواقب،

فلا يلتبس فيها كذب بصدق، ولا منتحل بمحق، ويجب قوتها وانتشار ربها،
يكون بث آثارها وانذارها، ولما دنا مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
تعاظمت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته، فكان من اعظمها شأنا، واظهرها
برهانا، واشهرها عيانا وبيانا، اصحاب الفيل انفذهم النجاشي من ارض الحبشة
في جمهور جيشه الى مكة لقتل رجالها، وسبي ذراريها وهدم الكعبة، واختلف
في سببه فذكر قوم ان ابراهيم بن الصباح استولى على اليمن معتزيا الى النجاشي
فبنى بصنعاء كنيسة للنصارى، واستعان في بنيانها بقيصر والنجاشي حتى
جاءا في تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة اليها، فانكرته العرب
ورحل الى هيكلها بعض بني كنانة من قريش فاحدث فيها فكتب الى النجاشي
يستمده بالفيل وجيش الحبشة ليغزو قريشا ويهدم الكعبة، فسار بهم واخذ
بارغال من الطائف دليلا الى مكة حتى انزله بالمغمس ومات ابو رغال بالمغمس
فدفن فيه فرجمت العرب قبره فهو القبر المرجوم بالمغمس، وقال آخرون بل سببه
ان نفرا من تجار قريش مروا ببيعة للنصارى على شاطئ البحر فنزلوا بفنائها
واوقدوا نارا لعمل طعامهم فاحترقت البيعة، فاقسم النجاشي ليسبين مكة
وليهدمن الكعبة، فانفذ جيشه والفيل مع ابراهيم بن الصباح وابن يكسوم
وحجر بن شراحيل والاسود بن مقصود، وكان النجاشي هو الملك وابرهة
صاحب جيشه على اليمن وابو يكسوم وزيره وحجر والاسود من قواده، فساروا

بالجيش

كذا في الاصل

بالجيش مع الفيل حتى نزلوا بذي المجاز وتقدمهم الاسود بن مقصود فاستاق
سرح مكة فقال فيه عبد الله بن مخزوم

لاهم اخز الاسود بن مقصود ؛ الآخذ الهجمة بعد التقليد

ويهدم البيت الحرام المعمود ؛ والمروتين والمشاعر السود

اخزهم يا رب وانت معبود

وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب وقد قلد بعضها فخرج وكان وسيما
جسيما الى ابرهة وسأله في ابله فقال له ابرهة قد كنت اعجبتني حين رأيتك
وقد زهدت الآن فيك قال ولم قال جئت لاهدم الكعبة بيتا هو دينك ودين
ابائك فلم تسألني فيه وسألتني في ابلك فقال عبد المطلب انا رب ابلي
وللبيت رب سيمنعه منك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني ورد على
عبد المطلب ابله مستهزئا ليعود فيأخذها فاحرزها عبد المطلب في جبال مكة
واتى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب ان المرء يمنع حله ؛ فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ؛ ومحالهم ابدا محالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

فلئن فعلت فانه ؛ امر يتم به فعالك

اسمع بارجس من ارا ؛ دوا العدو وانتهكوا حلالك

جرّوا جميع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حمال بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك

وتوجه الجيش الى مكة من طريق منى والفيل معهم اذا بعث على الحرم احجم واذا اعدل عنه اقدم فوقعوا بالمغمس فقال ابو الطيب ابن مسعود في ذلك وقيل بل قاله عبد المطلب

انّ آيات ربنا ساطعات ... ما يماري بهنّ الّا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... مرّ يحبو كانه معقور

وبصر اهل مكة بالطير قد اقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذه لطير غريبة بارضنا ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية وانها لاشباه اليعاسيب وكان في مناقيرها وارجلها حجارة فلما اظلت على القوم القتها عليهم حتى هلكوا فافلت من القوم ابرهة ورجع الى اليمن فمات في طريقه بعد ان كان يسقط من جسده عضو عضو حتى هلك ولما تأخر القوم عنهم واستعجم خبرهم عليهم قال عبد المطلب

يا رب لا ارجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ... امنعهم ان يخربوا قراكا

وبعث ابنه عبد الله ليأتيه بخبرهم فوجد جميعهم قد شدخهم الاحجار حتى هلكوا فعاد راكضا الى عبد المطلب واصحابه واخبره فبادر عبد المطلب

واصحابه

واصحابه واخذوا اموالهم فكانت اول اموال بني عبد المطلب فانشا مرتجزا يقول

انت منعت الجيش والافيالا ... وقد رعوا بمكة الاجبالا
وقد خشينا منهم القتالا ... وكل امر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

وآية الرسول من قصة الفيل انه كان في زمانه حملا في بطن امه بمكة لانه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت ابيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان فكانت آية في ذلك من وجهين احدهما انهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فاهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله ان يجري عليه السبي حملا ووليدا والثاني انه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به دفع اصحاب الفيل عنهم وما هم اهل الكتاب لانهم كانوا بين عابد صنم او متدين وثن او قائل بالزندقة ومانع من الرجعة ولكن لما اراده الله تعالى من ظهور الاسلام تأسيسا للنبوة وتعظيما للكعبة ان يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج فان قيل فكيف منع عن الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حتى احرقها ونصب المنجنيق عليها فقال فيها على ما حكي عنه

كيف تراه ساطعا غباره ؞ والله فيما يزعمون جاره

وقال راميها بالمنجنيق

قطارة مثل الفنيق المزبد ؞ ارمي بها اعواد كل مسجد

قيل فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه
واصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة
ومجئ الرسالة على ان الرسول قد انذر بهدمها فصار الهدم آية بعد ان كان
المنع آية فلذلك ما اختلف حكمهما في الحالين والله تعالى اعلم ولما انتشر
في العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيبوا الحرم واعظموه وزادت
حرمته في النفوس ودانت لقريش بالطاعة وقالوا اهل الله قاتل عنهم
وكفاهم كيد عدوهم فزادوهم تشريفا وتعظيما وقامت قريش لهم بالرفادة
والسدانة والسقاية والرفادة مال تخرجه قريش في كل عام من اموالهم
يصنعون به طعاما للناس ايام منى فصاروا ائمة ديانين وقادة متبوعين
وصار اصحاب الفيل مثلا في الغابرين وروى هشام بن محمد الكلبي عن ابيه
ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في الجاهلية تاجرا الى الشام
فمر بزنباع بن روح وكان عشارا فاساء اليه في اجتيازه واخذ مكسه
فقال عمر بعد انفصاله

متى الف زنباع بن روح ببلدة ؞ الى النصف منها يقرع السن بالندم

ويعلم

ويعلم انا من لوي بن غالب ؞ مطاعين في الهيجا مضاريب في البهم

فبلغ ذلك زنباعا فجهز جيشا لغزو مكة فقيل له انها حرم الله ما ارادها
احد بسوء الا هلك كاصحاب الفيل فكف زنباع فقال

تمنى اخو فهر لقاي ودونه ؞ قراطبة مثل البيوت الحواظر
فوالله لولا الله لا شيء غيره ؞ وكعبته راقت اليكم معاشري
لاقتل منكم كل كهل معمم ؞ واسبي نساء بين جمع الاباعر

فبلغ ذلك عمر رضوان الله تعالى عليه فاجابه وقال

الم تر ان الله اهلك من بغى ؞ علينا قديما في قديم المعاشر
واردى ابا يكسوم ابرهة الذي ؞ اتانا بغيرا كالفنيق المخاطر
بجمع كثير يحرج العين وسطه ؞ على رأسه تاج على رأس باكر
فما راعنا من ذلك العبد كيده ؞ وكتائبه من بين لاه وساخر
وقال سابغي البيت بهدما ولا ارى ؞ بمكة ما شئت بين تلك المشاعر
فرداه رب العرش عنا وآره ؞ ولم ينجه اعظامه بالمآثر
فاهلكه والتابعين له معا ؞ واسرى به من ناصر ومساعر
وليس لنا فاعلم وليس لبيتنا ؞ سوى الله من مولى عزيز وناصر
فذلك زنباع تمثل الذي لقوا ؞ جميعهم من دارعين وحاسر

وكان شأن الفيل ارداعا لكل باغ ودافعا لكل طاغ وقد عاصر

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا
الفيل وطير الابابيل منهم حكيم بن حزام وحاطب بن عبد العزى ونوفل
بن معاوية لان كل واحد من هولاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين
سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام

فصل

ولما حملت امنة بنت وهب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدثت
انها اتيت فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض
فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت
به انه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من ارض الشام قالت ام عثمان
بن العاص شهدت ولادة آمنة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان
ليلا فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني انظر الى النجوم تدنو واني اقول
لتقعن علي ولما وضعته تركت عليه في ليلة ولادته جفنة فانفلقت عنه فكان
من آياته ان لم تجده وارسلت الى جده عبد المطلب ان قد ولد لك غلام
فاته فانظر اليه فاتاه ونظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل
لها فيه وما امرت ان تسميه فقيل ان عبد المطلب اخذه فدخل به على
هبل في جوف الكعبة فقام عنده يدعو ويشكر بما اعطاه ثم خرج به الى امه
فدفعه اليها وقال وقد رأى سماة المجد وتوسم فيه امارات السؤدد ان

محمد

محمدا ان يموت حتى يسود العرب والعجم وانشأ يقول

الحمد لله الذي اعطاني ... هذا الغلام الطيب الاردان
اعيذه بالواحد المنان ... من كل ذي عيب وذي شنآن
حتى اراه شامخ البنيان

فصل

ولم يزل موفور البركة على كل لائذ به وكافل له فروى جهم ابن ابي الجهم عن عبد الله
ابن جعفر قال لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت حليمة بنت الحارث
بن عبد العزى تلتمس الرضعاء في سنة شهباء قالت ومعنا شارف والله ما تبض
بقطرة من لبن ومعي ابن لي منه وما نجد في ثديي ما نعلله الا انا نرجو الغيث
وكانت لنا غنم فنحن نرجوها فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض عليها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تقبله وكرهناه ليتمه فاخذ كل صواحبي
رضعاء ولم اجد غيره فاخذته واتيت به رحلي فوالله ان هو الا ان نزلت في الرحل
وامسيت فاقبل ثدياي باللبن حتى ارويته وارويت اخاه وقام ابوه الى
شارفنا تلك يلمسها بيده فاذا هي حافل فحلبها ما روانا من لبنها وروي الغلمان
فقال يا حليمة والله لقد اصبنا نسمة مباركة ثم اغتدينا راجعين الى بلادنا
فركبت اتاني وحملته معي فوالذي نفس حليمة بيده لقد طفت بالركب حتى ان
النسوة ليقلن يا حليمة امسكي عنا اهذه اتانك التي خرجت عليها فقلت نعم

فقلت والله اني لارجو ان اكون قد حملت عليها غلاما مباركا قالت فكان الله
يزيدنا به في كل يوم خيرا وان غنمنا لتعود من المرعى بطانا حفلا وتعود غنم الناس
خماصا جياعا قالت فبينا هو يلعب خلف البيوت واخوه في بهم لهم اذ اتانا
اخوه يشتد فقال ان اخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاخذاه
فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه فوجدناه قائما قد انتقع لونه فلما
رآنا اجهش الينا باكيا فالتزمته انا وابوه وقلنا له ما لك فقال جاءني
رجلان فاضجعاني فشقا بطني وصنعا بي ثم رداه كما هو قال انس بن مالك

كذا في الاصل

جاء جبريل فصرعه فشق بطنه فاستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج
منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله ثم لامه ثم اعاده مكانه
قال انس قد كنت انظر الى اثر المخيط في صدره ثم ان زوج حليمة قال لها
يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه باهله قبل ان يظهر
به ذلك فاحتملته حليمة حتى قدمت به على امه امنة فقالت امه ما اقدمك به
يا ظئر قالت قد قضيت الذي علي وتخوفت الاحداث عليه فاديته اليك كما
تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني فاخبرتها حليمة بحاله وقالت تخوفت
عليه الشيطان فقالت امه كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان له لشأنا
واني رأيت حين حملت به انه خرج مني نور اضاءت منه قصور بصرى ووقع
حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه في السماء دعيه فانطلقي

راشدة وفي هذا الخبر من آياته ما تذعن عن النفوس بصحة نبوته

فصل

وروى محمد بن اسحق قال حدثني بعض اصحابنا ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لقد رأيتني وانا غلام يفعة بمكة مع غلمان قريش ننقل حجارة
على اعناقنا وقد حملنا ازرنا فوطا على رقابنا اذ دفعني دافع ما اراه وقال
اشدد عليك ازارك فشددت ازاري وهذا من نذر الصيانة ليكون عليها
ناشئا ولها الفا

فصل

وروى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يقول ما هممت بشيء مما كان في الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما اريد فاني قلت ليلة لغلام من
قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو ابصرت الى غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
ما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت اريد ذلك حتى اذا جئت اول دار
من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ما هذا قالوا فلان بن
فلان تزوج فلانة ابنة فلان فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني فنمت
فما ايقظني الا مس الشمس قال فجئت صاحبي فقال ما فعلت فقلت
ما صنعت شيئا واخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك فقال

افعل فخرجت فسمعتها حين جئت مكة مثل ما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة
فجلست انظر فضرب الله على اذني فوالله ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
الى صاحبي فاخبرته الخبر ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته
فهذه احوال عصمته قبل الرسالة وصده عن دنس الجهالة فاقتضى ان يكون
بعد الرسالة اعظم ومن الادناس اسلم وكفى بهذه الحال ان يكون من الاصفياء
الخيرة ان اهمل ومن الاتقياء البررة ان اغفل ومن اكبر الانبياء عند الله
تعالى من ارسل مستخلص الفطرة ملى النظرة وقد ارسله الله تعالى بعد
الاستخلاص وطهره من الادناس فانتفت عنه تهم الظنون وسلم من ازدراء
العيون ليكون الناس الى اجابته اسرع والى الانقياد له اطوع

فصل

ولما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قريش على احمد هدى وصيانة
واكمل عفاف وامانة سموه الامين بعد اختباره وقدموه لفضله ووقاره
ومنها وردوا في هدم الكعبة وبنائها لقصر سمكها وكان فوق القامة وسعة
حيطانها وكان يتهافت فارادوا تجديدها وتعليتها وخافوا من الاقدام
على هدمها وكان للكعبة كنز وجدوه عند دويك مولى لبني مليح من خزاعة
واخذته قريش منه وقطعت يده واتهموا به الحارث بن عامر بن نوفل بن
عبد مناف ان يكون قد تولى اخذه واودعه عند دويك فنفروه الى كاهنة

من

من كهان العرب فسجعت عليه من كهانتها ان لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل
من حرمة الكعبة فكان يجول حول مكة حتى استوفى العشر وكان يظهر في
الكعبة حية يخاف الناس منها لا يدنو منها احد الا اخزالت وفتحت فاها
فتوقوها الى ان علت ذات يوم على جدار الكعبة فسقط طائر فاختطفها
فقالت قريش انا لنرجوا ان يكون الله قد رضي ما اردنا وكان البحر قد قذف
سفينة على ساحل جدة لرجل من تجار الروم وكان بمكة نجار من القبط
فهيأ لهم سقيف الكعبة بخشب السفينة فلما ازمعوا على هدمها قام ابو
وهب ابن عمير وكان خال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا شرف وقدر
فاخذ حجرا من الكعبة فوثب الحجر من يده حتى عاد في موضعه فقال يا معشر
قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها مهر بغي ولا
بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس وتصورت قريش ان عود الحجر من يد ابي وهب
الى موضعه ان الله تعالى قد كره هدمها فهابوه وقال الوليد ابن المغيرة انا ابدؤكم
في هدمها فاخذ المعول وقام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم
الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظر فان اصيب لم نهدم وان لم
يصب هدمناها وقد رضي ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته وعاد الى عمله وتحاصت
قريش الكعبة فكان شق البيت لبني عبد مناف وزهرة وما بين الركن
الاسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيم وقبائل انضمت اليه من قريش

وكان شق الحجر والحطيم لبني عبد الدار وبني عبد العزى وبني عدي وكان ظهر الكعبة
لبني جمح وبني سهم حتى انتهوا الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر قيل انها
كانت على قبر اسمعيل فضربوا المعول بين حجرين فلما تحرك انتقضت مكة باسرها
فكفوا وانتهوا الى اصل الاساس وجمعت كل قبيلة حجارة ما هدمت وبنوا حتى
انتهوا الى الركن الحجر فتنازعت القبائل فيمن يضع الحجر في موضعه من الركن
فاقتتلوا حتى مكثوا اربع ليال او خمس ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا فقال
ابو امية بن المغيرة وكان اسن قريش في وقته يا معشر قريش اجعلوا بينكم
فيما تختلفون فيه اول رجل يدخل من باب هذا المسجد فكان اول داخل عليهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا هذا محمد وهو الامين فقالوا قد رضينا
به لما قد استقر في نفوسهم من فضله وامانته فلما وصل اليهم اخبروه فقال
ائتوني ثوبا فاتوه بثوب فاخذ الحجر ووضعه فيه بيده وقال ليأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب وليرفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغ الحجر الى موضعه وضعه فيه
بيده فكان هذا الفعل من مستحسن افعاله وآثاره والرضا به من امارات
طاعته وكان ذلك بعد عام الفجار بخمس عشرة سنة ورسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة فكان ذلك تأسيسا
لما يريده الله تعالى به من كرامته وتوطئة لقبول ما تحمله من رسالته والله
اعلم بغيب ما استأثر من علمه

الباب

الباب العشرون في شرف اخلاقه وكمال فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم

المهيأ لاشرف الاخلاق واجمل الافعال مؤهل لاعلى المنازل وافضل الاعمال
لانها اصول تقود الى ما ناسبها ووافقها وتنفر مما باينها وخالفها ولا
منزلة في العالم اعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث
على مصالح الخلق وطاعة الخالق فكان افضل الخلق بها اخص واكملهم
بشروطها احق بها وامس ولم يكن في عصر الرسول وما دانا طرفيه من قاربه
في فضله ولا داناه في كماله خلقا وخلقا وقولا وفعلا وبذلك وصفه الله تعالى
في كتابه بقوله وانك لعلى خلق عظيم فان قيل فليست فضائله دليلا على نبوته
ولم يسمع بنبي احتج بها على امته ولا عول عليها في قبول رسالته لانه قد شارك
فيها حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز انه نبي لا بالفضل قيل الفضل
من اماراتها وان لم يكن من معجزاتها ولان تكامل الفضل معوز فصار كالمعجز
ولان من كمال الفضل اجتناب الكذب وليس من كذب في ادعاء النبوة
بكامل الفضل فصار كمال الفضل موجبا للصدق والصدق موجبا لقبول
القول فجاز ان يكون من دلائل الرسل

فصل

فاذا وضح هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من اربعة اوجه احدها كمال الخلق
والثاني كمال الخلق والثالث فضائل الاقوال والرابع فضائل الاعمال

فاما الوجه الاول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون باربعة اوصاف احدها السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى التقديم والتسليم وكان اعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين اتوه مع ارتياضهم بصولة الاكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان في نفوسهم اهيب وفي اعينهم اعظم وان لم يتعاظم بابهة ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطاء معروفا.

فصل

والثاني الطلاقة الموجبة للاخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة وقد كان محبوبا ولقد استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولا تباعد منه مقارب وكان احب الى اصحابه من الاباء والابناء وشرب البارد على الظما

فصل

والثالث حسن القبول الجالب لملاءمة القلوب حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد الا من ساقه الحسد الى شقوته وقاده الحرمان الى مخالفته.

فصل

والرابع ميل النفوس الى متابعته وانقيادها لموافقته وثباتها على شدائده

ومصابرته

ومصابرته فما شذ عنه معها من اخلص ولا ند عنه فيها من تخصص. وهذه الاربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها.

فصل

واما الوجه الثاني في كمال اخلاقه فيكون بست خصال احداهن رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رايه وصواب تدبيره وحسن تالفه وانه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الاعجاز في المبادي فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم الا باصدق وهم واوضح جزم.

فصل

والخصلة الثانية ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على الباساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف الاحوال ساكنة لا يجزع في شديدة ولا يستكين لعظيمة او كبيرة ولا يقدر على الخلاص او ابانة وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد

ولقد اتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا
شيء يواريه ابط بلال. وروى عبد الرحمن بن زيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها
قالت ما شبع آل محمد من الشعير يومين حتى قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن صبر على هذه الشدة في الدعاء الى الله تعالى اتسع ان يريد الدنيا وقد
زويت عنه وما ذاك الا لطلب الآخرة. ومستحيل ممن كذب في ادعائه اليها ان
يستوحشها او كذب على الله تعالى ان يثاب بها

فصل

والخصلة الثالثة زهده في الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يمل
الى غضارتها ولم يله لحلاوتها. وروى سفيان الثوري عن حبيب ابن ابي ثابت
عن خيثمة بن عبد الرحمن قال قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شئت
اعطيت خزائن الارض ما لم يعط احد قبلك ولا يعطاه احد بعدك ولا ينقصك
في الآخرة شيئا قال اجمعوها لي في الآخرة. فنزلت تبارك الذي ان شاء جعل
لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا. وروى
هلال ابن ابي حباب عن عكرمة عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى
عليه دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على حصير قد اثر في جسمه
فقال له يا رسول الله لو اتخذت فراشا اوطى من هذا فقال ما لي وللدنيا ما لي
وللدنيا والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم

صائف

صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها. وروى حميد بن
هلال ابن ابي بردة قال اخرجت الينا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا
وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذين. هذا
وقد ملك من اقصى الحجاز الى عذار العراق ومن اقصى اليمن الى شحر عمان.
وهو ازهد الناس فيما يقتنى ويدخر. واعرضهم عما يستفاد ويحتكر. لم يخلف عينا
ولا دينا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا. ولم يورث ولده واهله متاعا ولا مالا ليصرفهم
عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها.
وروى ابو سلمة عن ابي هريرة قال جاءت فاطمة عليها السلام الى ابي بكر رضي الله
تعالى عنه تريد الميراث فمنعها فقالت من يرثك قال ولدي واهلي فقالت فما
ترث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابنته فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا لا نورث ما تركت فهو صدقة
فمن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعول فانا اعوله ومن كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ينفق عليه فانا انفق عليه. وحث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على الزهد في الدنيا والاعراض عن التلبس بها ليكون عونا
على السلامة من تبعاتها وصرف النفوس عن شهواتها. وروى عبد المطلب
بن حاطب عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى. وروى عن الحسن

قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة
وروى ابو حكيم عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروى عمرو بن مرة عن ابي
جعفر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق
بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى عوف عن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انما مثل الدنيا كمثل الماشي على الماء هل يستطيع الذي
يمشي على الماء ان لا تبتل قدماه وهذه الدواعي والوصايا مما اقتدى به خلفاؤه
في زهده واستقلوا بالامور من بعده فكان ابو بكر يتخلل عباءة له وهو خليفة
فسمي ذا الخلالين وكان عمر يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع من ادم ويطوف
في الاسواق على عاتقه درة يؤدب بها الناس ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه
في منازل الناس حتى ينتفعوا به ويطوف وحده في الليل عسسا ويتطلع
عوارض الامور تجسسا ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان عثمان يقوم
الليل كله يختم القرآن في ركعة وجاد بماله وفدى الخلق بنفسه وقال انما
انا عبد آكل كما يأكل العبد واشرب كما يشرب العبد واشترى علي رضي الله
تعالى عنه وهو خليفة قميصا بثلاثة دراهم وقطع كمه من موضع الرسغين
وقال الحمد لله الذي [بياض في الاصل] هذا من رياشه ولم يزل يأكل الخشب
ويلبس الخشن وفرق الاموال حتى رش بيت المال ونام فيه وقال يا صفراء

بياض في الاصل

بابيضاء

يا بيضاء غري غيري وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب
اصحابه اليها ان لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الاخرة بها
ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور النزر ورضي بالعيش الكدر
وقد روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في شهر رمضان فدى غداك المبارك
وقالت ربما لم يكن الا تمرتين وروى عبد الله بن سلمة عن مالك بن انس
انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل المسجد فوجد ابا بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما فسألهما فقال ما اخرجكما فقالا اخرجنا الجوع فقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا اخرجني الجوع فذهبوا الى ابي الهيثم ابن التيهان
فامر له بحنطة او شعير عنده يعمل وقام فذبح لهم شاة فقال لهم تنكب عن ذات
الدر واستعذب لهم ماء علق على نخلة ثم اتوا بذلك الطعام فاكلوا منه وشربوا
من ذلك الماء فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتسألن عن نعيم
هذا اليوم ثم ملكوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلاغة فيها

فصل

والخصلة الرابعة تواضعه للناس وهم اتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع
يمشي في الاسواق ويجلس على التراب ويمتزج باصحابه وجلسائه فلا يتميز
عنهم الا باطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززا ولقد

دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفّض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة، وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تند فتعد ولم تحصر فتحد

فصل

والخصلة الخامسة حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه، فقد كان وحلم في النفار من كل حليم، وأسلم في الخصام من كل سليم، وقد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة، ولم يحفظ عليه بادرة، ولا حليم غيره إلا ذو عثرة، ولا وقور سواه إلا ذو هفوة، فإن الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأمته رؤوفا وعلى الخلق عطوفا، قد تناولته قريش بكل كبيرة، وقصدته بكل جريرة، وهو صبور عليهم ومعرض عنهم، وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم، ولا أراذلهم دون عظمائهم، بل تمالأ عليه الجلة والدون، فكلما كانوا عليه ألح كان عنهم أعرض، وأصفح حتى قهر فعفا، وقدر فغفر، وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه ما ظنكم بي قالوا ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك، وإن تنتقم فقد أسأنا، فقال بل أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم قد أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا، وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولاكت كبده فصفح عنها وأعطاها يده

بيعتها. فإن قيل فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم واحد وهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح، وقد انتقم انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ولا داخلته لهم رقة، قيل إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه المواسي قتل ومن لم تجر عليه استرق، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا حكم الله فوق سبعة أرقعة، فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه

فصل

والخصلة السادسة حفظه للعهد ووفاؤه بالعهد فإنه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف لمراقب وعدا، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوي الشيم، فيلتزم فيهما الأغلظ، ويرتكب فيهما الأصعب، حفظا لعهده ووفاء بوعده، حتى يبتدي معاهده بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية، فجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة، فهذه ست خصال تكاملت في خلقه ففضله الله تعالى بها على جميع خلقه

فصل

وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله، فمعتبر بثمان خصال إحداهن ما أوتي

من الحكمة البالغة، واعطي من العلوم الجمة الباهرة، وهو امي من امة امية لم يقرا كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما ولا معلما، فاتى بما بهر العقول، واذهل الفطن من اتقان ما ابان، واحكام ما اظهر، فلم يعثر فيه بزلل في قول او عمل، وجعل مدار شرعه على اربعة احاديث اوجز بها المراد، واحكم بها الاجتهاد، احدها قوله انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى، والثاني قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات ومن يحم حول الحمى يوشك ان يقع فيه، والثالث قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والرابع قوله دع ما لا يريبك الى ما لا يريبك، وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا انه لا صلاح للعالم الا بدين ينقادون له ويعملون به، فما راق لها اثر، ولا فاق لها خبر، وهم ينبوع الحكم واعيان الامم، وما هذه الفطرة في الرسول الا من صفاء جوهره، وخلوص مخبره،

فصل

والخصلة الثانية حفظه لما اطلعه الله تعالى عليه من قصص الانبياء مع الامم واخبار العالم في الزمن الاقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير، ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير، وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه، ولا يحفظها بعين تحرسه، وما ذاك الا من ذهن صحيح، وصدر فسيح، وقلب شريح، وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة، وحمل من اعباء النبوة، فجدير ان يكون بها مبعوثا، وعلى القيام بها محثوثا،

فصل

فصل

والخصلة الثالثة احكامه لما شرع باظهر دليل، وبيانه باوضح تعليل، حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول، ولا دخل فيه ما تدفعه العقول، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصرت الي الحكمة اختصارا لانه نبه بالقليل على الكثير، فكف عن الاطالة، وكشف عن الجهالة، وما تيسر ذلك الا وهو عليه معان، واليه منقاد،

فصل

والخصلة الرابعة ما امر به من محاسن الاخلاق، ودعا اليه من مستحسن الاداب، وحث عليه من صلة الارحام، وندب اليه من التعطف على الضعفاء والايتام، ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد، وكف عنه من التقاطع والتباعد، فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا، لتكون الفضائل فيهم اكثر، ومحاسن الاخلاق بينهم انشر، ومستحسن الاداب عليهم اظهر، ويكون الى الخير اسرع، ومن الشر امنع، فيتحقق فيهم قول الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، فلزموا اوامره واتقوا زواجره، فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الاسلام بعد ضعفه، وذل بهم الشرك بعد عزه، فصاروا ائمة ابرارا، وقادة اخيارا،

فصل

والخصلة الخامسة وضوح جوابه اذا سئل وظهور حجاجه اذا جودل لا يحصره عيّ ولا
يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه اوضح وحجاجه ارجح اتاه
ابن ابي خلف بعظم نخر من المقابر قد صار رميما ففركه حتى صار كالرماد ثم قال
يا محمد انت تزعم انا وآباءنا نعود اذا صرنا هكذا لقد قلت قولا عظيما ما سمعناه
من غيرك من يحيي العظام وهي رميم فانطق الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه
وسلم ببرهان نبوته فقال يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم
فانصرف مبهوتا ولم يحر جوابا ولما قال عليه السلام لا عدوى ولا طيرة قال له
رجل يا رسول الله انا نرى النقبة من الجرب في مشفر البعير فيعدو سائره قال
فمن اعدى الاول واسكته

فصل

والخصلة السادسة انه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر
يكون الى الكذب منسوبا وللصدق مجانبا فانه لم يزل مشهورا بالصدق في خبره
فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرقوما وبالامانة موسوما وكانت قريش
باسرها تتيقن صدقه قبل الاسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم اليه
فمنهم من كذبه حسدا ومنهم من كذبه عنادا ومنهم من كذبه استبعادا ان يكون
نبيا او رسولا ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا على
تكذيبه في الرسالة ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الزم ومن عصم

منه

منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى اعصم وحسبك بهذا دفعا لجاحد
ورد المعاند

فصل

والخصلة السابعة تحرير كلامه في التوخي به ابان حاجته والاقتصار منه على قدر
كفايته فلا يسترسل فيه هذرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيما عدا حالتي الحاجة والكفاية
اجمل الناس صمتا واحسنهم سمتا ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل وظهر رونقه
حتى لم يعتل واستعذبته الافواه حتى بقي محفوظا في القلوب مدونا في الكتب
فلن يسلم الاكثار من زلل ولا الهذر من ملل اكثر اعرابي عنده الكلام فقال
يا اعرابي كم دون لسانك من حجاب قال شفتاي واسناني فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرئ قصر من
لسانه واقتصر على حاجته

فصل

والخصلة الثامنة انه افصح الناس لسانا واوضحهم بيانا واوجزهم كلاما
واجزلهم الفاظا واصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة
التعسف وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ابغضكم الي الثرثارون المتفيهقون
وقال اياك والتشادق ولما نزل عليه قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه بنا مسجد قبا فحضر عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله

قد افلح من بنى المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال ولم يثبت الله الا الساجد قال
يا ابن رواحة كف عن السجع فما اعطى عبد شيئا شرا من اطلاقه فى لسانه

فصل

فمن كلامه الذى لا يشاكل فى ايجازه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس بزمانهم
اشبه ، وقوله ما هلك امرؤ عرف قدره ، وقوله لو تكاشفتم ما تدافنتم ، وقوله
السعيد من وعظ بغيره ، وقوله حبك للشيء يعمى ويصم ، وقوله العقل الوف
مألوف ، وقوله العدة عطية ، وقوله اللهم انى اعوذ بك من طمع يهدى الى
طبع ، وقوله افضل الصدقة جهد المقل ، وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى
وقوله ترك الشر صدقة ، وقوله الخير كثير وقليل فاعله ، وقوله الناس كمعادن
الذهب ، وقوله نزلت المعونة على قدر المؤنة ، وقوله اذا اراد الله بعبد خيرا
جعل له واعظا من نفسه ، وقوله اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من
خانك ، وقوله المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ، وقوله الدنيا سجن المؤمن
وبلاؤه وجنة الكافر ورخاؤه

فصل

ومن كلامه الذى لا يشاكل فى فصاحته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم
والمشاورة فانها تميت الغرة وتحيى العرة ، وقوله لا تزال امتى بخير ما لم تر
الامانة مغنما والصدقة مغرما ، وقوله رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت

فسلم

فسلم ، وقوله اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ، ونفس لا تشبع ، وقلب لا يخشع ،
وعين لا تدمع هل ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا ، او مرضا مفسدا ،
او هرما مفندا ، او الدجال فهو شر غائب ينتظر ، او الساعة فالساعة ادهى
وامر ، وقوله ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله تعالى
فى السر والعلانية والاقتصاد فى الغنى والفقر والحكم بالعدل فى الرضا و
الغضب ، واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ، و
قوله تقبلوا لى بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هى يا رسول الله قال اذا
حدث احدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن ، غضوا
ابصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا ايديكم ، وقوله فى بعض خطبه الا ان الايام
تطوى ، والاعمار تفنى ، والابدان فى الثرى تبلى ، وان الليل والنهار يتراكضان
تراكض البريد يقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد ، وفى ذلك عباد الله
ما ألهى عن الشهوات ، ورغب فى الباقيات الصالحات ، وقوله فى بعض خطبه
وقد خاف من اصحابه فترة ، ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب ،
وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذى نشيع من الاموات سفر عما
قليل الينا راجعون ، نبوئهم اجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ،
قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة ، طوبى لمن شغلته آخرته عن دنياه ،
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وقوله اليسير من كثير ولا يأتى عليه

احصاء، ولا يبلغه استقصاء، وانما ذكرنا منه ما ليعلم ان كلامه جامع لشروط
البلاغة، ومعرب عن نهج الفصاحة، ولو مزج بغيره لتميز باسلوبه، ولظهر فيه
آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله، ولبان صدقه من كذبه، هذا ولم يكن متعاطيا
للبلاغة، ولا مخالطا لاهلها من خطباء او شعراء او فصحاء، وانما هو من غرائز
فطرته، وبداية جبلته، وما ذاك الا لغاية تراد وحادثة تشاد، فان قيل اذا
كان كلامه مخالفا للكلام غيره في البلاغة والفصاحة حتى لم يكن فيه مساجلا
ايكون له معجزا قيل له لو كان هكذا وتحدى به صار معجزا، ولا يكون مع عدم التحدي معجزا،

فصل

واما الوجه الرابع في فضائل اخلاقه فمختبرة بما ان خصال احداهن حسن سيرة،
وصحة سياسة، في دين انتقل شرعه حتى استقر، وتدبير احسن وضعه حتى استمر،
نقل بها الامة عن مألوف، وصرفهم به عن معروف الى غير معروف، فاذعنت به
النفوس طوعا، وانقادت خوفا وطمعا، وشديد عادة منتزعة الا لمن كان
مع التأييد الالهي معانا بحزم صائب، وعزم ثاقب، ولئن كان مأمورا
بالشرع فهي الحجة القاهرة ولئن كان مجتهدا فيها فهي الآية الباهرة، و
حسبك بما استقرت قواعده على الابد حتى انتقل عن سلف الى خلف،
يزداد فيهم حلاوة ولبشته فيهم جدة، ويرونه نظاما للاعصار تنقلب صروفها،
وتختلف مألوفها، ان يكون لمن قام به برهانا، ولمن ارتاب به بيانا،

فصل

فصل

والخصلة الثانية انه جمع بين رغبة من استمال، ورهبة من استطاع حتى اجتمع
الفريقان على نصرته، وقاموا بحقوق دعوته، رغبا في عاجل وآجل، ورهبا
من زائل ونازل، لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد والذي لا ينتظم باحدهما
ولا يستديم الا بهما، فلذلك صار الدين بهما مستقرا، والصلاح بهما مستمرا،

فصل

والخصلة الثالثة انه عدل فيما شرعه من الدين عن غلو النصارى في التشديد
وعن تقصير اليهود في التقصير الى التوسط بينهما، وخير الامور اوساطها لانه
العدل بين طرفي سرف وتقصير، فليس لما جاوز العدل حظ من رشد،
ولا نصيب من سداد، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فشر السير الحقحقة وان المنبت لا ارضا قطع، ولا ظهرا ابقى

فصل

والخصلة الرابعة انه لم يمل باصحابه الى الدنيا كما رغبت اليهود، ولا الى رفضها
كما ترهبت النصارى، وامرهم فيها بالاعتدال، ان يطلبوا منها قدر الكفاية،
ويعدلوا عن احتجان واستزادة، وقال لاصحابه خيركم من لم يترك دنياه لآخرته
ولا آخرته لدنياه، ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه، وهذا صحيح لان الانقطاع
الى احدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم

نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة، وانما كان كذلك لان منها تتزود
للآخرة، ويستكثر فيها من طاعة، ولانه لا يخلو تاركها من ان يكون محروما مضاعا
او مرحوما مراعى، وهو في الاول كل، وفي الثاني مستذل، اثني على رجل بخير
عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا يا رسول الله كنا اذا ركبنا
لا يزال يذكر الله تعالى حتى ننزل، واذا نزلنا لا يزال يصلي حتى نرتحل، فقال
فمن كان يكفيه علف بعيره، واصلاح طعامه، قالوا كلنا قال فكلكم خير منه،

فصل

والخصلة الخامسة تقدمه بمعالم الدين ونوازل الاحكام حتى اوضح للامة
ما كلفوه من العبادات، وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات،
وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود مناكح ومعاملات، حتى احتاج اليهود
في كثير من معاملاتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج بشرعه الى شرع غيره، ثم مهد
لشرعه اصولا تدل على الحوادث المغفلة، ويستنبط لها الاحكام المعللة،
فاغنى عن نص بعد ارتفاعه، وعن التباس بعد اغفاله، ثم امر الشاهد ان يبلغ
الغائب ليعلم بانذاره، ويحتج باظهاره، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بلغوا
عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ اوعى من سامع ورب حامل فقه الى من
هو افقه منه، فاحكم ما شرع من نص وتنبيه، وعم بما امر من حاضر وبعيد،
حتى صار لما تحمله من الشرع مؤديا، ولما تقلده من حقوق الامة موفيا، لئلا

يكون

يكون في حقوق الله رثى، ولا في مصالح الامة خلل، وذلك في برهة من زمانه لم يستوف
تطاول الاستيعاب حتى اوجز وانجز، وما ذاك الا بديع معجزهم. الخصلة السادسة
انتصابه لجهاد الاعداء، وقد احاطوا بجهاته، واحدقوا بجنباته، وهو في قطب
مهجور، وعدد محقور، فزاد به من قل، وعز به من ذل، وصار باثخانه في الاعداء
محذورا، وبالرعب منه منصورا، فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر،
وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر، والجمع بينهما معوز الا لمن
امده الله بمعونته، وايده بلطفه والمعوز معجز، الخصلة السابعة ما خص
به من الشجاعة في حروبه، والنجدة في مصابرة عدوه، فانه لم يشهد حربا في
فراغ الا صابر حتى انجلت عن ظفر او دفاع، وهو في موقفه لم يزل عنه هربا،
ولا حاز فيه رعبا، بل ثبت بقلب آمن وجاش ساكن، قد ولى عنه اصحابه
يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير، وجم غفير، في تسعة من اهل بيته واصحابه،
على بغلة مسبوقة ان طلبت، غير مستعدة لهرب ولا طلب، وهو ينادي اصحابه
ويظهر نفسه، ويقول الي عباد الله، انا النبي لا كذب، انا ابن عبد المطلب،
فعادوا اشذاذا وارسالا وهوازن تراه وتحجم عنه، فما هاب حرب من كاثره،
ولا انكفأ عن مصاولة من صابره، وقد عضده الله تعالى بانجاد انجاد فانحازوا
وصبر حتى امده الله بنصره، وما لهذه الشجاعة من عديل، ولقد طرق المدينة
فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه

كاثره

وسلم قد سبقهم اليه فتلقوه عائدا على فرس عري لابي طلحة الانصاري وعليه
السيف، فجعل يقول ايها الناس لم تراعوا، بل تراعوا، ثم قال لابي طلحة انا
وجدناه بحرا، وكان الفرس يبطئ فما سبقه فرس بعد ذلك، وما ذاك الا
عن ثقة من ان الله تعالى سينصره، وان دينه سيظهره، تحقيقا لقوله تعالى
ليظهره على الدين كله، وتصديقا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم،
زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي
منها، وكفى بهذا ثقة ما بعده، ومشاهدا على صدقه الخصلة الثامنة ما منح من
السخاء والجود، حتى جاد بكل موجود، وآثر بكل مطلوب ومحبوب، ومات
ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام اهله، وقد ملك جزيرة
العرب وكان فيها ملوك واقيال، لهم خزائن واموال، يقتنونها ذخرا،
ويتباهون بها فخرا، ويستمتعون بها اشرا وبطرا، وقد حاز ملك جميعهم
فما اقتنى دينارا ولا درهما، لا ياكل الا الخشن، ولا يلبس الا الخشن،
ويعطي الجزل الخطير، ويصل الجم الغفير، ويتجرع مرارة الاقلال، و
يصبر على الاختلال، وقد حاز غنائم هوازن وهي من السبي
ستة آلاف رأس، ومن الابل اربعة وعشرون الف بعير، ومن الغنم
اربعون الف شاة، ومن الفضة اربعة آلاف اوقية، فجاد بجميع حقه
وعاد خلوا، روى ابو وائل عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا
شاة ولا بعيرا ولا اوصى بشيء، وروى عمرو بن مرة عن سويد بن الحارث
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يسرني ان لي
احدا ذهبا انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت وعندي منه دينار الا
ان اعده لغريم، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سئل وهو معدم
وعد ولم يرد وانتظر ما يفتح الله، فروى حماد بن زيد عن المعلى بن زياد
عن الحسن، ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فقال
اجلس سيرزقك الله، ثم جاء آخر، ثم آخر، فقال لهم اجلسوا، فجاء رجل
باربع اواقي فاعطاه اياها، وقال يا رسول الله هذه صدقة فدعا الاول
فاعطاه اوقية، ثم دعا الثاني فاعطاه اوقية، ثم دعا الثالث فاعطاه
اوقية، وبقيت معه اوقية واحدة فعرض بها للقوم فما قام احد، فلما كان
الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة، فجعل لا ياخذه النوم فيرجع فيصلي
فقالت له عائشة يا رسول الله هل بك شيء، قال لا، قالت فجاءك امر
من الله قال لا، قالت انك صنعت منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله فاخرجها
وقال هذه الليلة التي فعلت بي ما ترين اني خشيت ان يحدث امر من امر
الله ولم امضها، وروى الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم انه قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن ترك

[جمع اوقية بتشديد الياء وهي اربعون درهما من الفضة ه]

دنيا فعلى ومن ترك مالا فلورثته، فهل تشمل هذا الكرم والجود كرمًا وجودًا،
ام هل تشمل هذا الاعراض والزهادة اعراضا وزهدا، هيهات هل يدرك شأوه
من هذه شذور من فضائله، ويسير من محاسنه، التي لا تحصى لها عدد، ولا
يدرك لها امد، لم تكمل في غيره فيساويه، ولا كذب بها ضد يناويه، ولقد جهد
كل منافق ومعاند، وكل زنديق وملحد، ان يزري عليه في قول او فعل، او يظفر
بهفوة في جد او هزل، فلم يجد اليه سبيلا، وقد جهد جهده وجمع كيده،
فاي فضل اعظم من فضل تشاهده الحسدة والاعداء، فلم يجدوا فيه مغمز
لثالب او قادح، ولا مطعنا لجارح او فاضح، فهو كما قال الشاعر،
شهد الانام بفضله حتى العدى، والفضل ما شهدت به الاعداء
وحقيق لمن بلغ من الفضائل غايتها، واستكمل لغايات الامور آلتها، ان
يكون لزعامة العالم مؤهلا، وللقيام بمصالح الخلق متوكلا، ولا غاية بعد النبوة
ان تعم به صلاح او يحسم به فساد، فاقتضى ان يكون لها اهلا، وللقيام بها
مؤهلا، ولذلك استقرت به حين بعث رسولا، ونهض بحقوقها حين قام
به كفيلا، فناسبها وناسبته ولم يذهل لها حين اتته وكل متناسبين
متشاكلان، وكل متشاكلين مؤتلفان وكل مؤتلفين متفقان،
والاتفاق وفاق هو اصل كل انتظام، وقاعدة كل التئام فكان ذلك
من اوضح الشواهد على صحة نبوته، واظهر الامارات في صدق رسالته،

في

فانكرها بعد الوضوح الا مفضوح، والحمد لله الذي وفق لطاعته، وهدى
الى التصديق برسالته،

الباب الحادي والعشرون في مبتدا بعثته واستقرار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

ان الله تعالى لكل مقدور من الامور انذارا ونذيرا وبشيرا، ليظهر بها مبادي
ما اخفاه ويشعر بحلول ما قدره وقضاه، ليكونا تعذيرا وتحذيرا تستيقظ
بها العقول، وينزجر بها الجهول، ليكون لطفا بعباده من فجاة الامور
المذهلة، ان تفجأ تقدم بوادر لا تستدرك لتكون النفوس في مهلة
من استدفاع خطبها، وحل صعبها، ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بالنبوة رسولا، والى الخلق بشيرا ونذيرا، انتشر في الامم ان الله
تعالى سيبعث نبيا في هذا الزمان، وان ظهوره قد قرب وآن، فكانت كل
امة لها كتاب تعرف ذلك من كتابها، والتي لا كتاب لها ترى من الآيات
المنذرة ما تستدل عليه بعقولها، وتنبه عليه بهواجس خطرها الهاما اعان
به الفطن اللبيب، وانذر به الحازم الاريب، هذا ورسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم غافل عنها، وغير عالم انه مراد بها ومؤهل لها، لم يشعر بها حتى
نودي، ولا تحققها حتى نوجي، ليكون ابعد من التهمة، واسلم من الظنة،
فيكون برهانه اظهر، وحجاجه اقهر، وكان مع تميزه عن قومه لشرف اخلاقه،
وكرم طباعه، لم يعبد معهم صنما، ولا عظم وثنا، وكان متدينا بفرائض

العقول في قول جميع الفقهاء والمتكلمين من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث
العالم وفنائه وشكر المنعم وتحريم الظلم ووجوب الانصاف وأداء الامانة.
واختلف اهل العلم هل كان قبل بعثته متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء.
فذهب اكثر المتكلمين وبعض الفقهاء من اصحاب الشافعي وابي حنيفة الى انه
لم يكن متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء لانه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل
بها ولو عمل بها لظهرت منه ولو ظهرت منه لاتبعه فيها الموافق ونازعه فيها
المخالف. وذهب بعض المتكلمين واكثر الفقهاء من اصحاب الشافعي وابي حنيفة
الى انه كان متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء لانهم دعوا الى شرائعهم
من عاصرهم ومن يأتي بعدهم ما لم تنسخ بنبوة حادثة فدخل الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم في عموم الدعاء قبل بعثته لان الله تعالى لا يخلي زمانا من شرع
مشروع ولا مهملا من تعبد مسموع. واختلف من قال بهذا فيما كان متعبدا
به من الشرائع المتقدمة. فذهب بعضهم الى انه كان متعبدا بشريعة جده
ابراهيم عليهما السلام لقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه
نفسه ولانه كان في الحج والعمرة على مناسكه. وذهب آخرون الى انه كان متعبدا
بشريعة موسى فيما لم تنسخه شريعة عيسى عليهم السلام لظهور شريعة
في التوراة ودروس ما تقدمها من الشرائع مع قول الله تعالى انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور. وذهب آخرون الى انه كان متعبدا بشريعة

عيسى

عيسى عليه السلام لانها كانت ناسخة لشريعة موسى. فسلم قبل بعثته من
حرج في دينه وقدح في يقينه. وهذا من امارات الاصطفاء ومقدمات الاجتباء

فصل

ولما جد الامر في النبوة ودنا وقتها حبب الله تعالى الى رسوله الخلاء بعد
اربعين سنة من عمره حين تكامل نهاه واشتد قواه ليكون متهيئا لما قدر له
ومتأهبا لما اريد له. فكان يتخلى في غار حراء ذوات العدد من الليالي. وقيل
شهرا في السنة على عادة كانت لقريش في التبرز بالمجاورة بحراء ويعود الى اهله.
الى ان استدام الخلاء في الغار لما اراده الله تعالى به فكان يؤتى بطعامه وشرابه
فيأكل منه ويطعم المساكين برهة من زمانه وهو غافل عن النبوة وان كان في
الناس موهوما وعند اهل الكتب معلوما. ليكون ابتداء البديهة بها مانعا
من التصنع لها فلا ينسب الى اختراعها. ولو تصنع واخترع لظهرت اسبابها
ونمت شواهدها. ولم يخف على من عاداه ان يتداوله. وعلى من والاه ان
يتأوله. وحسبك بهذا وضوحا ان يكون بعيدا من التهمة بها سليما من الظنة
فيها. فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم على خلوته. الى ان اظهر الله تعالى له امارات
نبوته. فايقظه بها بعد الغفلة. وبشره بها بعد المهلة. ثم بعثه بها رسولا
بعد البشرى على تدريج ترتبت فيها احواله لتوطئة لتحمل اثقالها. وتعلم
لوازم حقوقها حتى لا تفجأه بغتة فيذهل. ولا يخفى عليه حقوقها فيتكلف.

وكان ذلك من الله لطفا به وانعاما عليه، ودواعيا للامة في الانقياد اليه،
فسبحانه من لطيف بعباده، منعم على خلقه



فصل

تدرجت اليه احواله في النبوة حتى علم انه نبي مبعوث، ورسول مبلغ ترتب
تدرجه على ستة احوال، نقل فيهن الى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها،
فالمنزلة الاولى الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤل اليه امره فكان ذلك
اذكارا بها ليروض لها نفسه، ويختبر فيها حواسه، فيقوم بها اذا بعث وهو
عليها قوي وبها ملي، روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها
انها قالت اول ما ابتدي به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة كانت تجئ مثل فلق الصبح حتى فجأه الحق، واختلف
في هذه الرؤيا هل كانت قبل انقطاعه الى الخلوة بحرا فحكى عروة عن عائشة
انه حبب اليه الخلاء بعد الرؤيا، وذهب قوم الى ان الرؤيا جائته بعد خلوته
لانه خلا على غفلة من امره، وقد روت برة بنت ابي تجراه ان الله تعالى لما
اراد كرامة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه
فما يرى احدا، فاحتمل ان يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون كالهتوف
الخارجة عن اعلام الوحي الى اعجاز النبوة، واحتمل ان يكون بعد الرؤيا

فيكون

فيكون تصديقا لها، وتحقيقا لصحتها والمنزلة الثانية ما ميزه عن سائر
الخلق من تقديسه عن الارجاس، وتطهيره من الادناس، ليصفو
فيصطفى ويخلص فيستخلص، فيكون ذلك انذار الامر وتنبيها على العاقبة،
وهو ما رواه عروة بن الزبير عن ابي ذر الغفاري قال سألت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن اول نبوته فقال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا
ببطحاء مكة فوقع احدهما على الارض والآخر بين السماء والارض فقال
احدهما لصاحبه اهو هو، قال هو هو، قال فزنه برجل من امته فوزنت برجل
فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بعشرة فرجحتهم، ثم قال زنه بمائة فوزنت
بمائة فرجحتهم، ثم قال زنه بالف فوزنت بالف فرجحتهم فجعلوا ينتثرون
علي في كفة الميزان، فقال احدهما للآخر لو وزنته بامته رجحها ثم قال
احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني ثم قال شق قلبه فشق قلبي فاخرج
منه مغمز الشيطان وعلق الدم ثم قال اغسل بطنه غسل الاناء واغسل
قلبه غسل الملاءة ثم دعا بالسكينة فادخلت قلبي ثم قال خط بطنه فخاطا
بطني فما هو ان وليا حتى كأنما اعاين الامر، وروى انس بن مالك قال
لما كان ان يبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام حول الكعبة
وكانت قريش تنام حولها فاتاه جبريل وميكائيل فقالا بايهم امرنا
فسبعه هم ثم ذهبا وجاءا من القابلة وهم ثلاثة فالقوه وهو نائم

فقلبوه لظهره وشقوا بطنه ثم جاؤا بماء من زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من شك
او ضلالة او جاهلية ثم جاؤا بطست من ذهب قد ملئت ايمانا وحكمة فملئ بطنه
وجوفه ايمانا وحكمة وهذا يوافق لحديث ابي ذر في المعنى وان خالفه في الصفة
فتوارد في الرواية وهو انذار بالنبوة **والمنزلة الثالثة** البشرى بالنبوة من
ملك اخبره بها عن ربه احقت بشراه بالاشعار وتجردت عن تكليف وانذار
لم يسمع بها وحيا ولا رأى معها شخصا وانما كان احساسا بالملك اقترن
بآية دلت وامارة ظهرت اكتفى بها عن مشاهدة واستغنى بها عن نطقه
ليعلم انه من انبياء الله تعالى فيتأهب لوحيه وليعان بامهاله فيكون على
البلوى اصبر وللنعمة اشكر روى الشعبي وداود بن عامر ان الله تعالى قرن
اسرافيل بنبوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه
ولا يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه بالقرآن فكان في هذه المدة
مبشرا بالنبوة وغير مبعوث الى الامة فاحتمل ان يكون امهاله فيها معونة للرسول
واحتمل ان يكون نظرا للامة واحتمل ان يكون لاوان المصلحة وليس يمتنع
ان يكون لجميعها فانه اعلم بسر ما اخفى واعرف بمعنى ما اظهر **والمنزلة الرابعة**
ان نزل عليه جبريل بوحي ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته فاخبره انه نبي
الله ورسوله واقتصر به على الاخبار ولم يأمره بالانذار ليعلمها بعد البشرى
عيانا ويقطع بها يقينا فيكون معتقده بها اوثق وعلمه بها اصدق

فلا

فلا يعترضه وهم ولا يخالجه ريب روى الزهري عن عائشة رضي الله تعالى عنها
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فجأه الحق اتاه جبريل عليه السلام
فقال يا محمد انت رسول الله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجثوت
لركبتي وانا قائم ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت
زملوني حتى ذهب عني ثم اتاني فقال يا محمد انا جبريل وانت رسول الله
ثم قال اقرأ قلت ما اقرأ قال فاخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني
الجهد وقال اقرأ باسم ربك الذي خلق فاتيت خديجة فقلت لقد اشفقت
على نفسي فاخبرتها خبري فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الامانة وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي الى ورقة بن نوفل وكان ابن
عمها وخرج في طلب الدين وقيل قرأ التوراة والانجيل وتنصر وقالت
اسمع من ابن اخيك فسألني فاخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي نزل
على موسى عليه السلام يعني جبريل عليه السلام ليتني اكون حيا حين يخرجك
قومك قلت امخرجي هم قال نعم انه لم يجئ رجل قط بما جئت به الا عودي
ولئن ادركني يومك لانصرنك نصرا مؤزرا ثم كان اول ما نزل عليه
من القرآن بعد اقرأ ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون

ونزل عليه ذلك ليزداد ثباتا ولنفسه استبصارا * ولنعمة ربه شكرا * وروى
ان خديجة قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك هذا اذا اتاك يعني جبريل عليه السلام * قال نعم قالت فاخبرني
به اذا جاءك فجاءه جبريل فقال لها يا خديجة هذا جبريل قد جاء * قالت
قم فاجلس على فخذي اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه * قال نعم * قالت
فتحول على فخذي اليمنى فتحول اليها فقالت هل تراه * قال نعم * قالت فتحول
في حجري فتحول في حجرها قالت هل تراه قال نعم * قال فتحسرت والقت خمارها وهو
جالس في حجرها فقالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وابشر فوالله
انه لملك وما هو بشيطان وآمنت به فكانت اول من اسلم من جميع الناس
واستظهرت خديجة بما فعلته من هذا في حق نفسها لا في حق الرسول ولا
استظهارا عليه * واكتفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تصديق جبريل
بما عاينته خديجة من آيات المعجزة وكان ما نزل به جبريل في هذا الحال مقصورا
على اخباره بالنبوة ليعلم ان الله تعالى قد اصطفاه لها فينقطع اليه ويوقف
نفسه على ما يؤمر به وينزل عليه فيكون لاوامره متبعا ولما يراد به متوقعا
واذن له في ذكره * وان لم يؤذن له في انذاره * لقول الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث اي ما جاءك من النبوة فكان يذكرها مستسرا والمنزلة
الخامسة ان امر بعد النبوة بالانذار فصار به رسولا * ونزل عليه القرآن

بالامر والنهي فصار به مبعوثا * ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار ليختص بمن آمنه *
ويثقه بمن اجابه * فنزل عليه قول الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر * وربك
فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * فتمت
نبوته بالوحي والانذار * وان كان على استسرار * وكان ذلك في اليوم الاثنين
من شهر رمضان * قال هشام بن محمد اول ما تلقاه جبريل في ليلة السبت
وليلة الاحد ثم ظهر له برسالته في يوم الاثنين * وروى ابو قتادة عن عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن صوم يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه النبوة *
واختلف في اي اثنين كان من شهر رمضان * فقال ابو قلابة كان في الثاني
عشر منه * وقال ابو الجلد كان في الرابع والعشرين منه وهو ابن اربعين
سنة في قول الاكثرين لاربعين سنة مضت من عام الفيل * وزعم قوم
انه كان ابن ثلاث واربعين سنة * قال هشام بن محمد وذلك لعشرين
سنة من ملك كسرى برويز * وقال غيره لست عشرة سنة من ملكه * ثم
روي ان جبريل عليه السلام نزل عليه في يوم الثلاثاء ثاني النبوة وهو باعلى
مكة فهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل منها ليريه
كيف الطهور فتوضأ مثل وضوئه * ثم قام جبريل فصلى وصلى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته * فكانت هذه اول عبادة فرضت عليه

ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى خديجة فتوضأ لها حتى توضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكانت اول من توضأ بعده وصلى، واستتر بالانذار من يأمنه، واختلف في اول من اسلم بعد خديجة على ثلاثة اقاويل: احدها ان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه اول من اسلم من الذكور، وصلى وهو ابن تسع سنين، وقيل ابن عشر، وهذا قول جابر بن عبد الله وزيد بن اسلم، وروى يحيى بن عفيف عن ابيه عفيف قال جئت في الجاهلية الى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب فلما طلعت الشمس وتحلقت في السماء اقبل شاب فرمى ببصره الى السماء واستقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث ان جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمرأة ورفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه، فقلت للعباس يا عباس امر عظيم هل تدري من هذا فقال العباس نعم هذا محمد بن عبد الله ابن اخي وهذا علي ابن ابي طالب ابن اخي وهذه خديجة ابنة خويلد زوجة ابن اخي وهذا حدثني ان رب السماء امره بهذا الذي تراهم عليه، وايم الله ما اعلم على ظهر الارض كلها احدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، والقول الثاني ان اول من اسلم وصلى ابو بكر رضي الله تعالى عنه، وهذا قول ابن عباس وابي امامة الباهلي، وروى ابو امامة عن عمرو بن عبسة السلمي قال اتيت

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الامر قال تبعني عليه رجلان حر وعبد ابو بكر وبلال، قال فاسلمت عند ذلك فلقد رايتني اذ ذاك ربع الاسلام، وقال الشعبي سالت ابن عباس من اول الناس اسلاما فقال اما سمعت قول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها ... بعد النبي واوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده ... واول الناس منهم صدق الرسلا

والقول الثالث ان اول من اسلم زيد بن حارثة وهذا قول عروة بن الزبير وسليمان بن يسار، وجعل ابو بكر يدعو الى الاسلام من يثق به لانه كان تاجرا ذا خلق ومعروف، وكان انسب قريش لقريش واعلمهم بما كانوا عليه من خير وشر حسن التألف لهم، وكانوا يكثرون غشيانه، فاسلم على يده عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن ابي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، فجاء بهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين استجابوا له بالاسلام وصلوا فصاروا مع من تقدم ثمانية نفر هم اول من اسلم وصلى، وقيل انه اسلم معهم سعيد بن العاص وابو ذر ثم تتابع الناس في الاسلام ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

على استسراره بالدعاء وان انتشرت دعوته في قريش والمنزلة السادسة
ان امر ان يعم بالانذار بعد خصوصه ويجهر بالدعاء الى الاسلام بعد استسراره
فانزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين فجهر بالدعاء قال
ابن اسحق ذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه وامر ان يبدأ بعشيرته الاقربين
فقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين قال ابن عباس فصعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا
فهتف يا صباحاه يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف حتى ذكر الاقرب فالاقرب
من قبائل قريش فاجتمعوا اليه وقالوا ما لك قال ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا
تخرج من سفح هذا الجبل اما كنتم تصدقوني قالوا بلى ما جربنا عليك كذبا
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا
ثم قام فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب الى آخر السورة قال ابن
اسحق ولم يكن في قريش في دعائه لهم مباعدة له ولكن ردوا عليه بعض الرد
حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفه احلامهم في عبادتها فلما فعل ذلك اجمعوا
على خلافه وتظاهروا بعداوته الا من عصمه الله تعالى منهم بالاسلام وهم
قليل مستخفون فصار بعموم الانذار والجهر بالدعاء الى التوحيد والاسلام
عام النبوة مبعوثا الى كافة الامة فكمل الله تعالى بذلك نبوته وتمم به رسالته
فصدع بامره وقام بحقه وجاهد بانذاره وعم بدعائه وجاهد في الله حق

جهاده حتى خصم قريشا حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه ورجع منهم غفير
وجمع كثير الى ان علت كلمته وظهرت دعوته وكابد من الشدائد ما لم يثبت
عليها الا معصوم ولا يسلم منها الا منصور وكل هذه آيات تنذر بالحق وتعلم
الصدق لان الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يصلح عمل المفسدين

فصل

فاما ما شرعه من الدين فالشرع بعد التوحيد يشتمل على قسمين عبادات واحكام
فاما العبادات فلم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة والصلاة حين
علمه جبريل الوضوء والصلاة وكانت فرضا عليه وسنة لامته
لقول الله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا
او زد عليه فكان هذا حكمها في حقه وحق امته الى ان فرضت الصلوات
الخمس بعد اسرائه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وذلك في السنة التاسعة
من نبوته فصارت الصلوات الخمس فرضا عليه وعلى امته ولم يفرض ما سواها
من العبادات حتى هاجر الى المدينة وصارت له بالاسلام دارا وصار اهلها
انصارا فاول ما فرض بالمدينة من العبادات بعد فرض الصلوات الخمس
بمكة صيام شهر رمضان في الثانية من الهجرة في شعبان وفيها حولت القبلة
عن بيت المقدس الى الكعبة وفرض فيها زكاة الفطر وشرع فيها صلاة العيد
وكان فرض الجمعة قد تقدم في اول الهجرة بدلا من صلاة الظهر ثم فرضت

زكوة الاموال بعد ظهور القوة وسنة الحكمة ثم الحج والعمرة . واما الاحكام
فما اوجبته قضايا العقول من تحريم القتل والزنا كان مشروعا بمكة مع ظهور
انذاره . وما تردد في قضايا العقول بين فعله وتركه كف عن الحكم فيه بتحليل
او تحريم او حظر او اباحة او استحباب او كراهة . فلم يحلل بمكة حلالا ولا حرم حراما
حتى هاجر منها . فحلل بعد الهجرة وحرم واباح وحظر . لانه كان بمكة مغلوبا
باستيلاء قريش عليها وكانت دار شرك لا ينفذ فيها احكامه . فلم يحلل ولم
يحرم . حتى صار بالمدينة في دار اسلام تنفذ فيها احكامه . فبين ما حلل وحرم
وبين ما اباح وحظر . وبين ما يصح من العقود ويفسد . ولذلك كان بمكة
مسالما وبالمدينة محاربا . فكانت الحكمة موافقة لافعاله . والتوفيق معاضدا
لاقواله . وان كان مأمورا بها كما قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى . لكن لحسن قيامه بها وموافقة الصواب في مواضعها . تظهر آثار
حكمة في صحة حزمه . وصدق عزمه . فهذه جملة تشفعت في اعلام نبوته . وقاعدة
مستقرة في ترتيب رسالته واحكام شرعه . فاما
احكام جهاده في حروبه وغزواته . فسنذكره في كتاب
نفرده في سيرته . نوضح به مواقع اعلامه
ومبادي احكامه . وبالله تعالى
التوفيق .

بقلم الفقير المحتاج الى ربه الغني
امام وخطيب حضرة السهروردي
قدس سره العزيز محمد محسن
نجل المرحوم عبد الرحمن
افندي الكاظمي افندي
قاضي عسكر
العراق
[illegible]
[illegible]
[illegible]